القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الحلقة الثانية ـ قصص السيرة : إضغط على اسم القصة للإنتقال إليها

عبد الحميد جودة السحار

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

هاشم
ابن عبد مناف

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

كان سيِّدُنا إبراهيمُ عليه السَّلام ، يعيشُ مع أهلِه بأرضِ فِلَسطين ، فأمرهُ اللّه سبحانَه وتعالى ، أن يأخذَ زوجَته هاجَرَ وابنَه إسماعيل ، وأن يرحلَ بهما إلى أرضِ الحِجاز ، وأن يتركهما فى مكانٍ بالصحراء ، مكان مكةَ الآن . وكان اللّه يريدُ أن يجعلَ من أولادِ إسماعيلَ أمةً عظيمة . فأطاع سيدُنا إبراهيمُ أمرَ اللّه ، وأخذ زوجتَه وابنَه إلى الحجاز ، وتركهُما فى مكانٍ لا زرعَ فيه ولا ماء ، وعاد إلى فِلَسطين .

وأحسَّ إسماعيلُ عطشًا ، وكان صغيرا ، فطلبَ من أمِّه أن يشرب ، وكان الماءُ الذى معها قد نفِد ، فتركتْهُ فى الصحْراء ، وجرت تبحثُ له عن ماء .

ولكنها لم تجدْ أيَّ ماء ، فعادت إلى مكانِ ابنها وهى حزينةٌ مهمومة . فرأت أنَّ اللّهَ سبحانَه وتعالى ، لم ينسَها هى وابنَها فى ذلك المكان القَفْر ، بل أخرجَ لهُ الماءَ من الأرض . وكان للماءِ صوتُ زَمْزَمة . فسُميَت البئرُ « زمزم » . فشرِب منها إسماعيل ، وشربت منها هاجر ، وعاشا من ذلك الوقتِ إلى جوارها .

وبعد مدّة ، جاء سيدُنا إبراهيمُ يزورُهما ؛ فأمر اللّه إبراهيمَ وإسماعيلَ أن يُعيدا بناءَ الكعبة ، وهى أوَّلُ بيتٍ بُنىَ للناسِ ليعبُدُوا اللّهَ فيه ، وكانت قد تَهدَّمت ، فأخذا يُنفِّذانِ أمرَ اللّه ، ويدعُوان : ربَّنا وابعثْ فيهم رسولا منهم .

لم يأمرِ اللّهُ إبراهيمَ بتركِ هاجرَ وإسماعيلَ فى الصحْراء ، إلا لحكمةٍ كان يَعلمُها اللّهُ وحدَه ، فقد وعدَ إبراهيمَ أنّه سيُكثّرُ أولادَ ابنِه إسماعيل ، وكان مُقدّرا أن يَخرجَ من ذُرّيّتِهِ رسولٌ عظيمٌ لهدايةِ النّاس ، هو محمدُ بنُ عبدِ اللّه ، رسولُ اللّه .

٢

أخذت القوافلُ تمرُّ ببئرِ زمزم ، تشربُ منها ، وتستريحُ عندها ، فتكوّنت هناك محطّةٌ للقوافل ، أخذتْ تتّسع على الأيام ، حتى أصبحتْ مدينةً تجاريةً عظيمة ، تعرفُ بمكة .

وكثُر نَسلُ إسماعيلَ وتفرّقوا قبائِل ، وكانت قبيلةُ قُريش أشهرَ هذه القبائل ، وكانَ سيِّدُ قريش هو الذى يُضيِّفُ من مالِه ومالِ الأغنياء ، الفقراءَ الذين يأتونَ من أنحاء جزيرةِ العربِ لزيارةِ بيتِ اللّه ،

وكان هذاَ التكريمُ والإطعامُ يسمّى الرِّفادَة . وكان هو الّذِى يسقِى الحُجّاج ، ويُسمَّى هذا السِّقايَة . وكان هو الّذِى إذا قامت حربٌ بين قُريش وقبيلةٍ أخرى ، يُقدِّم رايةَ الحربِ إلى القائد ، ويُسمى هذا اللِّواء . وكانت الرِّفادةُ والسِّقايةُ واللِّواءُ من علاماتِ الشرف والسيادة ، وكانَت كلُّها فى قُريش ، لأنَّ قريشًا كانت أغنى قبيلةٍ فى العربِ وأشْرَفَها .

وعَلَى مرِّ السِّنين ، مُلِئَتْ بئرُ زمزَمَ بالرِّمال ، واختفَتْ ولم يَعُدْ يعرِفُ مكانَها أحد ؛ وعلى مرِّ السِّنين ، نَسِيَ العربُ عبادةَ اللّه ، وحملوا معهم من البلاد التى كانوا يزُورونَها ، أصنامًا وضعُوها فى الكعبة ، بيتِ اللّهِ الحرام ، وأخذُوا يعبدُونها . وكثُرت الأصنامُ فى الكعبة ، حتى صارتْ ثلاثَمائةٍ وستّينَ صَنما ، فكان العربُ يذْهَبُون إليها فى موسمِ

الحَجّ ، يزُورونَها ويعَظِّمونَها ، ويعْبُدونَ الأصنامَ فيها ، دون أن يهْتدوا إلى أنَّ الكعبةَ إنما بُنيت ليُعْبَدَ فيها اللّهُ وحدَه .

٣

جلسَ عبدُ منافٍ فى دارِه ، وفى وجْهِهِ الجميلِ قَلَق ؛ وكان رائعَ الحُسن ، حتى كان يُقالُ له القَمَر . كانَ إذا سمِعَ حركةً رفعَ رأسَه ونظر ، فزوجَتُه تضعُ ما فى بطنها ، وهو يَطْمَعُ أن يكون المولودُ ذكرا ، ليكونَ أخًا لبكره المُطَّلب .

كان الشّابُّ عبدُ منافٍ ، ابنَ قُصَىٍّ سيِّدِ قريش ، وما كانَ رجُلٌ أو امرأةٌ من قريشٍ يتزوجُ إلا فى دارِ قُصَىّ ، وما كانَ النّاسُ يتشاورونَ فى أمر ينزِلُ بهم إلاّ فى دارِه ، وما كانَ لواءُ الحربِ يُعقدُ إلا فى داره . كان قُصىٌّ يُطْعِمُ الفقراء ، ويُضيّفُ الحجاجَ

ويسْقيهم ، فشبَّ عبدُ منافٍ فى بيتٍ كريم ، فتعلَّم الكرم ؛ ونشأ بين قوم يكرهُون ولادة البنات ، ويدْفنونَهن حيّاتٍ خشْيَة العار ، فهو يخشَى أن تلدَ امرأتُه بنْتا ، فظلّ ينْتَظِرُ وهو يضْطَرِب ، حتى دخلَ عليه البشيرُ وقال له :

ـ وضعت امرأتُك توءَمَيْن ذكَريْن .

ففرحَ عبدُ مناف ، وطلبَ أن يراهُما ، فلما جىء بهما ونظر إليْهما ، رأى عجبا : رأى أنهما متّصِلان ، إصبعُ أحدِهما متّصِلةٌ بجَبْهَةِ الآخر : فجاء بمن يفصل بينهما ، فلما فُصل الإصبعُ من الجَبْهة ، سالَ من ذلك دم ، وكان العربُ يتشاءمون ويتفاءلون ، فلما سال الدَّمُ قالَ قائل :

ـ تكونُ بينَهما دماء .

وأطرقَ الواقفُون ، كأنما نطق القدرُ حكمه ؛ ستكونُ بين هَذيْنِ الوليدَين حروب . وقد صدّقَ

الزَّمنُ هذَا القول . كان أحدُهما هاشمًا ـ وإن سماهُ أبوه عمرًا ، وكان الآخرُ عبدَ شمس الذى سيُنْجبُ أميَّة ، وستقومُ بيْن بنى هاشم وبنى أميَّةَ حروبٌ كثيرة ، كَانت فى بطنِ الغيْب فى ذلكَ الزَّمان .

٤

أصبحَ عبدُ منافٍ رجلاً عظيمًا فى قومِه ، وأصبح إخوتُه رجالاً عُظَماء ، إلاّ عبدَ الدَّار ؛ كان ضَعيفًا على الرّغمِ من أنَّه أبرُّ أبناء قُصىّ . وأرادَ قُصىٌّ أن يجعلَ من عَبدِ الدار الضعيف ، شريفًا مثلَ إخوتِه ، فناداه وقال له :

ـ أمَا واللّهِ لأُلحِقَنّكَ بالقوم ، وإن كانوا قد شرَّفوا عليك . لا يدخلُ رجلٌ منهم الكعبة ، حتى تكونَ أنتَ تفتحُها ؛ ولا يُعقَدُ لقريش لواءٌ لحربهم ،

إلا أنتَ بيدِك ؛ ولا يَشْرَبُ رجلٌ بمكةَ إلاّ من سِقايَتِك ؛ ولا يأْكلُ أحدٌ من أهلِ الموسمِ طعامًا إلا من طعامِك ؛ ولا تقطع قُريش أمورَها ، إلا فى دارِك .

وماتَ قُصَىّ ، وأصبحَ لعبدِ الدّار الحِجابة ، وهى الإذنُ بدخولِ الكَعْبَة ، واللِّواء ، والرِّفَادة ، والسِّقَاية .

٥

شبَّ التوءَمان عمرٌو وعبدُ شَمْس ، وذاعَ أمرُهما بَينَ الناس . وفى ليلةٍ اجتمعا بأخيهما المُطَّلب ، وتحادثُوا فى أمرِ أبناء عبدِ الدّار ، فوجدوا أنَّ قُصيًّا قد ظلمهم لما أوْصَى لعبدِ الدّارِ بالرِّفَادةِ والسِّقايةِ واللِّواءِ والحِجَابة ، بعد أن كانت الرِّفادةُ والسقايةُ فى يد أبيهم . فأجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدِى بنى

عبد الدّار ، فهم أحقُّ به منهم ، لشرفِهم عليهمْ ، وفضلِهم فى قوْمِهم . وطلبوا من بنى عبدِ الدار تسليمَ ذلك لهم ، فأبَوْا . فعزَمَ أبناءُ عبدِ منافٍ على أن يحاربُوهم ، حتى يأخذُوا حقّهم منهم ؛ فأخرجَ بنو عبد منافٍ ومنْ انضمَّ إليهم ، جَفنةً مملوءةً طيبا ، فوضعوها حولَ الكعبة ، ثم غمس القومُ أيدِيَهم فيها ، وأقْسمُوا أن يحاربُوا حتى يأخُذوا الزّعامة والسِّيادة .

وأخرجَ بنُو عبدِ الدّارِ ومن كان معهُم ، جَفنةً من دَم ، فغمسُوا أيدِيَهم فيها ، وتعاهدُوا على أن يُدافِعُوا عن الحِجابةِ والسِّقاية والرِّفادَة ، واستعدَّ الطرفَان للقِتال .

ثم رأَوْا أن يصطلحُوا ، فاصطلحُوا على أن يأخذَ بنُو عبدِ منافٍ السِّقايةَ والرِّفادة ، وأن يأخذَ بنُو عبدِ الدّار : الحِجابة ، واللِّواء ، ودارَ النَّدْوَة ، وهى الدّارُ

التى كانوا يجتَمعون فيها للتشاور فيما ينزِلُ بهم من أمُوُر .

وتولّى عمرُو بنُ عبدِ منافٍ السِّقايةَ والرِّفادة ، فقد كان رجُلاً غنيا ، وسافرَ توءَمُهُ عبدُ شمس إلى الشّام ، فقد كان يُحِبُّ الأسْفَار .

٦

أصبح عمرٌو زعيما فى قومِه ، وكان العربُ يخرجُونَ فى الشِّتاء إلى الصحْراء ودِفْئِها ، فرارًا من البرْد ، وبحثًا عن الماء والمراعى لأبلِهم ؛ ويَخْرُجُون فى الصيْفِ إلى البلادِ المعْتدِلة ، فرارًا من الحرّ . ولاحظ عمرٌو ذلك ، فرأى أن ينظِّمَ ذلكَ الخروج ، وأن يجعلَ منه رحلةً للتِّجارة ، فسنَّ لقريش رِحلتيْن : رحلةً فى الشتاء ، تخرج فيها القوافلُ إلى اليمن وإلى الحبشة ، حيثُ الدِّفْء ؛ ورحلةً فى الصَّيف ، تخرج

فيها القوافلُ إلى الشَّام ، حيث الهواءُ اللطيف ، والماءُ الزّلال .

ولم يكنْ طريقُ القوافلِ في تلك الأيامِ آمنا ، وكانت التجارةُ عُرْضَةً للسّلب والنّهب ؛ فرأى عمرٌو أن يُؤَمِّن الطريق ، فذهب إلى قيصرَ في الشام ، واتفقَ معه على تأمين طريق القوافل ؛ وأرسلَ أخاهُ المطَّلبَ إلى نجاشيِّ الحَبَشة ، وملوكِ حِميرَ ، ليتفقَ معهم على تأمينِ طريق التجارة . فازْدهرت مكة في عهدِه ، وأصبحت مركزًا تجاريًّا له مكانته .

وأصابت قريشًا سنةُ جُدبٍ شديد ، حتى أصبح الناسُ لا يجدون الطعام ، فلجئوا إلى عمرو ، فكان يقدِّم لهم ما عندَه حتى نَفِد . واشتدَّ الجوعُ بالناس ، فخرجَ عمرٌو إلى الشَّام ، واشترى دقيقًا كثيرا وكعكا ، وعادَ إلى مكة ، فقابَلهُ الناسُ بالبِشْر ، وراح يقدِّم لهم الطعام ، ويهشِم الخبز (أي يُكسِّره) ،

وذبحَ لهم إبلا ، ثم أمرَ الطُّهاةَ فطبخوا ، فأشْبَع أهلَ مكة ، ولم ينسَ القرشيُّون له صنيعَه ، ولا تهشيمَه الطعامَ لهم ، فسمُّوه هَاشِما .

٧

أنجبَ عبدُ شمس ولدا سمَّاه أُميَّة ، وشب أُميَّةُ فكان غنيا ، ورأى أُميَّةُ حبَّ الناس لهاشم ، فأراد أن يصْنَعَ مثلَه ، ليُحَبِّب النّاسَ فيه ، فراح يُنْفِقُ الأموالَ ، ويُطعِم الفقراء ، ولكنّه عجزَ عنْ أن يفْعَلَ مثل هاشم ، فعيَّره الناسُ وقالوا له :

- أتتشبّه بهاشم ؟ ! أين أنت من هاشم ؟

فسبَّ أُميَّةُ هاشما ، وادَّعى أنه أفضل منه . ثمَّ طلب من هاشم أن يذهَبا معًا إلى من يَحكم بينَهما أيُّهما أفضلُ من الآخر ، فكره هاشمٌ ذلك لسنِّهِ ومركزه ؛ ولكنَّ أمية أصرّ على التحكيم ؛ فلم يجد هاشمٌ مفرا من قَبولِ التّحدّى فقبلَ على شرط أن

يَذْبَحَ الخاسرُ خمسينَ ناقَةً للفقراء ، وأن يخرج من مكة عشرَ سنين ، فقبل ذلك أمية ، وجعلا بينهما حَكما .

وذهب هاشمٌ ومعه أصحابُه ، وأميةُ ومعه أصحابه إلى الحَكم ، فلما رآهُما قال :

ـ لقد سبقَ هاشمٌ أميةَ في المفاخر .

فَنصرَ هاشمًا على أميّة ، فأخذَ هاشمٌ الإبل ، فذبحَها وأطعمها النّاس ، وخرج أميّةُ إلى الشام ذليلا . وكانت هذه أولَ عداوةٍ وقعت بين هاشم وأمية ، ولم يَدْرْ فى ذهنِ أميةَ أن أبناءَه الأمويِّينَ سيكونُ لهم فى الشامِ ملك عظيم ، بفضل الرِّسالةِ التى سيأتى بها محمدُ بن عبد اللّه سليلُ بنى هاشم .

٨

خرج هاشمٌ على رأسِ قافلةٍ فى رِحلةِ الصَّيف ، وكان يريدُ أن يتّجرَ مع الشام ، وأن يحمِلَ بضائعها إلى اليمنِ والحبشة ، يبيعُها فى أسواقِها ، وفيما هو فى طريقهِ ، مرّ بيَثْرِب (المدينة) ، فصادفَ سوقًا كانت تُقام كلَّ سنة ، فنزل بها .

وبدأَ البيعُ والشِّراء ، وإذا بامرأةٍ جميلةٍ واقفةٍ على موْضع يُشرِفُ على السّوق ، تأمرُ بما يُشْتَرَى ويُباعُ لها : فنظر إليها هاشم ، فرأى امرأةً حازمةً مع جَمال ، فسأل عنها ، وهل هى مُتَزوِّجة ؟ فعلم أنها لا زَوجَ لها ، وقيل له إنها لشرفها فى قومها لا تتزوَّجُ الرِّجالَ حتى يشْرطُو لها أنَّ أمرَها بيدها ، فإذا كرِهَت رجُلا فارقتْه ، فأطرق يفكرُ فى الزواج منها ، ثم ذهب يخطُبها .

عرَفتْ سَلْمَى بنتُ عَمرِو بنِ زيد ، أن الذى يخْطبها سيّدٌ فى قومِه ، عظيمُ النسب ، شريفُ الأصلِ ، فقَبلت أنْ تتزوَّجَه ، فصنعَ هاشِمٌ طعاما ، ودعا أصحابَه الذين كانوا معه ، وكانوا أربَعين رجُلا من قريش ، ودعا من أهلِ المدينةِ رجالا ، ودخل هاشِمٌ بِسَلْمَى ، ومكثَ بالمدينةِ أياما ، ثم غادرها وذهب إلى الشام وقد حَمَلت سَلْمَى .

ووضعت سَلْمَى ولدًا جميلا ، كان فى رأسِه شَيْبة ، فسُمِّىَ شيْبة ، وراح هاشم يتردَّدُ على المدينةِ كلما خرجَ فى رحلِة الصيف إلى الشام . وفى آخرِ رحلةٍ له اشتكى من ألمٍ نزلَ به ، وكان فى غَزَّةَ من أرض الشام ، فدعا بعضَ أصحابِهِ ، ووصَّاهم أن يحملوا تركتهَ إلى ابنهِ شيْبة . ومات هاشم بغزَّة ، وحَمَل أصحابهُ تركتَه إلى المدينة ، ودفعوها إلى شيْبَة الصغيرِ ، الذى ما كانَ يدرى ما يخْبؤهُ له القَدَرُ من شرفٍ عظيم ، من أنهَّ يكونُ جدَّ محمدٍ رسولِ اللّه .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

عبد المطلب
جد النبي

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأصْحَابِ الْفِيل * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيل * وأرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أبَابيل * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيل * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُول ﴾ .

« قرآن كريم »

١

نشأَ شيبةُ بينَ أخوالِه فى المدينة ، وكان جميلا مَهيبا، يعرفُ أنه ابنُ هاشم بن عبدِ مناف ، وأنّه من ذلك البيتِ الكريم الذى يسُودُ قرَيْشا ، ويتولّى شرفَ البيتِ المقدس فى مكّة ، ويَسقِى الحُجّاج ، ويُطْعمُ الفقراءَ والمساكين منهم . كان يعرفُ قدرَ نفسِه ، فكانَ على الرغم من موتِ أبيه ، مرفوعَ الرأس ، ناصعَ الجبين .

خرجَ يلعبُ مع الفتيان فى أحد الأيام ، وكان أحبُّ اللَّعِب إليه الرِّماية ، فدعَا أبناءَ أخوالِه إلى مُباراةٍ فى رمى السِّهام ، فاصطفَّ الفتيانُ أمامَ هدفٍ صغير فى مثل الكفّ ؛ ومرّ رجل ، فوقف يرقُبُ المباراةَ من بعيد .

أخذَ الفتيانُ يرمونَ سهامَهم ، فاخطئوا الهدَف ؛ وتقدَّم شَيْبة ، فوضعَ سهمَه فى قَوْسِه ، وأطلقَه فأصابَ الهدَف ؛ ثمَّ وضعَ سهمًا آخرَ وصوَّبه ، فأصابَ مرةً ثانية ، فهزّه الفرح ، وصاح مفاخرا :

ـ أنا ابنُ هاشم ، أنا ابنُ سيِّد البطحاء ، (الأرض المستوية التى بداخل مكة) .

وارتسمتْ على شفتى الرجُل الذى يرْقُبُ المباراةَ من بعيد ابْتِسامة ، ثم انصرف .

٢

ولِىَ المُطّلبُ السِّقايةَ والرِّفادَة ، بعدَ موتِ أخيه هاشم ، وكانَ المُطّلبُ شريفا ، وسيِّدا مُطاعا فى قومِه ، وكان يُمضى النّهار فى الكَعْبة ، فقد بدأَ موسمُ الحج ، وكان عليه أن يَسْهَر على الحُجاج .

وبينمَا المطلبُ فى مجْلسِه ، إذ أقبلَ عليه ذلكَ الرجل ، الذى شهدَ مباراةَ الرِّمايةِ بين شَيْبةَ وأبناء أخواله ، وكان قادمًا من يَثْرب (المدينة) إلى مكةَ للحج ، قال :

ـ لو رأيْتَ ابنَ أخيكَ شيبةَ فينا ، لرأيتَ جمالاً وهيبةً وشرفا ، لقد نَظرتُ إليهِ وهو يُبارى فِتْيَانًا فى رمى السِّهام ، ويقولُ كلّما أصابَ الهدَف : أنا ابنُ سيِّدِ البطحاء .

فرفعَ المطلبُ رأسهَ وقال :

ـ لا أُمسى حتى أخرجَ إليه فأقْدَمَ به .

فقال الرجل :

ـ ما أرَى سَلْمى (أمَّه) تتركُه لك ولا أخوَالَه .

فقال المطلبُ فى عزم :

ـ ما كنتُ لأدَعَه هناك ، ويترك مآثرَ قومِه ، ومكانته ونسبَه وشرفَه .

وما جاءَ اللّيلُ حتى كانَ المطّلبُ يركبُ جملَه ، ويذهبُ في الطريقِ إلى يثرب (المدينة) ، ليعودَ بشَيْبةَ ابنِ أخيه هاشم ، ليشِبَّ بينَ أهلِه ، وفي بيتِ هاشمٍ العظِيم .

٣

وصلَ المطّلبُ إلى يثرب ، وجعل يسألُ عن شيْبَة ، حتى اهتدى إليه ، فوجدَه يلعبُ بين فِتْيان فعرفَه وضمَّه إليه ، وجعلَ يقبِّلُه ويقولُ له : إنَّه عمُّه . وذكر له المطّلبُ أنه جاءَ ليعيدَه إلى قومه ، فقال شيْبَة :

ـ لابدَّ أن تأذنَ لي أميّ .

وذهبا إلى سَلْمى ، فقال لها المطّلب :

ـ جئت أقبضُ ابنَ أخي ، وأُلحقُه ببلَدِه وقوْمِه .

فقالت سلْمَى وهي تضمُّ شيْبةَ إليها :

ـ لا . لستُ بمُرْسِلَتِه معك ، إنّه ابني .

فقال المطلب في إصْرَار :

ـ لن أذهبَ حتى آخُذَه معي ، إنّه ابنُ أخي ، ونحنُ أهلُ بيتٍ شريفٍ في قومِنا ، والمُقامُ ببلَدِهِ خيرٌ له من المُقام هَهُنا ، وهو ابنُك حيثُ كان .

فقالت سلمي وهي تنظُر إلى ابنِها :

ـ دعْنِي ثلاثَةَ أيّامٍ أفكِّر .

ومرَّت الأيامُ وسلْمَى تفكِّر . إنَّ فراقَ ابنِها يحزُنُها ، ولكنَّ مصْلَحتَه في أن يكونَ بين قومِه . وأخيرًا غلَّبتْ مصلحةَ ابنِها على حُبِّها ؛ فلما عادَ المطَّلبُ بعد انقضاء الأيام الثلاثة ، أذِنَتْ له في أن يأخذَه ، فركِبَ المطَّلبُ جملَه ، وأركبَ شيبَةَ خلفَه ، وخرج إلى مكَّة ، وسلمى تنظر إلى ابنِها وقد ملأَت الدموعُ عينيها .

٤

كان الوقتُ ظهرا عندما دخلَ المطَّلِبُ مكة ، وهو راكبٌ جملَه ، وخلفَه شَيْبَة ، فلما رآهُما النّاسُ حَسَبُوا أنَّ المطَّلبَ اشترى له عبدا ، فراحُوا يُشيرُون إلى شيْبَةَ ويقولون :

ـ عبدُ المطَّلب ... عبدُ المطَّلب .

فصاح المطَّلبُ بهم :

ـ ويْحَكُم ! إنَّما هُو ابنُ أخى هاشم ، قِدمْتُ به من المدينة .

ودخل المطَّلبُ بيتَه ، وألبسَ شيْبَةَ حُلّةً جديدة ، وخرجَ به إلى الناس ، وقال :

ـ هذا شيبةُ ابنُ أخى هاشم ، عُدْتُ به من المدينة .

فنظر الناسُ إلى شيْبة ، فوجَدوه يُشبِهُ أباه ، فقالوا :

ـ ابنُه . ابنُه ولا شك .

ولكنَّهم لم يَدْعُوه بشيْبَة ، بل أطلقُوا عليه « عبد المطلب » .

٥

خرجَ المطلبُ تاجرا إلى أرض اليَمن ، فماتَ هناك ، فَولِىَ الرِّفادَةَ والسِّقايَةَ بعدَه عبدُ المطَّلب ، كان يَسْقِى الحجَّاجَ بمكةَ فى حِياض من الجِلد ، وكان يَتْعَبُ فى جلبِ الماء إلى هذِه الحياض . وفى ذاتِ يومٍ نامَ فى الحرَم ، فرأى من يقولُ له : احفِرْ زَمْزَم . فلما استيقظَ لم يفهمْ ذَلكَ الْحُلْم ، لأنه لم

يكن يعرِفُ ما زَمْزَم ؟ لأن زمزمَ كانت قَدْ طُمَّتْ بالرِّمالِ واختَفَت .

وفى اليوم التّالى نامَ فى الحَرم ، فجاءَه الهاتف ، وقالَ له :

ـ احفِر زمزم .

فقال عبدُ المطلب :

ـ وما زَمْزَم ؟

ـ تَسْقى الحجيجَ الأعظم .

وهداهُ الهاتفُ إلى مكانها . فلما استيقظ ، دعَا ابنَه الحارث ، ولم يكنْ لهُ ولدٌ غيرُه ، وقال لهُ : إنّه أُمِرَ بحفر زمزم ، وذهَبا يحفِران الأرض ، ورأى أنّه وابنَه قِلَّة ، فنذَر لئنْ أكملَ اللّهُ له عشرةَ ذكور حتى يَراهُم ، أن يذبَح أحدَهم ، وفى اليوم الثالث، اهتدى عبدُ المطَّلبِ إلى الماء ، فجاءَه الناسُ وقالُو له :

ـ أشْرِكْنَا فيه .

فقال لهُم عبدُ المطّلب .

ـ ما أنَا بفاعِل ، هذا أمرٌ خُصِصْتُ به دونكمْ ، فاجعلُوا بيننَا وبينَكُم من شِئْتُم أُحاكِمْكم إليه .

واختارُوا حَكَمًا . وخرج مع عبدِ المطلبِ عشرونَ رجلاً من بنى عبد مناف ، وخرجتْ قريشٌ بعشرينَ رجلاً من قبائلها ، وفيما همْ فى الطريق ، نفِدَ الماء ، فعطِشُوا ، فجاءُوا إلى عبدِ المطَّلب ، وقالوا :

ـ ماذا ترى ؟

فقال عبدُ المطَّلب :

ـ هُو الموت . فليحفِر كلُّ رجل منكم حفْرةً لنفسه ، فكلَّما ماتَ رجلٌ دفنَته أصحابُه .

وراحُوا يحفِرُون قبورهَم ، ثم قَعدُوا ينتظرُون الموت ، ورأى عبدُ المطَّلب أنَّ من العجْز أن يستسلمُوا ، فقام وركب جمله ، وأخذ يبحث عن

ماءٍ فى الصحْراء ، وفيما هو فى سيرِه ، إذ انفجرت تحتَ خُفِّ جملِه عينُ ماء عذب فشربِ عبدُ المطَّلب ، ونادى أصحابَه ، فشرِبُوا حتى ارتووا .

ونظر الرجالُ إليه فى إكبار ، وقالوا :

ـ قد قُضِيَ لك علينا . الذى سقَاك هذا الماءَ بهذِه الصحْراء ، هو الَّذى سقَاكَ زمزم ، فواللّه لا نُخاصِمُك فيها أبدا .

ورجعَ عبدُ المطَّلب ، ورجَعُوا معه ، وأصبحت زمزمُ له وحدَه ، فترك السَّقْيَ فى الحياض بمكة ، وسقَى الحجاجَ من زَمْزم .

٦

كان أَبرهةُ الأشْرمُ رجلاً من الحبشة ، قَتلَ ملكَ اليمن ، واستولَى على مُلكِه ، ورأى الناسَ يتجهَّزُون أيامَ الموسم ، للحَجِّ إلى بيت اللّه الحرام ، فسأل :

ـ أين يذهبُ الناس ؟

ـ يَحُجُّونَ بيتَ اللّهِ بمكة .

ـ ما هو ؟

ـ من حجارَة .

ـ لأبنينَّ لكم خيرًا منه .

فبَنى لهم بيتا عمِلَه بالرَّخام الأبيض والأحمر والأصفر وحلاَّه بالذهبِ والفِضَّة ، وجعل له أبوابًا عليها صفائحُ الذَّهب ولطَّخَ جدرانَه بالمِسك ، وأمر الناسَ أن يَحُجّوه ، ولكنّ الناس لم يذهبُوا إليه . كانوا يعظِّمون الكعبة ، فلم يرضَوا بها بديلا .

فتضايَق أبرهَة ، وعزم على هدمِ الكعبة ، فجهز جَيْشا ، وجعلَ أمامه فيلا عظيما ، وخرجَ من اليمن ، وسارَ إلى مكّة ، وفى طريقهِ خرج إليه العربُ يحاربُونه ، فكان يَهزِمُهم ، وينتصرُ عليهم ، واستمرَّ فى سيره حتى دخل مكة ، واستولى على

إبلٍ لعبدِ المطَّلب .

واجتمع الناسُ خائفين يسألونَ عبدَ المطَّلبِ ماذا يفعلُون ؟ فقال لهم : إنهم لا يستطيعونَ قِتالَ أبرهة ، فعليهم أن يهرُبُوا منه فى الجبال ، وأغضبَ الناسَ أن يَهدِمَ أبرهةُ بيتَهم المقدس ، ولكنهم كانوا أضعفَ من أن يحاربوه لينقِذُوا الكعبة ، فصعدوا فى الجبال ، وفى قلوبهم حزنٌ عميق .

وذهبَ عبدُ المطَّلب ، وكان أوسمَ الناس وأجملَهم وأعظمهم ، يقابلُ أبرَهة ، فلما رآه أبرَهةُ أجلَّهُ وأعظمَهُ وأكرمَه ، وقال لتَرجُمانِه :

ـ قل له : ما حاجتُك ؟

فقال عبدُ المطَّلب :

ـ حاجتى أن يَرُدَّ علىَّ الملكُ مِائتى بعيرٍ أصابَها لى :

فقال أبرهةُ فى إنكار :

ـ أتُكلِّمُنى فى مِائتى بعير أخذتُها منك ، ولا تُكلِّمُنى فى بيتٍ هو دينُك ودينُ أبائِك ، قد جئتُ لهدمِه ؟!

فقال عبدُ المطَّلبِ فى اطمئنان :

ـ إنّى رَبُّ الإبل ، وإنَّ للبيتِ ربّا سيحميه .

وخرج عبدُ المطلب ، وذهب هو وأهلُه إلى الجبال ، ينظرون ما سيفعلُه أبرهةُ بمكّة .

وأقبلَ أبرهةُ فى جيشِهِ العظيم ، والفيلُ أمامَه ، وسار إلى الكعبة ، والعربُ ينظرون من فوقِ الجبال ، وفى صدورِهم حُزْن ، وإذا بطيرٍ يُقبلُ من ناحية البحرِ جماعاتٍ جماعات ، ويُلقى على جيش أبرهة حجارة ، فانتشر الْجُدَرىُّ والْحَصبةُ بين الجيش وراحت أعضاءُ الجنودِ تسقُطُ عُضوا عُضوا ، فلما رأَى أبرهةُ ذلك فرّ ، ورأى العربُ خروجَ الجيش الغازى هاربا ، فهبَطوا من الجبال ، وانطلقوا إلى

الكعبة ، يقدِّمُون إلى اللّه فـروضَ الشـكر . وصـدق عبدُ المطلب ، فقد كان للبيتِ ربٌّ حماهُ ومنعَه .

وفى هذا العام ، عامِ الفيل ، وُلـد محمـد بنُ عبـدِ اللّه ، بنِ عبدِ المطَّلب .

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص الديني

عبد الله وآمنة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ طِين * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرارٍ مَكِين * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقةً ، فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا ، فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ، فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

تذكَّر عبدُ المطَّلبِ أنَّه نذَرَ يومَ كان يحفِر زَمزم هو وابنُه الحارث : لئنْ وُلِدَ له عشرةُ ذكور حتَّى يراهم ، لينْحرَنَّ أحدَهم للّهِ عند الكعبة ، وهؤُلاء قد اكتملُوا عشرة ، فوجبَ عليهِ أن يُوفِّيَ بنَذْره ، فطلب أولادَه ، وكان أكبرُهم الحارث ، وأصغرهُم عبدُ اللّه ، وكان عبدُ اللّه أحبَّ أولادِهِ إلى قلبه ، فالتفت إليهم وقال :

ـ نذرْتُ أن أَذبحَ أحدَكم للّه إذا وهَبَ لِي عشرة ذكور ، وها أنتم قد اكْتملتُم عشرة ، وإني أحبُّ أن أُوَفِّيَ بنذرِي .

فقالوا له :

ـ أوفِ بنذرِك ، وافعلْ ما شئت .

فقالَ ليختارَ من بينهِمْ من يذْبَحُه :

ـ ليأخذْ كلُّ واحدٍ منكُم قِدْحـا ، ثـم يكتـبْ فيـه اسْمَه ، ثم ائْتونى به .

كـان العـربُ حينئـذٍ إذا أرادُوا أن يفعلـوا شـيئا يضرِبُـون بـالقِدَاحِ ، والقِداحُ : عيدانٌ مـن خشـبِ النَقْسِ نُحِتت ومُلِّسَت ، وجُعلت سواءً في الطول ، يُكتَـبُ عليهـا « افعـلْ » أو « لا تفعـلْ » أو مـا يشاءُونَ أن يقْترعُوا عليه ، وكانوا يذهبُون إلى هُبَل ، وهـو صنـمٌ يعبدونَـه : ثـم يطلبـونَ مـن الحـاجب ـــ ويُطْلِقُون عليـه « السـادِن » ـــ أن يختـارَ قِدْحًـا من القداح ، فإذا خرجَ القِدْحُ المكتـوب فيـه « افعـلْ » كانوا يفعلونَ الشيء ، أما إذا خرجَ القِدحُ المكتـوبُ فيه : « لا تفعلْ » فكانوا لا يفعلونَ ما نُهُوا عنه .

ولما كان عبد المطَّلبِ يريد أن يقْتَرِعَ بـين أولاده ، ليختارَ منهم من يذْبَحُـه ، أمرهُـم أن يكتُبـوا أسمـاءَهم على القِدَاح ، فلمَّا فعلُوا قدَّموها إليه .

فذهـب عبدُ المطَّلـب إلى الكعبـة ، والنـاس خلفـه يذكرون نذرَه ، وما عزم على أن يفعلَه . وتقدم مـن سادِن هُبَل ، وقدم إليه القداح ، فلـف السـادن يـدَه بقمـاش ، وجـيء بثـوبٍ أبيضَ ، وبُسـط بـين يـدى السادن ، وأمسك بالقِداح تحت الثوب ، ومد يدَه ، وأخرجَ قِدْحًا ، فإذا به قِدْحُ عبد اللّه .

وسـاد سـكونٌ عميـق ، وامتـدت أعنـاقُ النـاس ، واتَّسَعت العيون . كان على عبـد المطَّلبِ أن يذبحَ عبدَ اللّه أحبَّ أبنائه إليه . لم يُحْجم عبدُ المطَّلب بل تقدَّم ، وأخذَ عبدَ اللّـه بيـدِهِ ، وأخـذ السكين ، ثـم ذهـب بـه إلى إسـافٍ ونائلـة ، وهمـا صنمـان كـان العربُ يذبحُون عندَهما ؛ ونامَ عبـدُ اللّـه ورفـعَ عبـدُ المطَّلب السكينَ ليذبَحه ، وإذا برجالِ قريش يُقْبِلـون ويقولون :

ـ ماذا تريدُ يا عبد المطَّلب ؟

ـ أذبحُه .

ـ واللّه لا تذبحهُ أبدا ، لئِن فعلتَ هذا لا يزالُ الرجلُ مِنا يأتى بابنهِ حتى يذبَحَه ، فما بقاءُ الناسِ على هذا !

وقال أخوالُ عبد اللّه :

ـ إن كانَ فِداؤُه بأموالِنا فديْناه .

وقال الناس :

ـ لا تذْبَحْه ، واذهبْ به إلى عَرَّافة (منجمة) ، وسلها ، فإن أمرتْك بذبحِه ذبحتَه ، وإنْ أمرتْك بأمر لك وله فيه مَخْرجٌ قبلتَه .

وخرجُوا إلى العرَّافة ، حتى إذا بلغُوها ، قصَّ عليها عبدُ المطَّلب خبرَه وخبرَ ابنهِ ، وما أراد به ، ونّذْرَه فيه ، فقالتْ :

ـ كَمِ الدِّيَةُ فيكم ؟

والدِيَّة هى عددُ الجمالِ التى كان يدفَعُها أهلُ القاتلِ إلى أهلِ القتيلِ إذا تصالحوا ، فقالوا :

ـ عَشْرٌ من الإبل .

فقالت العَرَّافة :

ـ ارجِعوا إلى بلادكم ، ثم قَرِّبُوا صاحبَكم ، وقرِّبُو عشرةً من الإبل ، ثم اضربُو عليها وعليه بالقِداح . فإن خرجتْ على صاحبِكم ، فزيدوا فى الإبل حتى يرضَى ربُّكم ، وإن خرجت على الإبل فانحرُوها عنه ، فقد رضِيَ ربُّكم ، ونجَا صاحبُكم .

٢

عاد عبدُ المطَّلب وأبناؤُه ومن خرج معه إلى مكة ، وذهبُوا إلى سادنِ قريش ، ليقْترِعُوا بين عبدِ اللّه والإبل ، ووقف عبدُ المطَّلب عند هُبَل يدعُو اللّهَ أن يُنقِذَ ابنَه ، وتقدَّم عبد اللّه وعشرٌ من الإبل ، وضربَ السادنُ بالقِداح ، فخرج القِدْحُ على عبدِ اللّه ، فاستمر عبدُ المطلبِ في دُعائه ، وزادُوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبلُ عشرين ، ثم ضربُوا بالقداح ، فخرجَ القِدْحُ على عبدِ اللّه ، فزادوا عشرا من الإبل ، فبلغت الإبلُ ثلاثين ، واستمر عبدُ المطَّلب يدعو اللّه ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على عبدِ اللّه ، ثم لم يزالُوا يضربون بالقداح ، ويخرجُ القِدحُ على عبدِ اللّه ، فكلما خرج عليه زادوا من الإبل عشرا ، حتى ضربُوا عشرَ مرات ، وبلغت

الإبلُ مائة ، وعبد المطلب قائم يدعُو ، ثم ضربوا فخرج القِدْحُ على الإبل ، ففرحَ الناس وصاحوا :

ــ قد انتهى رضَا ربِّك يا عبدَ المطَّلب .

فقال عبدُ المطَّلب :

ــ لا واللّهِ حتى أضربَ عليها ثلاثَ مرات .

فضرَبوا بالقداح على الإبل وعلى عبدِ اللّه ، وقام عبدُ المطلب يدعو ، فخرج القِدحُ على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبدُ المطلب قائمٌ يدعو ، فخرج القدحُ على الإبل ، ثم عادُوا الثالثة فضربُو بالقداح ، فخرج القِدحُ على الإبل ، فاطمأنَّ عبدُ المطَّلب إلى أن اللّه قد رضِيَ عن فِداءِ عبدِ اللّه بمائةٍ من الإبل .

ونُحِرَت الإبل ، وترِكَتْ للناسِ والطيورِ والوحوش يأكلونَ منها ، لا يمنعُهم عنها أحد .

٣

كانَ عبدُ اللّه جميلا ، حتى إنَّ نساءَ قريش كُنَّ يتمنيْن الزواج به ، وكان في وجهه نُورٌ يتلألأ ، وأرادت امرأةٌ أن تتزوجَه ، فقد حزَرت أن لهذا النور شأنا ، فعرضت عليه أن يتزوَّجَها ، وأن تُعطيَه مائةً من الإبل ، ولكنه أبَى ؛ كان ذاهبا مع أبيه إلى وهْب بنِ عبد منافِ بن زُهْرةَ ليزوِّجَه من ابنته آمنة .

دخلَ عبدُ المطَّلب وابنهُ عبد اللّه على وهْب ، وقال عبد المطلب : إنه جاءَ يطلبُ آمنةَ لابنِه . فوافق وَهْبٌ على تزويج آمنةَ من عبدِ اللّه ، فقد كانَ عبد اللّه وسيما ، وكَان في مصاهرةِ بني هاشم شرفٌ عظيم .

وكانت آمنةُ جميلة ، وكانت أفضلَ امرأةٍ في قريشٍ نسبا ، فلما ذاعَ خبرُ زواجِ عبدِ اللّه منْ آمنة ، حزنت نساءُ قريش ؛ كانت كلٌّ منهن تحبُّ أن تكونَ زوجةَ عبدِ اللّه .

٤

ومكثَ عبدُ اللّه عنـدَ آمنـةَ ثلاثَـةَ أيّـام ، وكـانت هذه عادةَ العربِ إذا تزوَّجُوا فى بيتِ أهلِ الزَّوجة .
وفى اليوم الثانى خرجَ عبدُ اللّهِ من عند آمنة ، ومـرَّ علـى المـرأةِ التـى عَرَضـتْ عليـه أن تتزوجَـه ، وأن تُعْطيَه مائةً من الإبل ، فلم تحادثْـه ، ولم تعِـرضْ عليـه الزواج ، فعجب عبدُ اللّه من ذلك ، وقال لها :
ـ لماذا لا تعْرِضينَ علىَّ الزواج ؟
فنظرتْ إليه طويلا ، ثم قالت :
ـ أىَّ شىء صنعتَ بعدى ؟
فقال عبد اللّه :
ـ تزوجْتُ آمنةَ بنتَ وهب .
فقالت المرأةُ فى حُزن :

ـ رأيتُ نورَ النبوةِ فى وجْهِك ، فأردتُ أن يكون ذلك فىَّ ، وأبى اللّه إلا أن يجعلَه حيث جعلَه .
لم يكنْ مُقَدَّرا أن تأتىَ هذه المرأةُ برسولِ اللّه ، بـل كان مُقَدَّرا أن تَحملَ خيرَ أهلِ الأرض ، آمنـةُ بنـت وهب .

٥

تأهَّبَ عبد اللّه للخروجِ إلى الشّام ، في قافلةٍ من قوافلِ قريش تحملُ تجارات ، فدخل على زوجتِه آمنةَ يودِّعُها قبلَ الرحيل ، كان يعِزُّ عليه أن يفارقَها ، ولم يمكُثْ معها أكثرَ من أشهر أحبَّها فيها وأحبَّته ، ولكن كان عليه أن يخرجَ للتجارة ، كما يخرجُ أقرانُه من الشَّباب . إنه ابنُ سيدِ قريش ، وليس معنى ذلك أن يمكثَ في مكةَ دونَ أن يعمل ، فالناس في ذلك الزمان لا يحترِمُون إلا العاملين ، ويكرهُون الفارغين الذين يمكثون في مكة للّهو واللَّعب .

اهتمت قريشٌ بأمرِ القافلة ، فإنّها تخرجُ بتجارتهم ؛ العبيدُ يحملُون البضائِع ، ويضعُونَها على ظهورِ الجمال ، والحميرُ مُحَملةٌ بالجلودِ والشعير ،

والرجالُ يذهبون ويجيئون ، والنساءُ واقفاتٌ يُودِّعْنَ المسافرِين . وخرجَ عبدُ اللّه وسارتْ القافلةُ ناحيةَ الشام ، وآمنةُ تودِّع زوجَها ، وفي صدرِها اضطراب ، وفي عينيها دُمُوع .

وبلغت القافلةُ غَزَّة ، ونزلتْ بسوقِها ، وبدأت المقايضة . كان العرب يُعطُونَ التّجارَ الرّومانَ جلودَ الصحراء ، وشعيرَ الطائف ، وفضةَ بني سُلَيم ، ويأخذونَ منهم العُطورَ والحُليَّ والتوابل .

وانتهت الرحلة ، وفي أثناء العودةِ مرض عبدُ اللّه ، ودخلت القافلةُ المدينة ، فقال عبدُ اللّه :

ـ أنا أتخلّفُ عند أخوالي بني عديٍّ بن النَّجّار .

كان أخوالُه في المدينة ، فمكثَ عندَهم ، واستأنفتِ القافلةُ سيرَها ، حتى إذا دخلتْ مكة ، سأل عبدُ المطَّلب عن ابنِه في لَهْفة :

ـ أينَ عبد اللّه ؟

فقالوا له :

ـ مريضٌ عند أخوالِه بالمدينة .

وبلغ آمنةَ مرضُ زوجِها ، فقلِقت . كانت تُحبُّـه ، وكانت تنتظرُ عودتَه ، ولكنهم عادُوا جميعا ، وتخلَّف عبدُ اللّه !

وأرسـل عبـدُ المطلـبِ ابنَـه الحـارثَ إلى المدينــة ، ليعودَ بأخيه ، فلما وصــلَ إليهـا وجـدَ عبـدَ اللّـهِ قـد مات .

وبلغ آمنةَ موتُ زوجِها ، فحزِنت عليه ، وزاد فى حزْنِها ، أنَّه كُتب على ابنِها الذى تحمله فى بطنِهـا ، أن يَشِبَّ يتيما .

ولكن اللّه سبحانه وتعالى كان يَحوطُ ذلك اليتيـمَ برحمتِـه ، ويكلـؤُه بعيـنِ رَعايتـه ، ويَهْديــه إلى أقـومِ السُّبل ، ويُعِدُّه لأمر جليلِ الخَطَر .

« ألم يجدكَ يتيما فآوى ؟ ووجدك ضـالاً فَهـدَى ؟ ووجدَك عائلاً فأغنَى ؟ » .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

مولد الرسول

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إبرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيم * رَبَّنا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

خَرجَ رجالٌ من مكةَ يُريدونَ الشَّام ، وفيما هُمْ ببَعضِ الطَّريق إذ مرُّوا على راهبٍ منقطع عن النّاسِ يعبدُ اللّه ، ففكَّر أربعةٌ منهم في أن يُعرِّجوا على ذلكَ الرّاهب ، يتحدَّثون معه ، وكان الرُّهبانُ أهلَ علم ، وكانت أحاديثُهم تُدهشُ العربَ الذين ما كانوا يعرفُون إلا التجارةَ أو اللّهو .

دخلوا على الرّاهب ، وجلسوا يتحدّثون إليه ، فقال لهم :

ـ من أين أنْتُم ؟

ـ من مكة .

فقال : إن اللّه سيبعثُ فيكم نبيًّا وشيكا ، فَسارِعوا إليه ، وخُذُوا حظَّكم تَرْشُدُوا .

فنظرَ إليه الرِّجالُ فى دَهش ، وقالوا :

ــ ما اسْمُه ؟

ــ مُحمَّد .

ودخل الراهبُ صَوْمَعَتَه ، وهى المكانُ الذى ينقطعُ فيه للعبادة ، وسار الرجالُ الأربَعة ، وهم يُفكِّرون فيما قاله الراهب ، وقد قرَّر كلٌّ منهم فى نفسه إن رزقَهُ اللّهُ غلامًا أن يسمِّيَه مُحمَّدا ، رغبةً فى أن يكونَ ذلك النبيُّ المنتَظرُ من نَسْلِه .

٢

كان عبدُ المطّلبِ ينامُ فى الكعبة ، فرأى فى نوْمِه شجرةً نبَتتْ حتى بلغَ رأسُها السّماء ، وامتدّت أغصانُها فى المشْرِق والمغْرب ، ورأى النُّورَ يخرجُ من هذِه الشجرة ، وكان نورًا قويًّا ؛ ورأى العربَ والعَجمَ يسْجُدونَ للشَّجرة ، وهى تزدادُ عِظَمًا ونورًا وارتفاعا ؛ ورأى ناسًا من قريش قد تعلَّقُوا بأغْصانِها ؛ ورأى قوما من قريش يُرِيدُونَ قطْعَها ، فإذا دَنَوا منها أَخَّرَهم شابٌّ رائعُ الحسن جميلُ الهيئة ؛ فرفعَ عبدُ المطَّلب يَده ، ليتناولَ منها نصيبًا فلم ينلْه ، فقام من نوْمِه مذْعورا .

وجلس عبدُ المطَّلبِ يفكِّر فى الحُلْم ، فلم يَعْرِفْ تأويلَه ، فقامَ ليذهبَ إلى كاهنةِ قريش ، لتُفَسِّرَ له هذا الحُلْم ؛ وكان العربُ يستشيرُونَ الكاهِنَ أو الكاهِنَةَ فى سفرِهم ، أو فى زواجِهم أو فى تفسيرِ أَحلامِهِم .

فلما دخل عليها لمحَتْ فى وجهِه القَلق ، فقالت :

ـ ما بالُ سيِّدِهم قد أتَى مُتغيِّرَ اللَّون ؟

فقال عبدُ المطَّلب :

ـ رأيتُ رؤيا أفزعَتْنى .

وراح يَقُصُّ عليها رُؤْياه ، فلما انتَهى منها ، قالت :

ـ لئِن تحقَّقتْ رؤياك ، ليخْرُجَنَّ من صُلْبِك (أى من أولادك) رجلٌ يملِكُ الْمشرقَ والمغرب ، وتدينُ له النَّاس .

وقام عبدُ المطلب منْشَرِحَ الصّدْر ، فلما قابلَ ابنَه أبَا طالب ، قصَّ عليه رؤْياه ، وقصّ عليه ما قالَتْه الكاهنة ، ثم قالَ له :

ـ لعَّلك أنْ تكُونَ هذَا المولود !

ولكن لم يكن أبو طالبٍ المولودَ المنتظر ، بل كانَ المولودُ المنتظر لا يزالُ فى بطْنِ أمّه آمِنَةَ بنتِ وهْب .

٣

حَمَلت آمِنَـةُ فمـا وجـدَتْ تعبًـا فـى الحَمْـل . إنهـا تسمعُ من النِّساءِ أنَّ الحملَ يُتْعِبهُن ، ولكنَّهـا لا تجدُ له مَشقَّة . ومـرت الأشـهر ، وإذا بهـا تَـرى أحلامًـا كثـيرَة ؛ رأت فيمـا رأت كأنَّـه خـرجَ منهـا نـور ، أضاءَت له قصورُ الشَّام .

وفى ذاتِ ليلة ، راحت فى النَّوم ، فسمِعَتْ هاتِفًا يهتِفُ بها :

ـ يا آمنة ، إنّك حَمَلْتِ بخيْرِ العالَمين ، فإذا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيه مُحَمَّدا ، واكْتُمى شأنَك .

وقامَت آمنةُ من نوْمها ، وتلَّفَتت فلم تجدْ أحدًا فى الغُرفَة ، فذهبَت لتنام ، ولكـنْ لم تُغْمِـضْ لها عيْـن ، وكان صوتُ الهاتِف لا يزالُ يَرنُّ فى أُذُنَيها :

ـ يا آمِنة ، إذا وَلَدْتِهِ سَمِّيه مُحَمَّدا .

وكَتمتْ آمِنَةُ ما رأَت ، ولَمْ تَذكُرْه لأحَد .

٤

وجاء آمنــةَ المَخَاض ، ووضعَت ما فى بطْنِهـا ، فكان وليدُها جميلا نظيفا ، وأرسَلَتْ إلى عبدِ المطّلب رسُولا ، فذَهـبَ إليـه وهـو جـالسٌ فـى الكعْبـة بـينَ ساداتِ قريش ، وقال له :

ـ جاءت آمنةُ بغُلام .

فقـام عبـدُ المطّلـبِ مسـرورا ، وذهـبَ إلى آمنـة ، وحَمَلَ الطّفلَ وهو فرحان ، ودخل بـه إلى الكعبة ، ثم عادَ به إلى آمنة ، وقال لها :

ـ لقد سمّيْتُه قُثَم .

كان لعبدِ المطلبِ ولدٌ اسمه قُثَـم ، مـاتَ وهـو ابـن

تسعِ سنين ، فحزِن عليه حزنًا شديدا ، فلما جـاءت آمنةُ بغلام ، أراد عبدُ المطلـب أن يُسـمِّيَه « قُثـم » ؛ تخليدا لذِكرَى ابنِه الـذى كـان يُحبُّـه ، ولكـنَّ آمنـةَ قالت له :

ـ أُمِرْتُ فى منامى أن أسمِّيَهُ مُحمّدا .

فضمَّه عبدُ المطّلبِ إلى صدرِه وقبَّله ، وقال :

ـ أرجو أن يكونَ لابنى هذا شأنٌ عظيم .

٥

كـان اليهـودُ يعيشـونَ فـى يَـثْربَ (المدينـة) مـع العرب ، وكانوا يقُولون لهم إنَّهم ينتظِرُون نبيًّـا يـأتى ويَهْدى النَّاسَ إلى النُّور ، وإنهم سيَنضمُّون إلى ذلـك النبىِّ عند ظهوره ، وإنهم سيَغْلِبُونَ به العرب .

وكان بعـضُ علمـاءِ اليهـود يقولـون للعـرب : إن هذا زمانُه .

وفـى نفـسِ اللَّيلـةِ التـى وُلـد فيهـا مُحمـد ، كـان يهـودىٌ يرصـدُ النُّجُـوم ، فـرأى نَجْمًـا لم يـرَه فـى السَّماء من قبل ، وكان هذا دليلا على مولِـدِ نبـىّ ، فقام اليهودىُّ على محلٍّ مرتفع ، وصاح :

ـ يا معشرَ اليهود .. يامَعْشَرَ اليهود .

فاجتمع الناسُ حوله ، وراحوا يسألونه :

ـ ماذا جرَى ؟ ... ماذا جرى ؟

ـ أمرٌ جليل .

ـ ويلَك ! مَالَك ؟

ـ طلعَ الليلةَ نَجمُ أَحْمد .

٦

وفى نفسِ اللَّيلة ، كانَ يهوديٌ يَمـرُّ علـى مجالِسِ قريش ، ويقول :

ـ هل وُلِد فيكم الليلَةَ مولود ؟

فينظرُ الناسُ إليه فى عجب ، ويقولون :

ـ واللّه لا نَعْلم .

فيقولُ اليهودىّ :

ـ احفَظُوا ما أقُوله لكم ، وُلِدَ هذه الليلَةَ نبىٌّ هذِه الأمة .

كَان اليهودُ ينْتَظِرون مجىءَ محمد ، ولكنه لما جاء إليهم ، ودعاهم إلى اللّه ، كذَّبُوهُ ولم يُصَدِّقُوه !

٧

وفـى اليـومِ السـابع مـن موْلِـدِ محمَّـد ، أمرَ عبـدُ المطَّـبِ بذبـحِ الذَبـائح ، ودعـا عظمـاءَ قُرَيْـشٍ إلى وليـمةٍ أعدَّها لهم ، فلمَّا جَاءُوا وأكلوا ، خرج عليهم بمحمَّد ، فراحُوا ينْظُرونَ إليهِ فـى عَطْـف وإشْفاق ؛ لأنَّه يتيم ، ولأن أباهَ مات قبل أن يراه .

وقال رجلٌ منهم :

ـ ماذا سمَّيتَه يا أبا الحارث ؟

فقال عبدُ المطلب :

ـ سمَّيتُه مُحمدا !

فقال رجلٌ آخر فى عجَب :

ـ ما حَملك على أن تُسمِّيَه مُحمدا ، وليس من أسمَاء آبائك ولا قَوْمِك ؟

لم يَشأ عبدُ المُطّلب أن يقولَ لهم إن آمِنَة أُمِرَت في منامها أن تُسَمِّيَه مُحمدا ، لأنها طَلَبَت منه أن يَكْتم ذلك ، فقال :

ـ أردْتُ أن يَحْمدَه اللّهُ في السَّماءِ ، وتَحْمَدَه النّاسُ في الأرض .

وانصرف النّاس ، وما درَى أحدُهم أن هذا المولودَ الذى أشفَقُوا عليه ، جاء لِيُخْرِجَهم من الظُّلماتِ إلى النُّور ، وأنّه دعوةُ إبراهيمَ التى دعاها يومَ أمرَهُ اللّه أن يبْنىَ الكعْبة ، ﴿ ربَّنا وابعَثْ فيهم رسولاً منهم ، يتْلُو عليهم آياتِك ، ويُعلِّمهم الكتابَ والحكمةَ ويزكيهم ، إنّك أنتَ العزيزُ الحكيم ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

حليمة السعدية

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فقدْ لبِثْتُ فيكم عُمرًا من قَبلِه ، أَفلا تعْقِلون ﴾ .

(قرآن كريم)

وضعَتْ آمنةُ ثديَها فى فَم ابْنِها ، فى اليوم الثانى لمولِده ، فلم تجدْ فيه لَبَنا ؛ فقد جَفَّ لبنُها ، لِمَا أصابَها من حُزْنٍ لموتِ زوْجها . وكان الحرُّ شديدا فى مكة ، فَخَشِيتْ آمِنَةُ أن يُؤَثِّر هذَا الحرُّ فى ابنِها ، فراحت تبحثُ عن مرْضعٍ تُرْضِعُه ، حتى تأتِيَ المراضِعُ من البادِيَة ، فتُعطِيَهُ مُرْضِعا منهُن ، تأخذه معها بعيدًا عن حرِّ مكّةَ الشديد .

ووجدت آمنةُ أنَّ ثُوَيْبَةَ جاريةَ عمِّه أبى لهبٍ تُرْضع ابْنَها ، فأعطَتْها مُحَمَّدًا لتُرضِعَه ، فأخذَتْهُ ثُوَيْبَة ، وأرضعَتْهُ ثلاثةَ أيام ، وبعدها علِمتْ آمنةُ أن المراضعَ جئن من البادِية إلى مكة ، يلتمسنْ الأطفال ، فطلَبتْ من جَدِّه عبد المطلب ، أن يَخرُج ، ليبحثَ له عن مُرْضع .

٢

لم ينزلِ المطرُ في هذه السنة ، فلم تنبُتِ المراعــي فــي هَوازن . وهي قَبيلةٌ مـن قبـائل العـرب ، فكـانت سـنةً شـديدةً علـى النـاس ، حتـى إن عشـرًا مـن نسـاءِ بنـي سعد ، من هوازن ، خرجْنَ إلى مكةَ يطلُبْـن الرُّضَعـاءَ ، وكانت من بينِهن حليمةُ بنتُ أبي ذُؤَيب ، وخرج معَها زوجُها الحارثُ بنُ عبـدِ العُزَّى ، وكـانت تحمـل ابنَهـا عبدَ اللّه ، وترضعُه .

ركِبَت حليمةُ حِمارَها الأبيض ، ومعها ناقةٌ مُسنة ، ليس في ضَرْعها قَطْرةُ لَبَن . وسار الرِّجالُ والنِّسوةُ في طريقِهم إلى مكة ، حتى إذا جاءَ الليلُ ناموا في خَيْمة ، وما كانت حليمـةُ وزوجُهـا ينامـان مـن بكـاءِ ابنِهمـا . كان يَبْكي من الجُوع ، فما كان في ثَدْي حليمةَ لـبن ،

ولـولا الشِّـدةُ التـي كـانت فيهـا مـا خرجَـتْ تطلـبُ رُضَعاء . كانت تَطْمَعُ في أنْ تأخُذ ابـنَ غنـيٍّ يدفـعُ لهـا مالاً كثيرا يساعِدُها على العَيْش .

وفي الصباح ، استأنفُوا السيرَ إلى مكة ، وقد تأخَّرُوا عـن الوصـولِ إليهـا ؛ لأن حمـارَ حليمـةَ كـان ضَعيفـا هزيلا ، فكانُوا يُضْطَرُّون إلى انتظارِها .

وأخيرًا وصلُوا إلى مكَّة ونزَلُوا بهـا ، وانتظَـرُوا أن يأتِيَ منْ يَطْلُبُ المَراضع . وكانت كلُّ مُرْضِع ترجُو أن تعُودَ ومَعها طفلٌ من أَبناء الأغْنِياء .

٣

خرجَ عبدُ المطَّلبِ إلى المراضع ، يَعرِضُ عليْهن حفيدَهُ مُحمَّدا ، فراحَ يدُور عليْهن ويقول :

ـ يا هذهِ ، إن عندِي غلاما يَتيما ، أتأخُذِينَه ؟ فتقول المُرْضِع وهي تُعْرِضُ عنه :

ـ ما عند اليتيمِ منَ الخَيْر ؟ ! إنَّا نلتمسُ الكرامةَ من الآبَاء .

واستمرَّ عبدُ المطلب يَعرِضُ على المراضِع أخذَ محمَّد ، ولكنَّهن رفَضْنَ أن يأخُذْنَه ، لأنَّه يتيم ، ليس لهُ أبٌ تُلْتَمَسُ الأموالُ منه .

وأخذَتْ كلُّ مرْضع طِفلا ، وعبدُ المطَّلب يعْرِضُ حفيدَه عَليْهن فيقُلْن له :

ـ يتيم ؟ ! ما عَسى أن تَصْنَعَ أمُّه وجدُّه !

كرِهتْهُ المراضعُ لذلك ، وما بقيتِ امرأةٌ إلا أخذَتْ رضِيعًا غيرَ حليمة ، وأجمعت النِّسْوَةُ على الرُّجوعِ إلى ديارهن ، فالتفتت حليمةُ إلى زوْجِها الحارث ، وقالت :

ـ واللّه إنِي لأكرهُ أن أرجِعَ من بين صَواحبي ولم آخذْ رَضِيعا .

ورآها عبدُ المطَّلب تنتظِر ، فذهب إليها ، وقال :

ـ من أنت ؟

فقالت حليمة :

ـ أنا امرأةٌ من بني سَعْد .

ـ ما اسْمُك ؟

ـ حليمة .

فتبسَّم عبدُ المطلب وقال :

ـ سعدٌ وحِلم ! خَصْلتان فيهما خيرُ الدَّهر ، وعزُّ الأبَد . يا حَليمة ، إنَّ عندي غلامًا يتيمًا ، وقد عرضْتُهُ على نساءِ بني سعد ، فأبيْنَ أن يقْبَلْنَهُ ، وقُلن : ما عندَ

اليتيمِ مِن الخير ! فهل لك أن تُرضعيه ، فعسى أن تسعَدِى به ؟

فقالت له حليمة :

ـ انتظرنى حتى أشاورَ زوجى .

وشاورَتْ زوجَها ، فقال لها : خُذيه .

فرَجَعت إلى عبدِ المطلب وقالت :

ـ أينَ الصبىّ ؟

فرِح عبدُ المطلب ، لأنَّه وجدَ مُرضِعا لمحمَّد ، وقال لها :

ـ تعالَىْ .

وأخَذها إلى بيتِ آمنة ، فقابلتْها آمنةُ مرحِّبة ، وأدْخَلتها إلى حيثُ ينام محمد . نظرتْ إليه حليمة ، فوجدَتْه ملفُوفًا فى ثوبٍ من الصوفِ الأبيض ، وتحتَه حريرةٌ خضراء ، راقِدًا على قَفاه ، فأشْفقت أن توقِظَه من نَومه ، لحُسنِه وجماله ، فوضعتْ يدَها على صدره ،

فتبسَّم ضاحكا ، وفتَّح عينَيْه ، فأحسّت حليمة انجذابا إليه ؛ أحبَّتْه لَمّا رأته ، فمالت عليه ، وقبَّلَتْهُ بين عينيه ، ثم مالت وحَملَته ، وخرجت به إلى صواحبها .

٤

وضَعَتْهُ حليمةُ فى حِجْرِها ، ووضَعتْ ثديَها فى فَمه ، فإذا بثَدْيِها قد امتلأ لبنا ، فأرْضَعَته وهى تَعْجَب ، وأرضعت ابنَها عبدَ اللّه حتى ارْتَوى ، ولما جاءَ الليلُ نامُوا مِلْءَ الجفون ، وما كانُوا ينامُون من صِيَاح عبدِ اللّه ، الذى كان يَبْكى من الجوع .

وفى الصَّباح قامَ الحارِثُ زوجُ حليمةَ إلى الناقةِ المسنَّة ، فحلب منها ما شرب ، وما قدَّمه لحليمةَ حتى شبِعَت ، فقال الحارثُ لزوجته :

ـ تعلَّمِي ياحليمة ، لقد أخذتِ نَسمةً مباركة .

فقالت له حليمة :

ـ واللّه إنى لأَرْجُو ذلك .

واستعدَّ القومُ للعودةِ إلى بنى سعد ، فركِبتْ حليمةُ حمارَها الهزيل ، وحَمَلت محمَّدا معها وإذا بالحمارِ يجرى حتى يسْبِقَ الرَّكْب ، فنظر صواحبُها إليها فى عَجَب .

ـ يا حليمة ، أليسَ هذا حمارَك الذى خرجْت عليه ؟

ـ إنه لهُو .

٥

ترعْرَع محمدٌ فى بنى سعْد ، حتى إذا بلغَ سنتيْن ، خرجت به حليمةُ إلى أُمّه وهى حزينَة ، أحبَّتْه حبًّا شديدا ، حتى كان يُحزِنُها أن تفارِقَه .

وضمّتْ آمنةُ ابنَها إليها فى حُب ، وقبَّلتْه ، وأرادت أن تبقِيَه إلى جوارِها ، وأحسَّت حليمةُ ألما لفراقه ، فقالت لآمنة :

ـ دعِينَا نرْجِعْ به هذه السنةَ الأخرى ، فإنى أخْشى عليه وَباءَ مكة .

وظلت حليمة تتوسل إليها أن تردَّه معها سنةً أخرى ، حتى قبلت آمنة ، ففرِحَتْ حليمةُ وأخَذَتْهُ مسرورة ، فقد كانت تحرِص على أن يمْكُثَ فيهم .

وعادت به إلى دارِها ، فكان يخرجُ ينظُر إلى الصّبيانِ يلعبون فَيَجْتَنِبهُم ، ويَبحثُ بعينَيْهِ عن أولادِ حليمةَ فلا يجدُهم . فذهبَ إليها يومًا وقال :

ـ ما لى لا أرَى إخْوَتِى بالنهار ؟

فقالت به :

ـ فَدَتْكَ نَفْسِى ، إنَّهم يرْعَوْن غَنَمًا لنا .

ـ ابعَثِينى معهم .

وخرج محمدٌ يرعى الغنم ، وكان يخرجُ مسرورا ، ويعودُ مسرورا ، ينظُر إلى السَّماءِ وإلى الفَضاء . وفى ذاتِ يوم خطر له أن يصْعدَ فى الجبل ، فراح يرتَقِيه ، ورآه ابنُ حليمةَ وهو يَصْعد ، فجرى إلى أُمِّه يخبرُها ، فراحت حليمةُ وزوجُها الحارثُ يَعْدُوان ، حتى إذا بلغاه وجدَاه جالسًا على قِمّةِ الجبل ينظُر إلى السماء ، كان على رَغْمِ صغرِه مشغولاً بالكون يُقَلِّبُ

بصرَه فيه .

فحملته حليمة ، وقبَّلَتْه بين عينيه ، وأخذت تَهْبِطُ به ، دونَ أن يَخْطُرَ على بَالِهاَ أنَّه قد ارتبطَت الأسبابُ بينه وبين السماء .

٦

وأقيمَ سوقُ عُكاظ ، وكان العربُ يجْتمِعُون فيها ، يَذْكرُون مفاخِرَهم . وكان المنجِّمُون يَكثُرون فى هذه السوق ، والناسُ يَعرِضُون صبْيَانهم عليهم . ورأت حليمةُ أن تذهبَ إلى هذه السوق ، فلما بلغتها قدَّمت مُحمدا إلى العراف (المنجِّم) ، فنظر العرَّافُ إليه وصاحَ :

ـ يا معشرَ العرب ، يا معشرَ العرب .

فاجتمع الناسُ إليه ، فصاح :

ـ اقْتلوا هذا الصَّبىّ .

والتفتَ فلم يجِدِ الصبىّ ، وكانت حليمةُ قد فرّت بمحمَّد ، فصاح الناس :

ـ أىَّ صَبىّ ؟

فيقولُ العراف :

ـ رأيتُ غلاما ، والآلهةِ ليقتُلنَّ أهلَ دينكم ، وليُكسِّرَنَّ آلِهَتكم ، وليَظْهَرَنَّ أمرُه عليكم .

٧

أصبح عُمْرُ محمدٍ ستَّ سنوات ، فأخذَتْه حليمةُ لتعيدَه إلى أمِّه ، ولما لاحتْ لها مكة ، التفَتتْ إليه ، فلم تجِده ، فراحتْ تبحثُ عنه ، فلما لم تجِدْه قَلِقَت ، وذهبَت إلى جدِّه عبد المطلب ، وقالت له :

ـ إنى قَدِمْتُ بمحمدٍ هذِهِ الليلة ، فلما كنتُ بأعالِى مكةَ أضلَّنى ، فواللّه ما أدْرِى أين هو ؟

وكان رجلانِ من قريْش قادِمَيْن إلى مكة ، فوجدا صبيًّا صغيرا فى وادى تهامة عند الشجرة ، يقلِّبُ وجهَه فى الكون ، فقالا له :

ـ من أنت ؟

فقال فى ثبات :

ـ أنا محمدُ بنِ عبدِ اللّه بن عبدِ المطلب بنِ هاشم .

فاحتملاه ، وذهبا إلى عبد المطلب ، فلما رآه جَدُّهُ قام إليه يعانِقُه ، وفرحت حليمةُ به ، وأخذَتهُ إلى أمِّه ، فقالت لها آمنة :

ـ ما أَقدمَكِ به ، وكنتِ حريصة عليه ، وعلى مُكْثِه عندك ؟

فقالت حليمة :

ـ قد قَضَيْتُ الذى علىّ ، وتخوَّفتُ عليه الأَحداث فأدَّيْتُه إليك كما تحبِّين .

وتركَتْهُ حليمةُ لأمه وانصرفت . ولن يَمْكُثَ محمدٌ مع أُمّه طويلا ، إن هى إلا أَشهرٌ قليلة ، حتّى تموتَ آمنةُ وتتركَه ، فقد كُتِبَ عليه أَن يَشِبَّ يتيما .

القصص الديني

الحلقة الثانية

قصص السيرة

اليتيم

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأَغْنَى * فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ .

(قرآن كريم)

١

رأتْ آمِنةُ أن تخرجَ بابنِها محمَّد إلى يَثْرِب (المدينة) ، ليزورَ أخوالَه من بنى النَّجَّار ؛ فراحتْ تستعِدُّ لرحلةٍ طويلة ، فى الصَّحْراءِ المترامِية ، فأمرت أُمَّ أيمن ، وكانت جاريةً ورِثها محمدٌ عن أبيه ، أن تُعِدَّ طعاما ، وأن تُجَهِّزَ جملا ، تضع فوقَه هَوْدجًا يحميهم منَ الشمسِ الحاميةِ فى الطريق .

وانتظرت آمنةُ حتى وجدتْ قافلةً ذاهبةً إلى المدينة ، وأخذت معها محمَّدًا وأمَّ أيمن ، وانضمت إلى الرَّكْب ، واستمرتِ القافلةُ فى سيرِها حتى بلغتِ المدينة ، فذهبت آمنةُ وابنُها إلى بنى النجار ، وتعرَّف محمدٌ بأخوالِه ، ومكث عندَهم شهرا ، يتمتَّعُ بجوِّ المدينةِ اللَّطيف ، ويسمعُ خَريرَ الماء فى الحُقُول ، وينعَمُ بالحدائقِ والزُّهور ، فقد نشأ فى

مكّة ، حيث الحرُّ الشديد ، والفضاءُ الواسعُ كبحرٍ هائل من الرِّمال .

وفى المدينةِ تعلَّم محمدٌ العَوْم ، ولعِبَ مع أبناء أخواله . ولما انتهتِ الزِّيارة ، وخرجتِ القافلةُ من يثرب . هبت عاصفةٌ شديدةٌ فى الطريق لم تحتملْها صحَّةُ آمنة . وفى ليلةٍ من الليالى ، ماتت آمنةُ فى الطريق ، ومحمدٌ يذرفُ عليها دمعَه ؛ وحملتها أمُّ أيمنَ إلى قريةِ « الأبواء » ودفنتها بها . واستأنفتِ الجاريةُ والغلامُ اليتيمُ الرِّحلة ؛ وعاد محمدٌ إلى مكة ، والحزن يعتصِر قلبه .

٢

عاش محمدٌ فى رعايةِ جَدِّه عبدِ المطلب ، وكان جدُّه يُحبُّه ، ويعطفُ عليه ، لا يأكلُ إلاّ إذا أكلَ معه ، ولا يخرجُ إلاّ إذا خرج معه ، وكان يُوضَع لعبدِ المطَّلبِ فِراشٌ فى ظلِّ الكعبة ، فكان أبناؤه يجلسون حول فِراشه ذلك حتى يخرجَ إليه ، لا يجلسُ عليه أحدٌ من بنيه إجلالاً له ، فجاء محمدٌ مرَّةً وهو غلام ، وجلس عليه ، فأخَّره أعمامُه عنه ، ورأى عبدُ المطَّلب ذلك منهم ، فقال لهم :

ـ دعوا ابنى ، فواللّه إن له لشأناً .

ثم أجلسَه على الفراش ، وراح يمسَح ظهرَه بيدِه .

٣

ومرض عبد المطّلب ، فلزِمَ فراشَـه ، فكان أبناؤه يأتونَ إليه يزورونَه ؛ وكان محمدٌ يقِفُ بالقربِ من سريرِ جَدِّه ، وينظُر إلى وجهِه الذّابل ، فيُحِسُّ حزنا . لقد ماتت أمُّه وتركته ، فكفلهُ جَدُّه ، وها هو ذا جدُّه يموت ، فمن يَكفُلُه من بعده ؟

عَرفَ محمدٌ ألَمَ اليُتْم ، وسكن قلبه الحُزن ، فأخذ ينظُر إلى جدِّه المريض ، وفى فؤادِه أسىً عميق .

ولَمَحه جدُّه وهو ينظر إليه دامعَ العين ، فتحركت شفقتُه ، فدعاه ، وراح يمسحُ ظهرَه بيدِه فى حَنَان ، ثم أوصى ابنَه أبا طالب أن يكفُلَهُ بعدَه .

ومات عبدُ المطّلب ، ووقف محمد خلف سريرِه يذرُفُ الدَّمعَ السَّخين ، وحزِنت مكةُ على عبدِ

المطّلبِ حُزنا لم تحزَنه على أحدٍ قبلَه ، وأُغلِقت الأسواق ، فلم تَقُم بمكةَ سوق لموتِه .

وأخذ أبو طالبٍ محمَّدًا اليتيم ، وضمَّه إلى أولاده ، وأحبَّه أبو طالبٍ حبّا فاقَ حبَّه أبناءَه ، فما كان يأكل إلاّ معَه ، ولا ينامُ إلاّ إلى جنبِه .

٤

قُريشٌ تستعدُّ لخروج القافلة إلى الشّام ، والإِبلُ فى السُّوق محمَّلةً بالبضائع ، والْحَمِيرُ والبِغالُ تغدو وتروح .

وكان على رأس القافلة أبو طالب ، فلما ركِب ناقَته ، واستعدَّ الجميعُ للسَّير ، أمسك مُحمَّدٌ بزمامِ ناقةِ أبى طالب ، وقال :

ـــ يا عمَّ ، إلى مَن تَكِلُنى ، ولا أبَ لى ولا أمّ ؟

فرقّ له قلب أبى طالب ، وقال :

ـ واللّه لأخرُجنَّ به معى ، ولا يفارقُنى ولا أفارقُه أبدا .

ثم أركبَه على الناقةِ خَلْفه ؛ ففرح محمدٌ فرحًا شديدا ، فهو يخرج لأوّل مرَّةٍ من مكة ، ليرى عالما جديدا ، لم تقع عليه عينُه قبل الآن . وسارت القافلة فى الصّحراء أيامًا وليالى ، حتى وصلت إلى سوقِ بُصْرَى ، وهى مكانٌ بشرق الأردُنّ ، وكان يأتى إليه التّجار الرومان ، ليقايضوا العرب ببضائعهم .

وكان بالقربِ من السوق دير ، وكان بذلك الدير راهبٌ اسمُه بَحيرا ، وكانت قوافلُ العربِ تمرُّ بالدير فلا يلتفتُ إليها بَحِيرا ، ولكنَّ هذه القافلَةَ التى بها محمد ، لفتتْ نظَره ، فأرسلَ إلى أبى طالب :

ـ إنى قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشرَ قُريش ، وأحِبُّ أن تَحضُروهُ كلُّكم : صغيرُكم وكبيرُكم ، وعبدُكم وحرُّكم .

فتعجَّبوا من أمرِه ، وقال رجلٌ منهم :

ـ بَحيرا ، ما كنتَ تصنعُ هذا بنا وكنّا نمرُّ عليكَ كثيرا ، فما شأنُك اليوم ؟

فقال بَحيرا :

ـ صدقت ، قد كان ما تقول ، ولكنَّكُم ضَيْف ، وقد أحبَبْتُ أن أُكرمَكم ، وأصنعَ لكم طعاما ، فتأكلوا منه كلُّكم .

فذهبوا إليه ، وتخلَّف مُحمد ، وجلس وحدَه تحتَ الشَّجرة ، فقال بَحيرا :

ـ يا معشرَ قريش ، لا يتخلَّفْ أحدٌ منكُم عن طعامى .

فقالوا :

ـ يا بَحيرا ما تخلَّفَ عن طعامِك أحدٌ ينبغى له أن يأتيَك ، إلاّ غُلام ، وهو أحدثُ القوم سنّا .

فقال بَحيرا :

ـ فليحضُر هذا الغلامُ معكم ، فما أقبحَ أن تحضُروا ويتخلَّفَ رجلٌ واحد ، مع أنيّ أراهُ من أنفسِكم .

فقال رجل :

ـ واللّاتِ والعُزّى (صنمان كانوا يعبدُونهما) إنَّهُ لُؤمٌ منّا أن يتخلّفَ ابنُ عبدِ اللّه بن عبد المطَّلب ، عن طعام من بينِنا .

ثمَّ قام إليه ، وجاء به فأجلسَهُ مع القوم .

وجلس محمدٌ إلى جوارِ بَحيرا ، وأقبل بَحيرا عليه يحدِّثه . قال له :

ـ بحقِّ اللّاتِ والعزّى إلاّ ما أخبرتَني عمّا أسألُك عنه ؟

وكان محمَّدٌ يكرهُ الأصنام ، ولا يعترف باللاّت والعُزَّى وهُبَل ، والأصنام الأخرى التي يعبُدها قومُه ، فقال :

ـ لا تسألْني باللاّتِ والعُزَّى شيئا ، فواللّه ما أُبغِضُ شيئًا قطُّ بغضَهما .

فنظر إليه بَحيرا مدة ، ثم قال :

ـ فباللّه إلاّ ما أخبرتني عما أسألُك عنه ؟

فقال له محمد :

ـ سلْني عما بدا لك .

فجعل بَحيرا يسألُه عن أشياءَ من حالِه ، ومن نومِه . فلما فرَغ ، ذهبَ إلى أبي طالب ، وقال له :

ـ ما هذا الغلامُ منك ؟

قال أبو طالب : ابني !

فقال بَحيرا في توكيد ؛ لأنه كان يعلمُ أن النَّبيَّ المنتظرَ يشِبُّ يتيما :

ـ ما هو ابنَك ، وما ينبغي لهذا الغلامِ أن يكونَ أبوه حيّا .

قال أبو طالب :

ـ فإنه ابنُ أخي .

ـ فما فعلَ أبوه ؟

قال أبو طالب : مات وأمُّه حبْلَى به .

ـ صدقت ، وما فعلتْ أمُّه ؟

ـ تُوُفِّيت قريبا .

ـ صدقت . فارجِع بابنِ أخيك إلا بلادِه ، واحذَرْ عليه اليهود ، فواللّه لئن رأوه ، وعرَفوا منه ما عرَفت ليَقْتُلُنّه .

٥

عاد محمَّدٌ من الشام ، فكان يرعَى غنَم أهله ، يَمضي نهارَه في الفضاء يتأمَّل الدنيا ، وينظُر إلى السَّماء ، فتتفتَّح لهُ أسرارُ الكوْن ، ويحنو على الغنم الضَّعيفة ، فتسكُن قلبَه الرأفة . كانت رعايةُ الغنمِ إعدادًا له لرعايةِ الناس !!

وفي ذاتِ ليلة ، أراد محمَّدٌ أن يَلْهوَ في مكة كما يلهو الفِتيان ؛ كان أغنياءُ مكة يُقيمونَ في بيوتِهم الحَفَلاتِ الصاخبة ، فتُغنّي المغنيات ، وترقص الراقصات . وكان الفِتْيان يذهبون إلى تلك الحفلاتِ ، يُشاهدون الرقص ، ويستمعونَ إلى الغِناء ، فالتفتَ إلى فتىً كان يرعَى معه الغنم ، وقال له :

ـ احْرُسْ عليَّ غنمى حتى أسْمُرَ هذه الليلةَ بمكــة ، كما يسمُرُ الفِتيان .

قال الفتى : نعم .

وراح الصَّبىُّ يحْرُسُ غنَمَ محمَّــد ، وذهـب محمَّـد ، حتى إذا بلغَ دُورَ مكة ، سمِع غِنـاءً وصـوتَ دُفوفٍ ومزامير ، فقال :

ـ ما هذا ؟

ـ رجلٌ من قريش تزوَّجَ امرأةً من قريش .

وجلس لينظر ، وإذا بالنومِ يغلِبـه ؛ فنـامَ دون أن يَرَى أو يسمعَ شيئا ، ومرَّ الليل ، وما أيقظه إلا حــرُّ الشمس ، فقام وعاد إلى غنمِه .

إن اللّه الذى عَصمَه من أن يعبُد الأصنام ، عصمه من أن يلهُو كما يلهو فِتْيانُ قريــش ؛ لأن اللّـه كـان يُعدُّه لأمر عظيم .

٦

قدم رجلٌ إلى مكةَ يبيــع بضاعَــتَه ، فاشــتراها منه أحدُ أشرافِ قريش ! ولكنه لم يُعطه حقَّـه ، فذهب الرَّجُل إلى أشرافِ القوم ، يسألُهم أن يُساعدوه على ردِّ حقِّه ، فرفضوا . فصعـد الرجـل على جبـلِ أبـى قُبيس وهو جبـلٌ بمكـة ، وراح يصيـح ، يطلـبُ من ينصُرُه . فقام إليه الزُبيرُ بن عبدِ المطَّلب ؛ عمُّ محمد ، وأشرافُ قريش ، ودخلوا دارَ ابن جُدْعان ؛ وكان دارَ المشـورةِ والاحتفــالاتِ بمكـة ، ودخــل محمَّـ معهـم ، واتَّفقـوا علـى أن يكونـوا يـدًا واحـــدة مـ المظلومِ على الظالم ، حتى يُردّوا إلى المظلومِ حقَّه .

وساروا إلى الشَّريف ، الذى لم يدفـعْ لـلرَّجلِ ثـ بضاعتِـه ، وأخــذوا منــه البضاعــةَ ، وردّوهــا إ الرجل .

اشترك محمَّـد فى هـذا الحِلْـف الـذى أُطْلِـقَ عليـه حِلفُ الفُضُول ؛ لأنه كان يَكرهُ الظلم ، ولأنه كـان ذا عواطفَ نبيلة ، تدفعه إلى مدِّ يدِ المعونةِ إلى المظلوم والمغبون .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

خديجة
بنت خويلد

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

شَبَّ محَّمد حتى بلغَ الخامسةَ والعشرين ، وقد اشتهرَ أمرُهُ فى مكَّة ، وعرَفَ النّاس فيه النزَّاهة ، وطهارةَ الذمَّة ، والعِفَّة ، والأمانة ، فسمَّوه « الأمين » . وفى ذاتِ يومٍ كانت مَكَّةُ تستعِدُّ لخروج تجارةِ خديجةَ بنتِ خُوَيْلد ، وكانت خديجةُ من أشرافِ قريش ، ومن أغنيائِها ؛ كانت تستأجرُ الرِّجالَ للخروجِ فى تجارتِها ، وتُقرِضُ التُّجارَ الأموالَ ليُشاركوها فى تجارتِها ، وفى أرباحِها ، حتى تضمَنَ أن يُخلِصوا لها .

وفى ذلك اليوم قابلَ أبو طالبٍ محمَّدا ، فقال له :

ـــ أنا رجلٌ لا مالَ لى ، وقد اشتدَّ الزمان ، وأقبلتْ علينا سِنونَ مُنْكَرة ، وليس لنا تجارة ، وهذه

قوافل قومِك قد حضر خروجُها إلى الشام ، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِد ترسل رجالا من قومِك فى قوافِلها ، فيتّجرونَ لها فى مالِها ، ويُصيبون منافع ، فلو جئتها وعرضْتَ نفسكَ عليها ، لأسرعَتْ إليك ، وفضَّلَتْك على غيرِك ، لما يبلغُها عنك من طهارَتِك .

فقال محمد :

ـ فلعلها أن تُرسلَ إلىَّ فى ذلك .

فقال له عمُّه أبو طالب : إنه يَخاف أن تُولِّىَ غيرَه ، إذا لم يَعْرِضْ نفسه عليها .

ولكنَّ محمَّدا أبى أن يَعْرِضَ نفسهَ ، فما كان يُحِبُّ أن يُكلِّمَ أحَدًا فى أن يفعلَ له شيئا .

٢

ذهب أبو طالب إلى خديجة ، وقال لها :

ـ هل لكِ أن تستأجِرى محمَّدا .

فقالت له خديجة :

ـ لو سألتَ ذاك لِبَعيد بَغيض لَفعلنا ، فكيف وقد سألتَ لحبيبٍ قريب ؟

وأَرسلت خديجةُ إلى محمَّد ، فلما جاءَها ، قالت له :

ـ إنَّى دعانى إلى أن أُرسِلَ إليك ، ما بلغنى من صِدْق حديثِك ، وعِظَمِ أمانَتِك ، وكَرَمِ أخلاقِك ، وأنا أعطيك ضِعفَ ما أعطِى رجلا من قومِك .

وقَبِل محمَّدٌ أن يَعملَ فى تجارةِ خديجة ، وقَابلَ عمَّه أبا طالب ، وذكرَ له ذلك ، فقال له عمُّه :

ـ إن هذا الرِّزقَ ساقه اللّه إليك .

٣

تأهَّب محمَّدٌ للخروجِ فى تجارةِ خديجة ، مع عبدِها مَيْسرَة ، فجاء أعمامُه يودِّعونَه ، ويُوَصُّون به الرِّجال . كانت هذه أوّلَ مَرَّةٍ يخرجُ فيها وحدَه .

وسارت القافلةُ ليالىَ وأيّاما ، ومحمَّدٌ وميسرةُ يتحدَّثان ، فيُعْجَبُ ميسرةُ بحديثِ محمَّد ، وحسنِ أخلاقِه ، وكانت الأيامُ تَزيدُه قُربا من نفسه .

ووصلتِ القافلةُ إلى سُوق بُصْرَى ، فراح محمَّدٌ وميسرةُ يبيعان تجارةَ خديجةَ ، فكان بين رجل وبين محمد ، اختلافٌ فى سِلْعة ، فقال له الرَّجل :

ـ احلِف باللّاتِ والعُزَّى .

فقال محمَّد :

ـ ما حلَفتُ بهما قَطّ .

فقال له الرَّجل ، وهو ينظر إليه فى دَهَش ، فالعربُ جميعا يحلفونَ بهما :

ـ القولُ قولُك .

لم يعارض الرَّجلُ محمَّدا ، لأنه فَطَنَ إلى أنّه يختلفُ عن هؤلاء التُّجَّارِ الّذين يحلِفونَ بالأصنام ، ويَكْذبون فى قَسَمِهم .

باع الرجالُ ما معهم ، وقد ربِحوا ربحًا عظيما ، فجاءَ ميسرةُ إلى محمَّد ، وقال له وهو فرحان :

ـ يا محمد ، اتّجَرْنا لخديجةَ سنين ، فَمَا ربِحنا ربحا قطُّ أكثَر من هذا الربحِ على وجهِك .

٤

وقفتْ خديجةُ فى غُرفةٍ عاليةٍ تنتظر ، فرأت الجمالَ والحميرَ والبغالَ قادمةً من بعيد ، وقد ارتفع غُبارُها ، فعرفتْ أن قوافلَها عائدةٌ من الشام ، فقد حانَ وقتُ عَودتِها .

كانت القوافلُ القادِمةُ هى قوافلَ خديجة ، يسير فى مقدَّمِها محمَّدٌ وميسرة ، فالتفت ميسرةُ إلى محمَّدٍ وقال :

ـ هل لك أن تسبِقَنى إلى خديجة ، فتُخبرَها بما صنع اللّه تعالى على وجهك ؟

فتقدَّم محمَّد ، وكان الوقتُ ظهرا وخديجةُ واقفةٌ فى غُرْفَتِها تنظر ، فلما رأتْه وهو راكب على جملهِ عرفَتْه ، فاستعدَّت لاستقباله .

دخل محمَّدٌ عليها وسيمًا جميلا ، وراح يَقُصُّ عليها ما فعلَه فى الرِّحلة ، ويُخبرُها بما ربحوا ، فتُصغِى إليه وهى مُنشرحة ، تُحسُّ قلبَها يَتَفَتَّحُ له .

ولما انتهى من حديثِهِ ، قالت له :

ـ أينَ مَيْسرة ؟

فقال محمَّد :

ـ خلَّفتُه فى الصَّحْراء .

فقالت له خديجة :

ـ عَجِّل إليه ، ليعجِّلَ بالإقبال .

أخبرها محمد بما رَبحت ، وهو ضِعفُ ما كانت تربح ؛ لم تكنْ تُريد ميسرةَ لتسمعَ منه أخبارَ التِّجارة ، بل كانت تُريده ليقُصَّ عليها أخبار محمَّد ، وما فعله فى رحلته . ؟

٦

كَانت خديجةُ في الأربعينَ من عمرها ، وكَان الناس يَدْعونَها « بالطّاهرة » ، و « سيدةَ قُريش » ، وكَانت جميلة ، بيضاءَ تميلُ إلى السِّمَن ، وكَان شعرُها أسودَ ناعما ، وعيناها واسعتين ، عرض عليها أشرافُ قريش أن يتزوَّجوها فرفضتهم ، لأنها لم تجدْ فيهم رجلاً كُفئا لها ، ولكنها لما رأت محمدا أحبته ، وفكَّرت في أن تتزوَّجه ، ولكن كيف تفاتحُه في هذا الأمر ؟

كان محمَّدٌ وميسرةُ يخرجان معا في تجارتِها ، فتوطَّدت بينهما الصَّداقة ، فرأتْ خديجةُ أن تُرْسلَ إليه مَيْسرة ، يفاتحُه في أمرِ زواجها ، فجاء ميسرةُ إلى محمّد ، وقال له :

ـ يا محمَّد ، ما يمنعُك أن تتزوَّج

فقال له محمَّد :

ـ ما بيدى ما أتزوَّج به .

فقال له ميسرة :

ـ وإن كُفِيتَ ذلك ، ودُعِيتَ إلى المالِ والجمال ، والشَّرفِ والكِفاية ، ألا تُجيب ؟

قال له محمَّد :

ـ فمنْ هى ؟

قال ميسرة :

ـ خَديجة .

فقال محمد ، وهو لا يكادُ يُصدِّق :

ـ وكيف لى بذلك ؟ !

فقال له ميسرة :

ـ أنا أفعل !!

٧

ذكر مَيْسرةُ لخديجةَ أنه كلَّم محمَّدا فى أمر زواجه منها ، وأنَّه رحَّب بهذا الزَّواج ، فرضِيت خديجة ، وأرسلت إلى محمد :

ـ يا بنَ عمّ ، إنى قد رغِبت فيكَ لقرابتِك ، وشرفِك فى قومِك ، وأمانتِك وحسنِ خُلقِك ، وصدق حديثِك .

كانت خديجةُ قريبةَ محمَّد ؛ كان قصيٌّ جدَّه وجدَّها .

واتَّفقتْ معه على ساعةٍ يأتى فيها مع أعمامِه ، ليُتمَّ الزواج ، وفى الساعةِ التى جُعِلَتْ مَوْعِدا ، جاء محمَّدٌ وعمُّه أبو طالب ، وحمزةُ بن عبدِ المطَّلب ، وأشرافُ قريش ، ودخلوا فوجدوا أهلَ خديجة ينتظرونهم .

قام أبو طالب ، وقال :

ـ إنَّ ابنَ أخى هذا ، محمَّدُ بنُ عبدِ اللّه ، لا يُوزَنُ به رجلٌ إلا رجَحَ به شَرفًا ونُبلا ، وفضلاً وعقلا ، وإن كان فى المال قِلّ ، فإن المالَ ظِلٌّ زائل ، وقد خطبَ إليكم رغبةً فى كريمتِكم خديجة .

فقام ورقة بنُ نوفلَ ـــ وكان قريبَ خديجة ـــ وقال :

ـ اشهَدوا علىَّ معاشرَ قريش ، أنِّى قد زَوجتُ خديجةَ بنتَ خُوَيْلد ، من مُحمَّدِ بنِ عبدِ اللّه .

فقال أبو طالب ، لأنه كان يُريد أن يسمعَ القَبولَ من أقربِ رجل إليها :

ـ قد أحببتُ أن يَشْرَكَكَ عمُّها .

فقام عمُّها ، وقال :

ـ اشهَدوا علىَّ معاشرَ قُريش ، أنِّى قد زوجتُ خديجةَ بنتَ خُويْلد ، من محمَّدِ بنِ عبدِ اللّه .

وقام الرجالُ إلى الوليمةِ التي أعدَّها محمد ، وأمرت خديجةُ جواريَها أن يرقصنَ ويضربنَ بالدُّفوف . وتم زواجُ محمدٍ الأمين ، بخديجةَ الطاهرة ، سيدةِ قريش .

٨

واتفقت قريشٌ على تجديدِ الكعبة ، فجمعتِ القبائلُ من قريشٍ الحجارةَ لبنائها ـ كلُّ قبيلةٍ تجمعُ على حِدَة ـ ثم بَنوها ، حتى بلغَ البنيانُ موضعَ الحجرِ الأسود ، فاختلفوا : كانت كلُّ قبيلةٍ تُريد أن يكونَ لها شرفُ وضعِه ، وزاد الاختلافُ حتّى استعدتِ القبائل للقتال .

واجتمع أشرافُ قريشٍ في الحرم ، وراحوا يتشاورونَ فيما يفعلونه ، حتى لا تقومَ الحربُ بينهم ، فقال رجلٌ منهم :

ـ يا معشرَ قريش ، اجعلوا بينكُم فيما تختلفونَ فيه أوَّلَ من يدخلُ من بابِ المسجد ، يقضي بينكم فيه .

فقبلوا وانتظروا أوَّلَ من يدخل ، فكانَ أوَّلَ من دخلَ محمَّدُ بن عبدِ الله ، فصاحوا فرِحين :

ـ هذا الأمين ، رضينا ، هذا محمَّد .

وأخبروه الخبر ، فقال :

ـ هلُمَّ (هاتوا) إليّ ثوبا .

فجاءوا بثوب ، فأخذ محمَّدٌ الحجرَ الأسود ، فوضعه في الثوبِ بيدِه ، ثم قال :

ـ لتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثَّوب ، ثم ارفعوه جميعا .

فأخذتْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من زوايا الثوب ، ورفعوه بينهم ، حتى إذا بلغوا به موضعَه رفعه ، ووضعه بيده ، وبنى عليه .

رضِيت قبائلُ قريش بما فعل ، أشركهم جميعًا في شرف رفعِ الحجرِ الأسود ، دون حربٍ أو قتال ، ونَجَّاهم برجَاحَةِ عقلِه من شَرٍّ مُستَطير ، فقد كانت الحروبُ تَنْشِبُ لأتفهِ الأسباب .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الوحي

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرأْ باسمِ ربِّك الَّذى خلَق ، خَلَقَ الإنسانَ من علَق ، اقرأْ وربك الأَكْرم ، الذى علَّمَ بالقَلَم ، علَّمَ الإِنسانَ مَا لم يعْلم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عاش محمَّدٌ فى بيتِ خَديجةَ ؛ كان يُحبُّ زوجتَه ، وكانت زوجتُه تُحبُّه .

وكان محمَّدٌ فى ذلك الوقتِ يميلُ إلى التفكير ، فكان يُطيل التَّأمُّل ، وخديجةُ تلاحظُ سُكونَه ، فتتركُه لأفكارِه ، ولا تضايقُه بكثرةِ حديثِها ، كما تفعلُ النساءُ مع أزواجِهن . كانت خديجةُ عاقلة ، فكانت تتركُ زوجَها إلى ما تميلُ إليه نفسُه .

كان محمَّد يعودُ من الكعبة ، فيفكِّر فى أمرِها ، وفى الثلاثمائةِ والستينَ صَنَما التى بها ، فَيَعْجَبُ من قومِه الذين يعبدونَ حجارةً ينحِتونها بأيديهم ،

حجارةً لا تَسمع ولا تَرى ، ولا تستجيبُ لدعوةِ عُبَّادها الّذين يدعونها .

اهتدى محمَّدٌ إلى أنَّ لهذا الكونِ إلهًا واحدا هو الّذى خلق الشمسَ والقمر ، والسماءَ والأرض ، والأنهارَ والجبال ، والإنسانَ والحيوان ؛ وأنَّ هذا الإلهَ الواحدَ هو الذى يجبُ أن يتوجَّه إليه الناس فى دعوتهم ، وهو وحدَه المستَحِقُّ للعبادة ؛ لذلك كان يأخُذُ طعامَه وشرابَه ، ويذهبُ إلى غارِ حِراء ، بعيدا عن ضَوْضاء الناس ، يعبُد اللّهَ فى ليلِه ونهارِه ، وكان يمكثُ فى الغارِ شهرًا من كلِّ سنة .

كان يُحبُّ الخلوة ، ففى الخلوةِ اتِّصالُ الإنسانِ بالكَون ، وفيها يفرُغُ القلبُ من أشغال الدنيا ، ويصفو الذهنُ وتُشرِق أنوار المعرفة . كان محمد

يَقْضِى الشهرَ فى عبادة ، يُطْعِمُ من يمرُّ به من المساكين ، من الكعْكِ والزَّيت الذى يحمله معه .

وكان إذا نام فى الغار ، رأى فى نومِه رُؤًى ، فإذا استيقظ تحققت رؤاه ، فقد صَفَا روحه ، واتصلَ باللّه .

٢

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حِراء ، وهو فى الأربعينَ من عمره ، يحمل طعامَه ، يصومُ النهارَ يتعبَّد ، ويقومُ اللّيلَ يتهجَّد . وغابتِ الشّمس ، والتفَّ محمَّدٌ فى عبَاءتِه ، ووضع رأسَه لينامَ قليلا ؛ كانت هذه الليلةُ من شهرِ رمضانَ هى ليلةَ القدر .

وسمِع محمَّدٌ صوتًا يقولُ له وهو نائم :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّدٌ له :

ـ ما أقرأ .

فيُحِسُّ شيئًا يضمُّه ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسَه . ثم يتركه ويقول :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضمُّهُ مرَّةً ثانية ، حتى يكادُ يكتُمُ أنفاسه ، ثم يترُكُه ويقول :

ـ اقرأ .

فيقولُ محمَّد : ما أقرأ .

فيضُمُّهُ مرةً ثالثة ، حتى يكادُ يكتُم أنفاسَه ، ثم

يقول :

ـ اقرأ .

فيقول محمَّد :

ـ ماذا أقرأ ؟

فيقول المَلَك :

ـ اقرأُ باسمِ ربِّك الذى خلَق .

خلَق الإنسانَ من عَلَق .

اقرأ وربُّك الأكرم .

الذى علَّم بالقلم .

علَّمَ الإنسانَ ما لم يعلم .

واستيقظَ محمَّدٌ من نومِه فزِعًا ، وخرج من الغار مُهرْولا ، وإذا به يسمعُ صوتًا من السماء ، يقول :

ـ يا محمَّد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبِريل . فرفعَ محمَّدٌ رأسَه إلى السماء ينظر ، فإذا جبريلُ قدماه فى

أُفُقِ السَّماء ، يقول :

ــ يا محمد ، أنت رسولُ اللّه ، وأنا جبريل .

فوقف محمدٌ ينظرُ إليه ، فما يتقدَّمُ وما يتأخَّر ، وجعل يَصْرِفُ وجهَه فى آفاقِ السماء ، فلا ينظر فى ناحية منها إلا رآه .

ظلَّ محمدٌ ثابتا ، لا يتقدَّم ولا يتأخَّر ، وأرسلت خديجةُ تبحثُ عنه ، وهو واقفٌ فى مكانه لا يتقدَّم أمامه ، ولا يرجع وراءه .

٣

رجع محمدٌ إلى خديجة ، وهو يضْطَرب ، فقالت له :

ــ يا أبا القاسم ، أين كنت ؟ فواللّه لقد بعثْتُ رُسُلى فى طلبِك ، حتى بلغوا مكة ، ورجَعوا لى .

فقال لها وهو يرتجف :

ــ زمِّلونِى . زمِّلونِى .

فراحت خديجةُ تُغطِّيه ، حتى إذا هدأ ، قصَّ عليها ما رأى ، وقال لها :

ــ لقد خَشيتُ على نفسى .

فقال له خديجةُ فى إِيمان :

ـ كلا . أبشر ، فواللّه لا يخزيكَ اللّه أبـدا ، إنك لتصِلُ الرَّحِم ، وتصدُقُ الحديث .

وجاء جبريل إلى محمد ﷺ ، وأنزل عليه القرآن :

﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِرُ ، قُمْ فَأَنْذِرْ ، وَرَبَّكَ فكَبِّرْ ، وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ، وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ، وَلَاتَمْنُنْ تَسْتَكْثِر﴾ .

نام محمَّد ليستريح ، وخرجت خديجةُ إلى ورقَةَ ابنِ نوفل ، وكان ابنَ عمِّها ، وقصتْ عليه ما رأى محمَّد . كان ورقةُ قرأَ الكتب ، ودرسَ التّوراةَ والإِنجيل ، فقال :

ـ والَّذِى نفسُ ورقة بيده ، لئن كنتِ صَدَقْتِنى يا خديجةُ ، لقد جاءهُ النّاموسُ الأكبرُ (جبريل) الذى كان يأتى موسى ، وإنّه لَنبِيُّ هذه الأمَّة ، فقولى له فليثبُتْ .

رجَعت خديجةُ إلى رسولِ اللّه ، فأخبرتهُ بقولِ ورقة . وخَرج رسولُ اللّه يطوفُ بالكعبة ، فلقيه ورقة وهو يطوف ، فذهبَ إليه ، وقالَ له :

ـ يا بنَ أخى ، أَخبِرْنى بما رأيتَ وسمعت .

فأخبره رسولُ اللّه ، فقال له ورقة :

ـ والَّذِى نفسى بيده ، إنكَ لنبىٌّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموسُ الأكبر ، الذى جاء موسى ، ولَتُكَذَّبنَّ ولَتُؤْذَينَّ وَلَتُخْرَجنَّ ولَتُقاتَلنَّ ، لئن أنا أدركتُ ذلك اليوم لأنصُرَنَّ اللّهَ نصرًا يعلمه .

٤

أصبحَ جبريلُ يجيءُ إلى محمَّـد ، يوحـى إليـه أوامـرَ اللّه ، فأرادت خَديجةُ أن تتثبَّتَ من ذلك الـذى يـراهُ زوجها ، فقالت له :

ـ أى ابنَ عمّ ، أتستطيعُ أن تخبرنى بصاحِبك هـذا الَّذى يأتيك إذا جاءك ؟

قال محمد لها :

ـ نعم .

فجاء جبريلُ عليه السَّلام ، فقال رسولُ اللّـه ﷺ لخديجة :

ـ يا خديجة ، هذا جِبريلُ قد جاءَنى .

فقالت خَديجة :

ـ قم يا بنَ عمِّى ؛ فاجلس على فَخذِى اليُسرَى .

فقام رسولُ اللّه فجلس عليها وقالت خَديجة :

ـ هل تراه ؟

قال رسول اللّه .

ـ نعم .

قالت له خَديجة :

ـ فتحول ، فاجلس على فخِذِى اليُمنى .

فَتَحَوَّل رسولُ اللّه على فخِذِها اليُمنَى ، فقالت :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ نعم .

قالت :

ـ فتحولْ فاجلسْ فى حِجْرى .

فتحوَّل رسولُ اللّه ، فجلسَ فى حِجْرها ، قالت :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ نعم .

فكّشَفَتْ عن وجهها ورسول اللّه جالسٌ فى حِجرِها ، ثم قالتْ له :

ـ هل تراه ؟

قال :

ـ لا .

قالت :

ـ يا بنَ عمّ ، اثْبُت وأَبشر ، واللّه إنه لَملك ، وما هذا بشيطان .

٥

ذهب محمَّدٌ إلى غارِ حراء ، وانتظر أن يرى جبريل ، ولكن مرَّت مدةٌ طويلة ولم يرَه ، فحزِن حزنا عميقا ، ظنَّ أنَّ اللّه تاركه ، وفيما هو فى حُزْنِه إذ سَمع صوتا ينادِى :

ـ يا محمَّد ، إنك رسولُ اللّه حقًّا .

فرفع محمدٌ بصرَه إلى السماء ، فإذا بالمَلَك الذى جاءه بحِراء ، قاعدٌ على كرسىٍّ فِى السماء ، ففرح بعودتِه ، وأخَذ جبريلُ يُعَلِّمُه القرآنَ ، قال :

﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ، مَا ودَّعَكَ ربُّك وَما قَلَى (أى ما تركك ، وما أَبْغَضَكَ منذ أَحبك

ولَلآخِرَةُ خَـيرٌ لَـكَ مِنَ الأُولَـى ، ولَسَـوْفَ يُعْطِيـكَ رَبُّكَ فتَرْضىَ ، أَلَـمْ يَجِـدْكَ يتِيمًـا فـآوَى ، ووَجَـدَكَ ضَالاًّ فَهَدى ، ووَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ، فَأَمَّا اليَتِيمَ فَـلاَ تَقْهَـرْ ، وَأَمـا السَّـائِلَ فَـلاَ تَنْهَـرْ ، وأَمـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَدِّث ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

المسلمون الأوائل

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أصابَ قريشًا قحطٌ شديد ، وكان أبو طالبٍ كثيرَ العِيال ؛ ولم يَنسَ محمَّدٌ ما فعلَه له أبو طالب لمّا كان يتيما ، ففكَّر في أن يُعاوِنَ عمَّه في شدَّته ، فذهب إلى عمِّه العبّاس وقال له :

ـ إن أخاكَ أبا طالبٍ كثيرُ العِيال ، والنَّاسُ فيما نرى من الشِّدَّة ، فانطلق بنا إليه ، فلنُخفِّف من عيالِه، تأخذُ واحدا ، وآخذُ واحدا .

فذهبا إلى أبي طالب ، وقالا له :

ـ إنا نريدُ أن نُخفِّف عنك من عيالِك ، حتى يَنكشفَ عن النّاسِ ما هم فيه .

كان أبو طالب يُحبُّ ابنَه عَقِيلا ، فقال لهما :

ـ إذا تركتُما لى عَقيلا فاصنعا ما شئتما .

فأخَذَ محمدٌ ابنَ عمِّه عليّا وأخـذَ العبَّـاسُ جعفـرًا ؛ وتربَّى عليٌّ في بيت محمد .

٢

آمنتْ خديجةُ بأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، وصدَّقتْ ما جاء به ؛ فكان إذا صلّى رسولُ اللّـه صلّـتْ خديجـةُ خلفَه ، وكانا يُصَلِّيان سِرّا لا يراهمـا أحـد ، ودخـل عليهما عليٌّ وهما يُصلّيان ، فوقف ينظر ، حتـى إذا انتهيا من صلاتِهما ، قال لمحمَّد :

ـ ما هذا ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ دينُ اللّـه الّـذى اصطفـاهُ لنفسِـه ، وبعـثَ بـه رُسُلَه، فأدعُوك إلى اللّـهِ وحـدَه لا شـريكَ لـه ، وإلى عبادتِه ، وإلى الكُفْر باللّاتِ والعُزَّى .

فقال عليّ :

ـ هـذا أمرٌ لم أسمـعْ بـه مـن قبـلِ اليـوم ، أَمْهلنـى أشاوِرْ أبا طالب .

وكرِهَ رسولُ اللّه ﷺ أن يُفشِيَ عَلِيٌّ سِرَّه ، فقـال له :

ـ يا عليّ ، إذا لم تُسلمْ فاكتمْ هذا الأمر .

ودخل عليٌّ حجرتَه يُفكِّر ؛ إنَّ ابنَ عمِّه لم يكـذبْ قطّ ، حتى سمّاه الناسُ « الأمين » ، وهـو يدعـوه إلى أن يكفُـر بهـذه الأصنـام ، وأن يعبـدَ اللّـه ، وكـان بطبعِهِ ينفِر من عبادةِ الأصنام ، التى لا حوْلَ لهـا ولا قوَّة . فما إن أصبح الصباحُ حتى كان قد عقد العزمَ

على أن يدخلَ فـي الدين الجديـد ، فجـاء إلى محمَّـدٍ وقال :

ـ يا بنَ عمّي ، إني سمعتُ وأَجَبْت .

وأَسـلمَ علـيّ ، ورأى رسـولَ اللّـه ينظـرُ إليـه فـي حنان ، ويربِّتُ عليه ، فقال :

ـ يا رسـولَ اللّه ، ما كنتُ لأسمعَ لأبـي طـالب ، أو أشاورَه في ديني ، فقد خَلَقني اللّـه ، ولم يشـاوِرْه في خَلْقي .

٣

خرج رسـولُ اللّـه إلى جبـالِ مكـة ، وخـرج مَعـه عليّ ، ليصلّيا بعيدًا عن الناس ، وفيما هما يُصلّيان ، جاءَ أبو طالبٍ ورآهما ، فقال لرسولِ اللّه :

ـ يا بنَ أخي ، ما هذا الذي أراكَ تدينُ به ؟

فقال له محمد ﷺ :

ـ هذا دينُ اللّه ، وديـنُ ملائكتِـه ورسُـلِه ، وديـنُ أبينا إبراهيم ، بعثَني اللّه به رسولاً إلى العباد ، وأنت أحقُّ من بذلتُ لـه النصيحـة ، ودعوتُـه إلى الهـدَى ، وأحقُّ من أجابني إلى اللّه تعالى ، وأعانني عليه .

فقال أبو طالب :

ـ إني لا أستطيعُ أَن أُفارقَ دينَ آبـائي ومـا كـانوا عليه .

والتَفتَ إلى عليٍّ وقال له :

ـ وأَنت ؟

فقال عليّ :

ـ يا أبت ، آمنْـتُ باللّـهِ ورسولِه ، وصدَّقْـتُ مـا جاء به ، ودخلتُ معه ، واتَّبعتُه .

فقال له أَبوه :

ـ أما إنّه لم يدْعُك إلاّ إلى خير ، فالزَمْه .

٤

قَدِمَ أَحدُ التُّجَّار للحَجّ ، وذهب إلى العبّاسِ عم رسولِ اللّه ، ليبتاعَ منه بعضَ السِّلَع ، وكان العبّاسُ صديقًا له ، وجلسَ الرجلُ يتحدثُ مع العبّاس ، وفيما هما يتحدثان ، إذا برجلٍ قامَ يُصلّى ؛ ثم جاءَ غلامٌ وقامَ يُصلّى إلى جَنبِه ؛ ثم جاءتِ امرأةٌ وقامت خلفَهما ، ثم ركعَ الرَّجل ، فركع الغلامُ وركعتِ المرأَة ، ثم سجدَ الرجل ، فسجد الغلامُ وسجدتِ المرأة ، فالتفتَ التاجرُ إلى العبَاس وقال :

ــ ما هذا الدِّين ؟

فقال العباس :

ــ هذا دينُ محمدِ بنِ عبدِ اللّه أخى ، يزعُمُ أنَّ اللّهَ بعثَه رسولا ، وهذا ابنُ أخى علىٌّ بنُ أَبى طالب ، وهذه امرأُته خَدِيجة .

٥

سَرَى هَمْسٌ فى مكة ، بأنَّ محمدَ بنَ عبدِ اللّه ، يزعُمُ أَنّه نبىّ ، ويدعو سرًّا إلى عبادةِ إلهٍ واحد ، وجاءت جاريةٌ لحكيم بن حِزَام ، وهو قريبٌ لخديجة، وكان عندَه أَبو بكر ، فقالت :

ــ إن عمَّتك خديجة تزعُمُ أنَّ زوجَها نبىٌّ مُرسَل ، مثلُ موسى .

سمِع أبو بكر هذا القول ، ففكَّر فيه ، إنه يعرفُ محمَّدا ، ويَعْرف أنّه أمينٌ صادق ، فذهب إليه ،

وقال له :

- يا أبا القاسم ، ما الّذى بلغنى عنك ؟

فقال له محمد :

- وما بلغكَ عنّى يا أبا بكر ؟

قال له أبو بكر :

- بلغنى أنّك تدعو لتوحيد اللّه ، وزعمتَ أنّك رسوُلُ اللّه .

فقال له محمد : « نعم يا أبا بكر ، إنّ ربى عزَّ وجلّ ، جعلنى بشيرا ونذيرا ، وجعلنى دعوةَ إبراهيم ، وأَرسلنى إلى النّاس جميعا » .

فقال له أَبو بكر :

- واللّه ما جرَّبتُ عليكَ كَذِبا ، وإنك لخليقٌ (تستحق) بالرِّسالة ، لِعظَمِ أمانتِك ، وصلتِك

لِرحِمك ، وحُسنِ فِعالك . مُدَّ يدَك ، فأنا أبايعُك .

فمدَّ رسولُ اللّه يدَه ، وصافحه أبو بكر ، وهو يُعلنُ إسلامَه .

وبلغ خديجةَ إسلامُ أبى بكر ، فسرَّها ذلك ، حتى إنها خرجتْ إليه وقالت :

- الحمدُ للّه الذى هداكَ يا أَبا بكر .

٦

كان سعدُ بن أبى وقّاص عمَّ آمنةَ بنتِ وهب ، أمِّ محمد ؛ دخل سعدٌ فى فِراشه ذاتَ ليلةٍ ونام ، فرأَى فى نومه أَنه يسير فى الظّلام ، لا يرى شيئا ، وإذا بالقمرِ يظهرُ فى السَّماء ، فيُبدِّد الظّلام ؛ ونظر إلى القمر ، فرأَى أَبا بكرٍ وعليَّ بنَ أبى طالب وزيدَ بنَ

حارثة ، مولى الرَّسول ، يُطِلّون من القمر ، ويُشيرون إليه ليلحَق بهم ، فقال لهم :

- متى انتهيتُمْ إلى هنا ؟

فقالوا له :

- السّاعة .

وقام سعدٌ من نومِه ، واعتدلَ في فِراشِه ، وحاول أن يُفسِّر حُلْمَه ، فلم يستَطع . وفي الصّباح جاء أبو بكرٍ إلى سعد ، وقال له :

- نزل على محمَّدٍ وحيٌ منَ السَّماء ، أَخْبَرَه أَنه نبيُّ هذه الأمَّة ، وأَمره أن يدعُوَ إلى عبادةِ اللّه وحدَه . فقال له سعد :

- أكفَرَ باللاَّتِ والعُزّى ؟

فقال له أَبو بكر :

- إنه يدعو إلى التحرُّرِ المطلَقِ من عبادةِ هذه الأصنام ، إنه لا يبغي من وراءِ ذلك جاها ولا مالا ، فإن له من أَموالِ خَديجةَ ما يُغنيه عن ذلك ، وله من نسبه في قريش ، مكانَ الذّروةِ والسِّنام ، على أن دعوتَه هي التحرُّرُ المطلقُ من عُبوديةِ هذه الأحجار الصماء ، إلى عبادةِ خالقِ السَّماء الصافية والصحْراء المُترامية ، والنجوم اللّامعة ، والشَّمسِ السّاطعةَ ، والماء والرِّياض ، والهواء والغِياض (ماء يجتمع فينبُت فيه الشَّجر) . وإنَّ هذه الدعوةَ التي لا تُفرِّق بين السادةِ والعبيد أمامَ اللّه إلا بقدر العقيدةِ والعمل ، والّتي تُخْلي الطريقَ بين العبدِ وربِّه ، يدخلُ إليه بغير واسِطة ، ويتقرَّبُ إليه بغيرِ زُلفى ، وتدعو إلى التراحُمِ والتّوادِّ والبرِّ والتّقوى ، وتنفِر من الوأْد (دفنِ البناتِ حيّات) والقطيعةِ

والتّراشق ـ هىَ هناءةُ الدنيا ، وسعادةُ الأبد .

تفتّح قلبُ سعدٍ لقولِ أبى بكر ، فقال له :

ـ ومنِ اتّبعه على دينه هذا ؟

فقال أبو بكر :

ـ أنا ، وعلىٌّ بن أبى طالب ، وزيدُ بن حارِثة .

وتذكّر سعدٌ الْحُلم الّذى رآه : تذكّرَ عليًّا وأبا بكرٍ وزيدَ بن حارثة ، فى القمرِ يدعونَه أَن يَلْحَقَ بهم ، فتيقّنَ أنَّ اللّه أرادَ له الهِداية ، فقال لأبى بكر:

ـ وأينَ رسولُ اللّه ؟

فقال له أبو بكر : « فى شِعْبِ أَجياد (مكانٍ فى خارج مكّة) يعبد اللّه مُستخفِيا » .

فذهبا إليه ، ليشهد سعدٌ أنْ لا إله إلاّ اللّه ، وأنَّ محمدا رسولُ اللّه .

٧

كان أبو بكرٍ عظيمًا فى قريش ، على سَعةٍ من المال ؛ وكان كريمَ الأخلاق ، يُحبُّه قومُه ، فراح يدعو أصحابَه إلى هذا الدينِ الجديد ، فكانوا يُلَبُّون دعوتَه .

وفى سكون اللّيل خرج يتلّفت ، حتى إذا وصلَ إلى بيتِ أُميّةَ بنِ خَلَف ، وكان من سادةِ قريش ، هتَف :

ـ بلال ... بلال .

فهبط إليه بلال ، وهو عبدٌ أسود ، كان مولَى أُميّة ، وقال :

ـ من ؟ أبو بكر ؟! ما جاء بكَ السّاعة ؟

فقال له أبو بكر :

ـ نبأٌ هامّ .

فقال بِلاَل :

ـ وما هذا النبأ ؟

ـ ظَهَرَ نبىٌّ هذهِ الأمة .

ـ ومن هو ؟

ـ محمدُ بنُ عبدِ اللّه .

وظلَّ أبو بكرٍ يُحدِّث بِلالا ، حتى آمنَ وشهدَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه .

وراح صحابةُ محمدٍ يجتمعون به فى الْجِبال ، يسمعونَ القرآن ، ويتعلّمون دينَهم الجديد ، بعيدًا عن أعين أهلِ مكة ، فما أمرَ اللّه بعدُ رسولَه أن يجهَرَ بِدَعوتِه ، (أى يُعْلِنَها) .

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص الديني

الاضطهاد

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين ، واخْفِض جَنَاحَك لمن اتّبعك من المؤمنين ، فإن عَصوْك فَقُلْ إنّى بَرىءٌ مَمَّا تَعْمَلُون . وَتَوَكَّل عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيم ، الّذى يَرَاكَ حِينَ تَقوم ، وَتَقلُّبكَ فِي السّاجِدِين ، إنّه هُو السَّمِيعُ العَلِيم ﴾ .

(قرآن كريم)

١

علِمتْ قريشٌ أن محمَّدًا يزعُمُ أنَّه نبيّ ، يأتيه الخبرُ من السَّماء ، وأنه يدعو إلى عبادةِ إلهٍ واحد ، وأنَّه يسُبُّ آلهتَهم ؛ فراحوا يتجسَّسون عليه وعلى من اتّبعه . وفى يوم خرج سعدُ بنُ أبى وقّاص مُستخفِيا ، لينضمَّ إلى من أسلموا ، وليُصلِّيَ معهم ، فسار خلفَه رجلٌ من قريش ، وسعد لا يراه ، حتّى إذا وصلَ سعدٌ إلى المكان الّذى به محمدٌ وأصحابُه ، عاد الرَّجُل إلى قريش ، يُخبرُهم بمكان المسلمين .

قام محمدٌ ﷺ يُصلِّى بأتباعِه ، وفى ذلك الوقتِ جاء أبو جهل وبعضُ النّاس ، ووقفوا خَلفَ شجرةٍ ينظرون إلى المصلّين .

ولما انتهت الصَّلاة ، ذهب سعدٌ لقضاء حاجة ،

فرأى أبا جهل ومن معه ، فقال له أبو جهل :

ـ ماذا تفعلونَ هنا ؟

وراح أبو جهل يَعيبُ صلاةَ المسلمين ، وضحِك زملاؤه ، فغضِب سعد ، وتناول عظْمَ بعير ، فضرب به وجهَ رجل من المُشْركين ؛ وأصيب سعد فى أذنِه ، فعاد إلى حيثُ كان محمدٌ وصحْبه ، فضَمَد له رسولُ اللّه ﷺ جُرحَه بيده ، وقال له : فى سبيل اللّه دمُك يا سعد .

٢

وجاء جبريلُ إلى محمّدٍ بأمرِ اللّه ، يأمُره أن يدعُوَ النّاسَ جَهْرا ، امتثالا لأمر اللّه تعالى : « وأنذِرْ عشيرَتك الأقرَبين . واخفِضْ جناحَكَ لمن اتّبَعك من المؤمنين ، فإن عصَوْكَ فقُلْ إنّى برىءٌ مما تعملون ، وتوكّل على العزيزِ الرّحيم ، الذى يراكَ حين تقوم ، وتقلُّبكَ فى السّاجدين ، إنه هو السميعُ العليم » .

فخرج محمدٌ ﷺ ، ينفّذ ما أمرَه اللّه به فصعدَ على الصَّفا ، ثم نادى :

ـ يا صباحاه !

فاجتمعَ النّاس إليه ، فقال لهم :

ـ يا معشرَ قريش ، أرأيتُم لو أخبرتكُم أنَّ خيْلا بسفحِ هذا الجبلِ تريدُ أن تُغيرَ عليكم ، أتُصدّقوننى ؟

قالوا :

ـ نعم .

ـ فإنى نذيرٌ لكم بين يدَىْ عذابٍ شَديد . يا بَنى مَخزوم ، يا بنى أسد ، إن اللّه قد أمرنى أن أنذِرَ عشيرَتِىَ الأقربين ، وإنى لا أملِكُ لكم من الدُّنيا منفعة ، ولا من الآخرةِ نصيبا ، إلا أن تقولوا : لا إله إلا اللّه .

فقال له أبو لهب :

ـ تبًّا لكِ سائرَ اليوم ، أما دَعَوْتَنا إلاَّ لهذا ؟

فأوحى اللّه إلى رسوله : « تَبَّتْ يدا أبى لَهَبٍ وتبّ ، ما أغنى عنه مالُه وما كسَب ، سيصلى نارًا ذاتَ لَهَب ، وامرأته حَمّالَةَ الحطب ، فى جيدِها حبلٌ من مَسَدَ » .

فانسحب أبو لهب ، وانسحبتْ امرأتُهُ أمُّ جميل ، فانسحب النّاسُ خلفَهم ، وبقِىَ محمدٌ على الصَّفا وحدَه .

٣

حَزِن رسولُ اللّه ﷺ لما أعرضَ النَّاسُ عنه ، وأمر عليًّا أن يُجهِّزَ طعاما ، وأن يدعوَ أكابر قريش إليه ، ففعل علىّ ؛ فدعا أبا طالب ، وحمزة ، والعبّاس ، وأبا لهب ، وأناسًا آخرين ، وقدَّم لهم الطَّعام ، فلما شبعوا ، قال رسولُ اللّه ﷺ : « يا بنى عبد المُطَّلب ، إنّى واللّه ما أعلمُ شابًا من العرب جاءَ قومَه بأفضلَ مَمّا جئتُكم به ، إنى قد جئتكم بخيرِ الدُّنيا والآخرة . وقد أمرنى اللّه أن أدعوَكم إليه ، فأيُّكم يؤازرُنى على هذا الأمر ، على أن يَكون أخى ووصيّى ، وخليفتى فيكم » !

فصمتَ القوم ، وقام علىّ ، وكان أصغرهم ، وقال :

ـ أنا يا نبىّ اللّه ، أكونُ وزيرَك عليه .

فأخذ النبى برقَبَةِ علىّ ، وقال :

ـ إن هـذا أخـى ، ووصيِّـى ، وخليفتـى فيكــم ، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب :

ـ قد أمرك أن تسمعَ لابنِك وتُطيع .

٤

راح محمَّدٌ وأصحابُـه يعبُـدونَ اللّـه مُسْتَخْفِينَ فـى دارِ الأرقم ، وهى دارٌ قريبةٌ من الصَّفَـا ، وفـى ذاتِ يوم قابل أبو جهل محمَّدا ، فراح يُسبُّه ويَعيبُ دينَه ، ومحمـدٌ صـامتٌ لا يـردُّ عليـه ، ورأى رجـلٌ ذلـك ، فتعجَّب من حِلم محمَّدٍ وسَعَةِ صـدرِه ، ولَمـحَ ذلـك الرَّجلُ حمزةَ بن عبدِ المطَّلب قادمًا من الصَّيد ، وكان حمزةُ عمُّ النَّبى ، شُجاعًا قوِيّـا ، فذهـب إليـه الرَّجـلُ وقالَ له :

ـ لو رأيتَ ما فعلَ أبو جهلٍ بابنِ أخيـك ؛ سبَّه ، وعاب دينَه ، ونالَ منه .

فغضِب حمزة ، وذهب إلى الكعبةَ ، فرأى أبا جهلِ جالسا بينَ قومـه ، فرفـعَ حمـزةُ قوسَـهُ ، فضـرب أبـا

جهل بها ، فسالت دماؤه ، فقام رجالٌ من أنصارِ أبى جهل لينصروه ، وقالوا لحمزة :

ـ ما نراك يا حمزةُ إلا دخلتَ فى دينِ ابن أخيك ؟

فقال حمزة :

ـ ومن يمنعُنى وقد استبانَ لى منه ما أشهدُ أنّه رسولُ اللّه ، وأن الّذى يقولُ حقّ ، فواللّه لن أتركَ دينه ، فامنعونى إن كنتُمْ صادقين .

وسار حمزةُ والرِّجال ينظرون إليه ، دُون أن يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا ؛ كان قويا شجاعا .

وذهبَ إلى محمَّد ليُعلنَ إسلامه ، فلما قابله قال له :

ـ أشهد أنك الصادقُ شهادةَ الصِّدق ، فأظهر يابن أخى دينَك ، فواللّه ما أحبُّ أن لى ما أظلتْه السَّماء ، وأنّى على دينىَ الأول .

وفرِح محمد ، لأن اللّه أعزَّ الإسلام ، بإسلامِ عمِّه حمزة .

٥

راح محمَّدٌ ﷺ ، يسُبُّ آلهةَ قُريش ، فغضب القُرَشِيّون ، ولكنّهم رأَوْا أنَّ عمَّه أبا طالب يعطفُ عليه ، فقرّروا أن يذهبوا إلى أبى طالب يكلّمونَه فى أمرِ ابنِ أخيه ، فمشى رجالٌ من أشرافِ قُريش إلى أبى طالب ، منهم : عُتبةُ بنُ ربيعة ، وشيْبةُ بن ربيعة ، وأبو جهلِ بن هِشام ، والعاص بنُ وائل ، وأرسلوا إليه رجُلا قال له :

ـ هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وسرَاتُهم (أشرافُهُم) يستأذنونَ عليك .

فقال له أبو طالب :

ـ أدخِلْهم .

فلما دخلوا عليه قالوا :

ـ يا أبا طالب ، أنت كبيرُنا وسيِّدُنا ، فأنصِفْنا من ابنِ أخيك ، فمرْهُ فليكُفَّ عن شتمِ آلهتِنا ، وندعَه وإلَهه .

فأرسلَ أبو طالبٍ إلى النّبىَ ﷺ ، فلما دخل عليه، قال له :

ـ يا بنَ أخى ، هؤلاء مَشْيَخَةُ قومِك ، وقد سألوكَ أن تكُفَّ عن شتمِ آلهتِهم ، ويَدَعُوك وإلهك .

فقال محمدٌ ﷺ :

ـ أى عمّ ، أوَلا أدعوهم إلى ما هو خيرٌ لهم منها ؟

قال أبو طالب :

ـ وإلى أىّ شىء تدعوهم ؟

ـ أدعوهم إلى أن يتكلّموا بكلمةٍ تدين لهم بها العرب ، ويملكونَ بها العَجم .

فقال أبو جهل :

ـ ما هى وأبيك ، لنعطِينّكها وعشرَ أمثالها .

قال رسول اللّه ﷺ :

ـ تقول : لا إله إلا اللّه .

فغَضبوا وقالوا :

ـ سَلنا غيرَ هذه .

وقال أبو طالب :

ـ فأَبقِ علىَّ وعلى نفسِك ، ولا تُحَمِّلنى من الأمر ما لا أُطيق .

فظَنَّ رسولُ اللّه أنَّ عمَّه سَيترُكه لهم ، فقالَ له :

ـ يا عمّاه ، لو وضعوا الشَّمسَ فى يمينى ، والقمرَ فى يسارى ، على أن أترُك هذا الأمرَ حتى يُظْهِرَهُ اللّه أو أهلِكَ فيه ، ما تركتُه .

وبكى رسولُ اللّه ، ثم قام ، فلما ابتعدَ رَقَّ له قلبُ أبى طالب ، فناداهُ وقال له :

ـ أقبلْ يا بنَ أخى .

فجاء إليه رسولُ اللّه ﷺ ، فقال له أبو طالب :

ـ اذهبْ يا بنَ أخى ، فقُلْ ما أَحببت ، فواللّه لا أُسْلِمُك لشىء أبدا .

رأى أَشرافُ قريش أنَّ أبا طالبٍ لنْ يُسْلِمَ ابنَ أخيه ، فأتَوا إليه ومعهم عُمارةُ بن الوَليد ، وكان أجملَ فتىً فى قريش ، وقالوا لأبى طالب :

ـ يا أبا طالب ، هذا عُمارةُ بنُ الوليدِ أجملُ فتىً فى قُريش ، فخذْهُ واتَّخِذْهُ ولدًا ، فهُو لَك ، وأَسلِمْ لنا ابنَ أخيك ، هذا الَّذى خالفَ دينَك ودينَ آبائك لنَقْتُلَه ، فإنَّما رجلٌ برجُل .

فقال أبو طالب :

ـ وللّه لبِئس ما تَسومونَنى ، أتُعطونَنى ابنَكم أغذوهُ لكم ، وأعطيكم ابنى تقتُلونه ؟ هذا واللّه ما لا يكونُ أبدا .

رأى ساداتُ قُريش أنَّ الدِّينَ الجديدَ بدأ ينتشر ، فَخَشُوا أن يؤثِّر ذلك فى مركزِهم ، فقامت كلُّ قبيلةٍ تعذِّب من أَسلمَ فيها ، فكان أميَّةُ بنُ خلَف ، يأخذُ عبدَه بلالا ، ويَخرجُ به إلى الصحْراء ، ويضعُ الصخرةَ العظيمةَ على صدرِه ، ثم يقولُ له :

ـ لا واللّه ، لا تزالُ هكذا حتى تموتَ أو تكفُرَ بمحمَّد ، وتعبدَ اللّاتَ والعُزَّى .

فيقول بلال :

ـ أحد .. أحد .

ومرَّ أبو بكر به وهو يُعذَّب ، فاشتراهُ من سيِّده ، وأطلقَه لوجه اللّه .

وكانت بنو مخزوم ، (وهى قبيلةٌ من قبائِل مكة) يَخْرجون بعمَّارِ بن ياسر ، وبأبيهِ وأمِّهِ فى الحرِّ

الشَّديد ، ويُعذِّبونهم ولكنَّهم كانوا يأبَوْنَ أن يـتركوا الإِسلام .

ومرَّ بهم رسولُ اللّه ﷺ ، وهم يتلوَّوْن من الألم ، فقال لهم :

ـ صبرا آل ياسِر ، موعدُكم الجنة .

فصبروا على العذاب ، حتّى إنَّ أبـا جهـل ضايَقـه صبرُهم ، فطعنَ سُمَيَّةَ أمَّ عَمار بحرْبة فقتلها .

وراح ساداتُ قُريش يضربون المُسلمين ويجيعونَهم ويُعطِّشونهم ، ليكفُـروا باللّـه ، وليعبُـدوا الأصنـام ، ولكـنَّ المسـلمين ثبتـوا للتعذيـبِ والاضطهـاد ، فمـا كانوا ليعودوا إلى الظَّـلام ، بعـد أن هداهُـمُ اللّـه إلى النُّور .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الهجرة إلى الحبشة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ واذكُرْ فى الكِتابِ مَريَمَ إذِ انْتَبَذَتْ من أهْلِها مكانًا شَرقِيًا . فاتَّخذَتْ من دونِهم حِجابا ، فَأرْسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتَمَثَّلَ لها بَشرًا سَوِيّا . قالتْ إنِّى أعُوذُ بالرَّحمن مِنكَ إن كُنتَ تَقِيّا . قال : إنَّما أنا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًا زكيّا . قالت : أنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يَمسَسْنِى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيّا . قال : كذَلِكِ قال ربُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّن ، ولِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ ورَحْمَةً مِنّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيّا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

اجتَمعَ الولِيدُ بنُ المُغِيرة ، ونَفَرٌ من قُريش ، وراحُوا يتَحدَّثُونَ عن محمَّد ؛ إنَّ الناسَ سيقدَمونَ من البلادِ للحَجِّ عمَّا قليل ، وسيَعرِضُ عليهم محمدٌ دِينَه .

قال الوليد :

ـــ إنَّ وفُودَ العربِ سَتَقْدَمُ عليكم فى الموسم ،وقد سمِعُوا بأمرِ صاحِبِكم ، فأجمِعُوا فيه رأيًا واحِدا ، ولا تختَلِفوا ، فيُكَذِّبَ بعضُكم بعضا .

قالوا :

ـ يا أبا عبدِ شمْس ، فقُلْ ماذا نقول .

فقال لهم :

ـ بل أنتم فقولوا وأنا أسمع .

ـ نقولُ كاهِن .

فقال الوليد :

ـ ما هو بِكاهِن ، فما هو بِسَجْعِ الكُهَّان .

ـ نقولُ مجنون .

ـ ما هو بِمجنون ، ولقدْ رأينا الجنونَ وعَرَفناه .

ـ نقولُ شاعِر .

فقال الوليد :

ـ ما هو بشاعر ، فقدْ عَرَفنا الشِّعر ، فما هو بالشِّعر .

ـ فنقول ساحر .

ـ ما هو بساحِر ، قد رأينا السُّحَّارَ وسِحرَهم .

ـ فماذا نقولُ يا أبا عبدِ شمس ؟

ـ واللّه إنَّ لِقَولِه لَحلاوَة ، فما أنتم قائِلونَ من هذا شيئًا إلاَّ عُرِفَ أنّه باطِل .

٢

راحَتْ كلُّ قَبِيلَةٍ في قُريش تُعذّبُ من أسلَمَ فيها ، واشتدَّ اضطِهادُ المسلمين ، حتى إنَّ عثمانَ بنَ عفّان ، وزَوجتَه رُقَيَّةَ بنتَ رسولِ اللّه ، والزُّبَيرَ بنَ العَوَّام ، فكَّرُوا في الخُروجِ من مكة ، فِرارًا بدِينِهم ؛ فلمَّا عَرَضُوا الأمرَ على رسولِ اللّه ، قال لهم :

ـ لو خرجتُم إلى أرضِ الحَبشة ، فإنَّ بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عندَه أحد ، وهي أرضُ صِدْق ، حتى يجعلَ اللّه لكم فَرَجًا مما أنتم فيه .

وخَرَجَ المهاجِرونَ في سكونِ الليل على حين غَفلةٍ من قُريش ، وذهبوا إلى البحر ، ورَكبوا مَركَبًا ذهبَ بهم إلى الحبشة ، وعَلِمَت قريش بخروج المسلمينَ فغَضِبَت ، وجَدَّ المشرِكُونَ في إثْرِهم يطلُبُونَهم ، ولكنَّهم لم يَجدُوهم ؛ كانوا قد ركِبوا البحر ، ولجئوا إلى ملِكٍ لا يُظلَمُ عنده أحد .

٣

بَلَغَ قُريشًا أنَّ المسلمينَ قد ذهَبُوا إلى النَّجاشِيّ ملكِ الحبشة ، وأنهم يعيشونَ عنده في أمان ، فرأَوا أن يُرسِلُوا إلى النَّجاشِيِّ هَدِيَّة ، وأن يطلُبُوا مِنه أن يُعِيدَ هؤلاءِ الذين خرجوا من دينِهم ودين آبائِهم ، إلى بلادِهم ، فجَمَعُوا هَدِيَّةً عظيمة ، وأرسَلُوا بها عَمْروَ بن العاصِ وعُمارَة بن الوليد .

دخلَ عمرو وعُمارة على النَّجاشِيّ ، فسجدا له ، وقَدَّما إليه الهدية ، فقَبِلها ، وأمَرَ أن يَجلِسا

إلى جِوارِه ، وأقبَلَ عليهما يُحادثُهما ، فقال عَمْرو بنُ العاص ، وكانَ قصِيرًا داهِية :

ـ إنَّ ناسًا من أرضِنا رغِبُوا عن دينِنا ، وهم في أرْضِك .

قال النجاشيّ :

ـ في أرضي ؟

قال عَمْرو :

ـ نعم .

فقال النجاشيّ :

ـ وماذا تُريدونَ منهم ؟

فقال عمرو :

ـ ادفَعْهم إلينا .

ـ لا ، حتى أسمعَ كلامَهم .

وأرسَلَ إلى المسلمينَ فجاءُوا ، فقالَ لهم :

ـ ما يقولُ هؤلاء ؟

فقالَ له المسلمون :

ـ هؤلاء قومٌ يعبُدونَ الأوثـان ، وإنَّ اللّـه بَعـثَ إلينا رسُولا ، فآمَنّا به وصَدَّقناه .

فالتفتَ النجاشيُّ إلى عَمْرو ، وقال :

ـ أَعبيدٌ هم لكم ؟

قال عَمْرو : « لا » .

فقال النجاشيّ :

ـ فَلَكم عليهم دَين ؟

فقال عَمْرو : « لا » .

فأَمَرَ النجاشـيُّ المسـلمينَ أن ينصرِفُوا بسـلام ، وخرجَ عَمْرو وعُمارَةُ من عنـده ، وهمـا مُطْرِقـانِ يفكّرانِ فيما يفعلان .

٤

ضـايقَ عَمْرًا ألاَّ ينجَـحَ فـي رَدِّ المسـلمينَ إلى مكّـة ، فـراحَ يُفكّـر ، حتـى اهتـدَى إلى فِكـرة ، فدخلَ على النجاشيّ ، وأسَرَّ له في أُذنِـه كلامـا ، فأرسَلَ النجاشيُّ يطلبُ المسلمين ، فلمـا جـاءُوا ، وهَمُّوا بالدُّخول عليه ، قال جعفَرُ بن أبـي طـالب لهم :

ـ لا يتكلّم منكم أحد ، أنا خَطِيبُكم اليوم .

ودخلُوا علـى النجاشـيّ ، وهـو جـالِسٌ فـي

مجلِسِه، وعَمْرو بن العاص عن يمينه ، وعُمَارةَ عن يسارِه ، والقِسِّيسُونَ جُلوسٌ عندَه ، فسلّموا عليه ، ولم يسجُدُوا له ، فقال له عَمْرو وعُمارة :

ـ إنهم لا يسجُدونَ لك .

فصاحَ فيهم القِسيِّسُونَ والرُّهبان :

ـ اسجُدُوا للملِك .

فقالَ جعفر :

ـ لا نسجُدُ إلاّ للّهِ عَزَّ وجَلّ .

ولَمّا وصلَ جعفرٌ إلى النجاشيّ ، قال له :

ـ ما منعكَ أن تسجُد ؟

قال جعفرٌ فى ثبات :

ـ لا نسجُدُ إلا للّه .

فقال له النجاشيّ :

ـ وما ذاك ؟ .

فقال جعفر :

ـ إنَّ اللّه بعثَ فينا رسُولا ، فأَمَرَنا أن نعبُدَ اللّه ولا نُشرِكَ به شيئا ، ونُقِيمَ الصلاةَ ، نؤْتى الزكاة ، وأمَرَنا بالمعرُوف ، ونهانا عن المُنكَر .

فقال عَمْرو بن العاص :

ـ أصلَحَ اللّه المَلك ، إنهم يُخالِفونك فى عيسى ابنِ مريم .

فقال النجاشيّ لجعفر :

ـ ما يقولُ صاحِبُكم فى ابنِ مريم ؟

قال جعفر :

ـ يقول فيه قولَ اللّه : هو رُوحُ اللّه وكلمتُه ، أخرجه من العذراءِ البَتُولِ التى لم يَقْرَبْها بَشرَ .

فتناوَلَ النجاشيُّ عُـودًا مـن الأَرضِ فرفَعَه ، ثـم قال :

ـ يا معشَرَ القِسِّيسِينَ والرُّهبان ، ما يزيدُ هؤلاء علـى مـا نقـولُ فـى ابـنِ مَريـم ، ولا وزْنَ هـذِه . مَرحبًا بكم وبمن جئتُم من عِندِه ، هل معكَ شـىءٌ مما جاءَ به ؟ .

فأَشرَقَ وجه جعفَر وقال :

ـ نعم .

فقال له النجاشىّ :

ـ هلُمَّ ، فاتْلُ علىّ مما جاءَ به .

فراح جعفرٌ يقرأ :

﴿ ... واذْكرُ فى الكتابِ مريمَ إذِ انْتَبَـذَتْ مـن أهلِها مكانًا شرقِيًا . فاتَّخَذَتْ مـن دُونِهـم حِجابـا فأرسَلْنا إليها رُوحَنا ، فَتَمَثَّلَ لها بشَرًا سَوِيًا . قالت إنِّى أعُوذُ بالرَّحمن منكَ إن كنتَ تَقِيًا . قال : إنَّمـا أنا رسولُ ربِّكِ لأَهَبَ لكِ غُلامًـا زكيّـا . قـالت : أنَّى يكونُ لى غُلامٌ ولم يمسَسْنِى بَشَرٌ ولم أكُ بَغِيّـا . قال : كذلكِ قالَ ربُّكِ هو علـى هـيِّن ، ولنجعلَـه آيةً للناس ورحمةً مِنّا ، وكانَ أمْرًا مَقْضِيّا ﴾ .

فقـال النجاشـىّ : إنَّ هـذا الكـلامَ ليخـرُجُ مـن المِشكاةِ التى جاءَ بها موسى ، انطلِقُوا راشِدِين .

وخَرجَ المسلِمونَ مسرورين ، وخَرجَ عَمْرو بن العاص حزينا ، وزادَ في حُزنِه أنَّ النَّجاشيَّ أمَرَ بردِّ الهدِيَّةِ التى أرسلَتها إليه قُرَيش .

وعادَ عَمْرو بن العاص إلى مكة يجرُّ ذيولَ الخَيْبة !

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

أيام الشدة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ طه . ما أنْزَلْنا عَليكَ القُرآنَ لِتَشْقَى . إلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخشَى . تنزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرضَ والسَّمواتِ العُلى . الرَّحمنُ على العَرْشِ استَوى . له ما فى السَّمواتِ وما فى الأَرضِ وما بينهما وما تحتَ الثَّرَى ﴾ .

(قرآن كريم)

١

خرجَ عُمَرُ بن الخَطَّابِ يومًا وهو يحمِلُ سَيفَه ، وسارَ وفي وجهِه عزْم ، فقابلَه رجُل ، وقال له :

ــ أين تُريدُ يا عُمَر ؟

قال عمرُ فى غضب :

ــ أُريدُ محمَّدًا هذا الصَّابِىء ؛ الذى فَرَّقَ أمرَ قُريش ، وعابَ دينَها ، وسَبَّ آلِهَتَها ، فَأَقتُلُه .

قال له الرجل :

ــ واللّه قد غرَّتْكَ نفسك يا عُمَر ، أترَى بنى عبدِ منافٍ تاركيكَ تمشى على الأَرض وقد قتلتَ محمَّدا ، أفلا ترجعُ إلى أهلِ بيتِك ، فتُقِيمَ أمرَهم ؟

فقال عُمَرُ فى دَهَش :

ــ أيُّ أهل بيتى ؟

ـ أختُكَ فاطمة ، وابنُ عمِّكَ سعيدٌ زوجُها ، فقد والله أسلَما ، وتابَعا محمَّدًا على دينِه .

فرجَعَ عُمَرُ غاضِبًا إلى اختِه فاطِمةَ وزوجِها ، وكان عندَهما رجلٌ مسلم ، معه صحِيفةٌ فيها سورةُ طه يُقْرِئُهما إيَّاها ، فلمَّا سمِعُوا حِسَّ عمر ، اختبأَ الرَّجُل ، وأخَذَتْ فاطمةُ الصَّحيفةَ ، فجعلتْها تحت فخِذِها ، وسمِعَ عمرُ حين اقترَبَ قراءَةَ القرآن ، فدخلَ على أخته ، وقال :

ـ ما هذه الهينَمةُ التى سمِعت ؟

قالت له أُختُه وزوجُها سعيد :

ـ سمِعتَ شيئا ؟

قال :

ـ والله لقد أُخبِرْتُ أنّكما تابعتُما محمَّدًا على دينه .

وضربَ سعيدًا زَوجَ أُختِه ، فقامت أختُه تمنعُ عن زوجِها ، فضربَها فسال دمُها ، فقالت له :

ـ نعمْ ؛ قدْ أسلَمنا وآمنَّا باللّه ورسولِه ، فاصنع ما بَدا لك .

نَدِمَ عمرُ على ما صَنَعَ بأخته ، وقال لها :

ـ أعطِينى هذه الصحيفةَ التى كنتم تقرءُون ، أَنظُرُ ما هذا الذى جاءَ به محمد ؟

قالت له أختُه :

ـ إنَّا نخشاكَ عليها .

ـ لا تخافِى .

وحلَفَ لها بآلهتِه ليُردَّنَّها إليها إذا قرأَها ، فطَمِعَتْ أختُه فى إسلامِه ، فقالت له :

ـ يا أخى إنَّك نَجسٌ على شِركِكَ ، وإنَّه لا يَمَسُّه إلاَّ المُطَهَّرُون .

فقام عُمَر فاغتسلَ ، فأعطَتْه الصَّحيفةَ وفيها سورةُ طه ، فقرأها ، وقال :

ـ ما أحْسنَ هذا الكلامَ وأكرَمَه !

فلـمَّا سمِعَ الرجلُ الـذى اختَبـأ ذلـك ، خـرجَ مسرورا ، وقال لعمر :

ـ واللّه يا عمـر ، إنـى لأرجُـو أن يكـونَ اللّـه قـد خَصَّـكَ بدعـوةِ نبيِّـه ﷺ ، فـإنّى سمِعتُـه أمـس وهـو يقول : اللهم أيِّدِ الإِسـلامَ بـأبى الحَكَـم بـنِ هشـام ، أو بعمرَ بن الخطاب ، فاللّهَ اللّهَ يا عُمَر .

فقال له عمر :

ـ فدلَّنى على محمَّد ، حتى آتِيَه فأُسلِم .

وذهبَ عُمَر يُعلِنُ إسلامَه .

٢

غاظَ قُريشًا دخولُ النَّاسِ فى الدين الجديد ، فاتّفَقَ سـاداتُ قُريـشٍ علـى قتـلِ محمـدٍ ﷺ ، فلـمَّا رأى أبو طالبٍ ذلك ، جمعَ بنى عبدِ المطَّلِب ، وأمَرَهـم أن يُدخِلوا رسـولَ اللّـه فـى حِصنِهـم ، وأن يمنَعُوه ممن أرادُوا قتلَه ، فدخلَ المُسلمون مـع محمـد ، ودخلَـتْ خديجةُ معه . فلـمَّا عرَفتْ قريشٌ أن بنى عبدِ المطَّلب قَرَّروا حمايةَ محمَّد ، والدِّفاعَ عنه ، اجتمعَ المشركونَ من قُريش ، واتّفقُوا ألاَّ يُجالِسُوا مَـن نَصـرَ محمَّـدا ، ولا يُبايعوهم ، ولا يتزوَّجُونَ منهم ، وكتبـوا بذلـك عهدًا علَّقوه فى جوفِ الكعبة .

وضَيَّق المشركونَ الحِصـار علـى المسـلمين ، فنَفِـدَ ما كانَ عندَهم ، وخوَت بطونُهم ، وبكـى صغـارُهم

يطلبونَ الطعام . ومرَّت على المسلِمين ثلاثُ سنواتٍ عِجاف . وفى ذاتِ يوم دخَلَ النبىُّ على عمِّه أبى طالب ، وقال له : إن اللّهَ قد سلَّطَ الأَرَضَةَ على الصَّحيفةِ التى كتبَتْها قُريش ، وعَلَّقتْها فى الكعبة ، فأكلتها ، ولم تدَعْ فيها إلا اسمَ اللّه ، فقال له أبو طالب :

ـ أربُّكَ أخبَرَك بهذا ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ نعم .

فقال أبو طالب :

ـ فَلِمَ نُحْبَس ؟

وخرجَ أبو طالبٍ إلى أشرافِ قُريش ، وقال لهم : إن اللّهَ سلَّط الأرضة على الصَّحيفةِ الظالِمةِ فلَحِسَتْها ؛ فذهبَ ساداتُ قُريشٍ إلى جوفِ الكعبة ، فوجدُوا الأَرَضَةَ قد أكَلَتِ الصَّحِيفةَ ومَزَّقتها ، فَرُفِعَ الحِصارُ عن المسلمين .

٣

لم تحتملْ خَديجةُ الاضطهادَ الذى لاقتَه مع زوجها والمسلمينَ ثلاثَ سنين ؛ حاصَرَتهم قُريشٌ حتى جوَّعَتهم ، وعذبتهم ، ولم تكن خديجةُ تألَفُ مثلَ ذلك العذاب ، فلما عادت إلى دارِها مرضتْ ، فلَزِمَها محمَّدٌ ﷺ ، ولم يُفارِقها لحظة ، إنها آمَنت به لـمَّا كذَّبه الناس ، وشجَّعته لـمَّا لم يجد من يُشجِّعه ، وواسته لـمَّا اضطهَدَه الكفار ؛ كانت له نِعمَ الزوجَة ونِعمَ المُعِين .

ومضى على مرضِها ثلاثةُ أيام ، وإذا بها تموتُ بين يديه ، فحزِنَ عليها حُزنًا شديدا ؛ كان يُحِبُّها حبًّا صادِقا ، فآلَمه فَقدُها ، وأحسَّ عِظَم الفجيعة فيها .

٤

كان هذا العامُ عامَ الأحزان ؛ ماتت خديجة ، واشتكى أبو طالب فيه ، ولمَّا رأى أشرافُ قُريشٍ شِدَّةَ مرضِ أبى طالب ، قالوا :

ـ إنَّ حمزةَ وعُمَرَ قد أسلما ، وقد فشا أمرُ محمَّد فى قبائِلِ قُريشٍ كلِّها ، فانطلِقوا بنا إلى أبى طالب .

فذهبوا إليه ، وقالوا له :

ـ يا أبا طالِب ، إنَّك مِنَّا حيثُ قد عَلِمتَ ، وقد حَضَرَك ما ترى ، وتَخَوَّفنا عليك ، وقد عَلِمتَ الذى بيننا وبينَ ابن أخيك ، فادعُه ، فخُذْ لنا منه ، وخُذْ له منَّا ، ليكُفَّ عنا ، ولنكُفَّ عنه ، ولِيَدَعنا ودينَنا ، ولِنَدَعه ودينه .

فأرسَلَ إليه أبو طالبٍ ، فجاء ، فقال له :

ـ يا بنَ أخِى ، هؤلاء أشرافُ قومِك ، قد اجتمعُوا إليك ليُعطُوكَ وليأْخُذوا منك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ يا عمِّ ، كلمةً واحِدةً تُعطُونَها ، تملِكُونَ بها العرب ، وتدينُ لكم بها العجم .

فقال أبو جهل :

ـ نَعمْ وأبيكَ ، وعشرَ كلمات .

قال :

ـ تقولون : لا إله إلاّ اللّه ، وتخلَعُونَ ما تعبُدون من دُونِه .

فقال بعضُهم لبعض :

ـ إنَّه واللّه ما هذا الرَّجُلُ بمعطِيكُم شيئا ممَّا تُريدون ، فانطلِقوا وامضُوا على دينِ آبائِكم ، حتى يحكُمَ اللّه بينكم وبينه .

ثم تركوه وتفرَّقوا ، فقال له أبو طالب :

ـ واللّه يا بنَ أخى ، ما رأيتُكَ سألْتَهم شَطَطا .

فطَمِع رسولَ اللّه فى أن يُسلِمَ عمُّه ، فقال له :

ـ أىْ عمّ ، فَأنتَ فقُلْها .

فقال أبو طالبٍ فى صلَف :

ـ يابنَ أخِى ، واللّه لولا مخافَةُ أن تظُنَّ قُرَيشٌ أنِّى إنّما قُلْتُها جَزَعًا من المَوت ، لَقُلْتُها .

وماتَ أبو طالب ، فحَزِنَ عليه محمَّدٌ ﷺ ، فقَدْ فَقَدَ الذى كان يمنعُ عنه أذَى قريش ، بعدَ أن فَقَدَ الزَّوجةَ الرَّءُوم ، التى كان يجدُ عندَها الرَّاحة والأمن .

٥

ماتَ أبو طالب ، فاشتدَّتْ أذِيَّةُ قُريشٍ لرسولِ اللّه ، ففكَّر فى أن يخرُجَ من مكَّة إلى الطَّائِف ، يلتمِسُ من أهلِها أن ينصُرُوه ، ويمنعُوا عنه أذِيَّةَ قومِه ، ورجا أن يدخُلُوا فى الإسلام ، فلمَّا بَلَغَها ذهَبَ إلى ثلاثةِ إخوة ، كانوا سادَةَ ثقيف ، وهى القَبيلةُ التى تنزِلُ الطَّائِف ، وجَلَسَ إليهم ، وأخَذَ يدعُوهُم إلى الإسلام ، فقال له أحَدُهم مستهزِئًا :

ـ أما وَجَدَ اللّه أحدًا يُرسِلُه غيرَك ؟!

وأخَذُوا يسخَرُونَ منه ، فقامَ من عِندِهم ، وقدْ يئس منهم ، فلم يترُكوه يعودُ من حيثُ جاء ، بل أمَرُوا عبيدَهم أن يَسُبُّوه ، وأن يَرْمُوه بالحِجارة ، فقعَدُوا له صَفين على طريقه ، فلمَّا مرَّ أخَذُوا يرمونَ رِجْلَيه بالحجارة ، لا يرفَعُ رِجْلَيهِ ولا يضَعُهما

إلاَّ رَمَوهُما بالحِجارَة ؛ فسالَ الدَّمُ من رِجليه ، وصبرَ على الألَمِ الشَّديد ، حتى إذا ابتعَدَ عنهم وصَلَ إلى نخلةٍ ، جلسَ فى ظِلِّها يستريح ، ورفعَ عينيه إلى السَّماء وراح يدعو :

ـ « اللَّهمَّ إليكَ أشكُو ضعفَ قُوَّتى ، وقِلَّةَ حيلَتى ، وهوانِى على النّاس ، يا أرحمَ الرَّاحِمين ، أنتَ ربُّ المُسْتَضْعَفِين ، وأنتَ ربِّى ، إلى مَن تَكِلُنى ؟ إلى بَعيدٍ يتجهَّمُنى أم إلى عَدُوٍّ ملَّكتَه أمرى ؟ إن لم يكن بك غَضبٌ علىَّ فلا أُبالِى ، ولكنَّ عافِيَتَك هى أوسَعُ لى ، أعوذ بنورِ وجهِكَ الذى أشرَقَتْ له الظُّلمات ، وصَلَح عليه أمرُ الدنيا والآخِرة ، من أن تُنْزِلَ بى غَضَبَكَ أو يَحِلَّ علىَّ سَخَطُك ، لك العُتْبى حتى تَرضَى ، لا حولَ ولا قُوَّةَ إلاّ بك » .

ورأى رجُلانِ ما حَلَّ به ، فَرَقَّا له ، فَدَعَوا غُلاما نَصرانِيًّا يقال له عَدَّاس ، وقالا له :

ـ خذْ قِطْفا من هذا العِنَب ، فضَعْه فى هذا الطَّبق ، ثم اذهبْ به إلى ذلك الرَّجُل ، فقل له يأكُلْ منه .

أخَذَ عَدَّاسٌ قِطْفًا من العنب ، وذَهَبَ إليه ، ووضَعَ أمامَه الطَّبَق ، فمدَّ رسولُ اللّه يده ، وهو يقول :

ـ باسمِ اللّه .

فنظرَ إليه عَدَّاسٌ ، وقال :

ـ واللّه إنَّ هذا الكَلامَ ما يقولُه أهلُ هذه البلاد .

فقال رسول اللّه :

ـ ومن أهلِ أىِّ بلادٍ أنتَ يا عَدَّاس ؟ وما دينُك ؟

ـ نَصرانِىٌّ ، وأنا رجُلٌ من أهلِ نِينَوَى .

فقال رسول اللّه ﷺ :

ـ من قريةِ الرجُلِ الصالح يونُسَ بن مَتَّى .

فقال عَدَّاسٌ فى دَهَش :

ـ ما يُدْرِيكَ ما يونُسُ بنُ مَتَّى ؟

ـ ذلكَ أخي ، كان نَبيًّا وأنا نبيّ .

فأكَبَّ عَدّاسٌ على رسُولِ اللّه يُقَبِّـلُ رأسَـه ويديـه وقَدَمَيه .

وانصَرَفَ رسولُ اللّه إلى مكَّةَ وهو صابِر ، يحتَمِـلُ الأذى دونَ ضَجَـر . كـان يعلـمُ أنَّ بعـدَ الشِّـدَّةِ الفَرَج ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسرًا .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الهجرة

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ إلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّه إذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إذْ هُمَا فى الغَار ، إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إنَّ اللّه مَعَنَا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

أخَذَ رسولُ اللّه ﷺ يمُرُّ على قَبائِلِ العَرَبِ يدعوهُم إلى الإسلام .

قال لإِحدَى القبائِل :

ــ إنِّى رسولُ اللّهِ إلَيكُم ، آمُرُكمْ أن تَعْبُدُوا اللّه ، ولا تُشْرِكُوا به شيئا .

فَصَاحَ أَبُو لَهَب ، وكان رجُلا أحْوَلَ له غَدِيرَتان :

ــ إنَّه كاذب ، لا تُصَدِّقُوه .

فسارَ رسولُ اللّه حتى بَلَغَ قبيلةً أخرَى ، وراح يقول :

ــ يا أَيُّها الناس ، قولوا لا إله إلاَّ اللّه تُفْلِحُوا .

فراحَ أبو لَهَبٍ يُلقِي عليه التُّراب ، ويقول :

— لا تُصَدِّقُوه ، فإنَّما يُريدُ أن تتركُوا عبادةَ آلهتِكم .

واستمرَّ رسُولُ اللّه ﷺ يمرُّ على القبائل ، يعرِضُ عليهم الإسلام ، وأنْ يمنَعُوا عنه القتلَ ، حتى يُبَلِّغ رِسالاتِ ربِّه ، ولكنَّ القبائِلُ أعرضُوا عنه وقالوا :

— لو كان فيه خَيرٌ ما تَركَهُ قومُه .

٢

العربُ في يَثْرِبَ (المدينة) قبيلتان : هما الأَوسُ والخزْرَج ؛ كانوا يَعْبُدُونَ الأَصنامَ ، وكان جيرانُهم اليهودُ يعبُدونَ اللّه . وكان اليهودُ قِلّة ، فكان إذا شَبَّ بين العربِ واليهودِ قتال ، قال اليهودُ للعرَب :

— إنَّ نَبِيًّا الآنَ قد أظَلَّ زمانُه ، نَتْبَعُهُ وننتَصرُ به عليكم .

كان عربُ يثرِبَ يسمَعُونَ ذلك من اليهود ، فيعْلَمُونَ أنَّ اللّهَ سيُرسِلُ رسولاً لِهدايةِ الناس .

وحَدَث في مُوسِمِ الحجّ ، أن خرَجَ بعضُ عربِ يَثْرِبَ إلى مكّة ، فلمَّا قابَلهم رسولُ اللّه ، قال لهم :

— من أنتم ؟

قالوا :

— نَفَرٌ من الخَزْرَج .

قال :

— أمِنْ مَوالِي يَهُود ؟

قالوا :

— نعم .

قال :

ـ أفَلا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمكم ؟

فَجَلَسُوا معه ، فَدَعاهُم إلى اللّه ، وعَرَض عليهم الإسلام ، وتلا عليهمُ القرآن . فقال بعضُهم لِبَعض :

ـ يا قَوم ، تَعلَمُونَ واللّه أنه النَّبِيُّ الذى تَوَعَّدَكم به اليهود ، فلا يَسْبِقُنَّكم إليه .

وأسلَمُوا ؛ وواعَدُوه على اللِّقاء فى العام القادم .

٣

عادَ الرِّجالُ إلى يَثْرِبَ بعدَ أن قابَلُوا محمَّدًا ﷺ ، وأعلَنُوا إسلامَهم ، ودَعَوا أهْلَهُم إلى الإسلامِ ، حتى فَشَا فيهم وانتَشرَ ، ولَم تَبْقَ دارٌ من دُورِ العربِ فى يثرب ؛ إلاّ وفيها ذِكْرُ رسولِ اللّه ﷺ ، ومَرَّ الزمَنُ ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ ، فخَرجَ اثنا عَشَرَ رجُلاً

من أشْرافِهم إلى مكّة ، وقابَلُوا رسولَ اللّه ، وبايَعُوه على ألاّ يُشْرِكُوا باللّه شيئا ، ولا يَسْرِقُوا ، ولا يَزْنُوا ، ولا يَقْتُلُوا أولادَهم .

وانْصَرَفَ الرِّجالُ بعدَ الحَجِّ إلى يثرب ، فأرسَلَ رسولُ اللّه معهم مُصْعَبَ بن عُمَير ، لِيُعَلِّمَهُم الإسلام ، وقِراءَةَ القرآن ، وأمْرَ دينِهم .

٤

ومرَّتْ سنةٌ ، وجاءَ أوانُ الحَجِّ . فخَرَجَ المسلمون من يثرِبَ إلى مكةَ للحَجّ ، وواعَدُوا رسولَ اللّه أن يُقابِلُوه فى اللَّيل ، إذا فَرَغَ الحجّ . فلمَّا هَدَأتِ الرِّجْل ، خرج الرَّجُلُ والرَّجُلانِ إلى حيثُ واعَدُوا رسولَ اللّه ، حتّى أصبَحُوا سبعِينَ رجُلا . وجاءَهم

رسولُ اللّه ومعه عمُّه العبَّاس بنُ عبدِ المُطَّلِب ، فقال العباس :

ـ إنَّ محمَّدًا منَّا حيثُ قد علِمتم ، فهو فى عِزَّةٍ فى قَوْمِه ، وإنَّه قدْ أبَى إلاَّ الانْحِيازَ إليكم ، واللُّحُوقَ بكم ، فإنْ كنتُم تَرَونَ أنَّكم مانِعُوه مِمَّن خالَفَه ، فأنتم وما تحمَّلْتُم من ذلك . وإن كنتُم ترَونَ أنَّكم مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوه بعدَ الخُروجِ إليكم . فمِنَ الآنَ فَدَعُوه .

قالوا : قدْ سمِعنا ما قُلتَ فتكلَّم يا رسولَ اللّه ، فخُذْ لِنفسِك ولربِّك ما أحببت .

فقال رسولُ اللّه :

ـ أُبايِعُكم على أن تمنَعُونى مما تمنَعونَ منه نساءَكم وأبناءَكم .

وبَسَطَ رسولُ اللّه يدَه ، وبايعَه الأنصارُ على أن يمنَعُوه ويَحمُوه إذا هاجَرَ إليهم .

٥

وانتشرَ الإِسلامُ فى يثرِب . حين كان الاضطهادُ مستمِرًّا فى مكة ؛ كانت قُريشٌ تؤذى المسلمين ، فجمعَ رسولُ اللّه من آمَنوا به وصَدَّقُوه ، وقال لهم :

ـ إنَّ اللّه قدْ جعَلَ لكم إخوانا ، ودارًا تأمَنونَ بها .

وأمَرَ أصحَابَه بالخُروجِ إلى يثرِب ، فراحُوا يخرُجُونَ من بلادِهم ، فِرارًا بدينِهم . وانتظَرَ رسولُ اللّه إذْنَ اللّه له بالهجرة ؛ وجاءَ أبو بكرٍ يطلبُ منه الإِذنَ ليُهاجِر .

- لا تَعجَل ، لعلَّ اللّه يجعَل لك صاحِبا . هاجَرَ المسلمون ولم يبق إلا محمدٌ ﷺ ، وأبو بكر ، وعلىُّ ابنُ أبى طالب ، والمستَضْعَفُونَ الذين حبَسَهم سادتُهم عن الهجرة . وعَلِمَ ساداتُ قُريشٍ بهجرَة أصحابِ محمد ، فاغتاظُوا ، وخافوا أن يخرُجَ محمدٌ ﷺ وسلَّم إلى أصحابِه ، حتى إذا قَوِىَ جاءَ يحاربهم ؛ لذلك قرَّروا فيما بينهم أن يأخُذوا من كل قبيلةٍ فتى شابًّا ، ثم يُعطُوا كلَّ فتًى منهم سيفا ؛ ثم يذهبوا إليه ويضربوه بسيفهم ضَرْبَة رجُلٍ واحد ، فيقتلوه ، وبذلك يتفرَّقَ دمُه فى القبائل ؛ لأنَّه إذا قتلَه رجل واحد ، قام بنو عبد مناف ، أهل محمد ، لحربِ قبيلة القاتل ، فقد كان من عادة العربِ أن يثأرُوا للمقتول ، من كلا القاتل وقبيلته .

واتفقوا على أن يقتُلوا رسولَ اللّه هذه اللَّيلة ، ولكنَّ اللّه لم يترُكْ رسولَه ، فقد أرسَلَ إليه جبريلَ يقولُ له :

- لا تَبتْ هذه الليلة على فِراشِك الذى كنت تَبيتُ عليه .

وجاءَ الليلُ وجاءَ أبو جَهلٍ ومَن اتَّفقَ معه على قَتْلِ رسولِ اللّه ، فلمَّا أحسَّ رسولُ اللّه ﷺ بهم ، قال لعلِىّ :

- نم فى فِراشى ، فإنّه لن يَخْلُصَ إليك شىءٌ تكرهُه منهم .

ونام علىٌّ فى فراش النبىّ ، وراحَ ساداتُ قُريشٍ ينظرون ، فيَرونَ عليًّا فى الفِراش ، فيحسبون أنَّ رسول اللّه نائم .

وفُتحَ الباب ، وخرجَ رسول اللّه ، وقد أعْمَى اللّه عنه أعداءَه ، فراحَ رسولُ اللّه يضعُ التُّرابَ على رءُوسِهم ، وانصرَفَ إلى بيتِ أبى بكر . وجاءَ رجلٌ ونظرَ إلى الرِّجال الذين جاءُوا لقتلِ رسولِ اللّه ، وقال لهم :

ـ ما تنتظِرونَ ها هنا ؟

قالوا : محمَّدًا .

ـ خيَّبكم اللّه ! قد واللّه خرَجَ محمد ، ثم ما تركَ منكم رجُلا إلا وقد وضعَ على رأسِه ترابا ، وذهبَ لحاجتِه ، أفَما ترونَ ما بكم ؟

فوضَعَ كلُّ رجلٍ منهم يدَه على رأسِه ، فإذا عليه تُراب ، ونظرُوا فرأَوا عليًّا فى الفِراش ، فقالوا :

ـ واللّه إن هذا لمحَمَّدٌ نائما .

وظَلُّوا حتى أصبَحَ الصباح ، فخرج إليهم علىّ ، فاغتاظُوا ، وذهبُوا يبحَثُونَ عن رسُولِ اللّه .

٦

خرجَ رسولُ اللّه ﷺ ، ومعه أبو بكرٍ الصِّدِّيق مهاجِرَينِ إلى يثرِب ؛ وقَبْلَ أن يخرُجا أمَرَ أبو بكرٍ ابنَه عبدَ اللّه أن يتَسمَّعَ لهما ما يقولُ النَّاسُ فيهما نهارا ، ثم يأتِيهما إذا أمسىَ بما يكون من الناس فى ذلك اليومِ من الخَبَر ، وأمر خادِمَه أن يرعَى غَنمَه نهارا ، حتى إذا جاءَ اللَّيلُ تركها عندَ غارٍ بجبلِ ثَور بأسفلَ مكة .

وذهب النَّبِىُّ ﷺ ، وأبو بكرٍ الصِّدِّيق إلى غارِ ثور ، واختبآ به ؛ فإذا جاءَ الليل ، أتَى إليهما عبدُ

اللّه بنُ أبى بكر ، يُخبرِهُما بما فَعَل الناسُ بعدَ اختِفائهما . وكانَ أبو بكرٍ يخرُجُ إلى الغَنم التى تركها خادمُه ؛ يحلِبُها ويسقِى الرَّسُولَ لَبَنها ، ثم يشربُ منها .

راحتْ قُريشٌ تبحَثُ عن النّبىِّ وصاحِبِه ، واقْتَفَوا أَثَرَه : رأَوا آثارَ أقدام ، فسارُوا فى اتّجاهِها ، حتى إذا بلَغُوا الغار ، رأَوا على بابِه نَسجَ العنكبوت ، فقالوا :

ـ لو دخَلَ ها هنا أحدٌ لم يكن نَسج العَنكبوت على بابه .

وسمِعَ أبو بكر صوتَ الناس ، فقال هامسا :

ـ هؤلاء قومُك يطلبونَك .

فقال له النّبىُّ ﷺ : يا أبا بكرٍ لا تخف ؛ إنَّ اللّه معنا .

ومَرَّت ثلاثةُ أيَّام ، ورسولُ اللّه وأبو بكر فى الغار ، فلمَّا هَدَأ بحثُ النّاس عنهما ، ركِبَ رسولُ اللّه ناقة ، وركِبَ أبو بكرٍ ناقة ، وركب الدَّليلُ الذى استأجَراهُ ليذهَبَ بهما فى طريقٍ غيرِ معروف ، ناقة ، وساروا إلى يثرب .

٧

أعلَنَ أشرافُ قُرَيشٍ عن مكافَأةٍ لمن يَقتُل محمَّدًا أو يأسِرُه ؛ وطمع سُراقَةُ بنُ مالِكٍ فى المُكافأة ، فرَكِبَ فَرَسَه ، وأخَذَ رُمْحَه ، وراحَ يجرى فى الطَّريق الذى سارَ فيه محمدٌ وأبو بكرٍ والدَّليل ، حتى إذا اقتَرَبَ منهم سقَطَ عن فَرَسِه ؛ فقامَ ورَكِبَها

وجَرَى خلفَهم ، ولكنْ غاصَتْ يدا فَرسِه فى الرِّمال حتى الرُّكبتين ، فَسَقَطَ عنها ، ثم عادَ إليها ، وركبها وجرى خلفَهم ، فسقط عنها ، فنادَى بالأمان ، وقَدْ وقَعَ فى نفسِه أن سيظْهَرُ أمرُ رسولِ اللّه ، ودنـا مـن رسولِ اللّه ، وقال له :

ـ اكتُبْ لى كتاب أمان .

فأمَرَ الدَّليلَ أن يكتـبَ ، وعـادَ سُـراقَة إلى مكـة ، وكان كلَّما قابَلَ أحدًا يطلُب رسولَ اللّـه ردَّه عنـه .

وسارَ رَسولُ اللّه ﷺ إلى يثرب ، لينشرَ ديـنَ اللّـه ، ويمكّنُ له فى الأرض .

﴿ يُريدونَ أن يُطْفِئُوا نُورَ اللّـه بـأفواهِهم ، ويـأبَى اللّه إلاّ أن يُتِمَّ نورَه ولو كَرِهَ الكافِرون ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة بدر

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُم اللّه بِبَدْرٍ وأنتُمْ أذِلَّة ، فاتّقُوا اللّـهَ لَعَلَّكم تَشْكُرُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

بلَغَ أهلَ يثربَ (المدينة) أنَّ رسولَ اللّه قدْ خَـرَجَ مـن مكـة ، فكـانوا إذا صَلُّـوا الصُّبْـحَ يَخْرُجُـونَ إلى ظاهِرِ المَدينة ، وينتظِرُونَ قُدومَ محمَّدٍ ﷺ ، حتـى إذا اشـتَدَّ الحـرُّ عـادُوا إلى بُيوتهـم وقَـدْ عَزَمُـوا علـى أن يخرُجُوا لاستِقْبالِه فى اليومِ التّالى .

وفى أحَدِ الأيام خـرجَ الرِّجـال ، وسـارُوا مسـافَةً طويلة ، ليقابِلُوا رسـولَ اللّـه ﷺ ، ولكـنَّ الشَّـمس اشتدَّت ، ولم يظْهَرْ رسولُ اللّه ، فعادُوا إلى بيوتِهم ؛ وإذا بصوتٍ يصيح :

ـ هذا رسولُ اللّهِ قد جاء .

ـ فخـرجَ النـاسُ مسـرِعينَ لاسـتقْبالِه ، وراحُـوا

يصِيحُونَ فى فرح :

ـ جاءَ نبىُّ اللّه ، جاءَ نبىُّ اللّه .

وسارَ النبىُّ وأبو بكر بين الناس ، والتفّتِ الجُموعُ حولَه ، يُسَلِّمُون عليه ، وصَعِدَت النّساءُ فوقَ سُطُوحِ البُيوت ، ويَقُلْن :

ـ أيُّهم هُو ؟

ـ أيُّهم هُو ؟

وارْتَفَعَتِ الأَصواتُ مُجَلْجلةً فى المدينة :

ـ اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر ! جاءَ محمَّد .

اللّه أكبَر ! جاءَ رسولُ اللّه . اللّه أكبر !جاء محمَّد .

وأخذَ الصِّبيانُ والنِّساءُ يقلْن :

طلَعَ البَدْرُ علينا ... من ثَنِيّاتِ الوَدَاعِ
وجَبَ الشُّكرُ علينا ... ما دَعا للّه داعِ
أيُّها المَبْعوثُ فِينا ... جِئتَ بالأمْرِ المُطَاعِ

ودخلَ محمَّدٌ ﷺ يثرب ، وعُرِفَتْ منذُ ذلكَ اليوم بمَدِينةِ الرَّسول .

٢

نَزَلَ النَّبىُّ ﷺ المدينة ، فالتفَّ حولَه المُهاجِرُونَ والأنصار ، فآخَى بينَهم ؛ كان يُؤاخِي بينَ واحِدٍ من المُهاجِرينَ وواحِدٍ من الأنصار ، فالرَّجُلُ الذى هاجَرَ فى سبيلِ اللّه تركَ مالَه فى مكّة ، وليسَ له مكانٌ يبيتُ فيه . فكان على رجالِ المدينة أن يُؤوُوا مهاجِرِى مكة ، وأن يُعاونوهم على العَيْش ، حتّى يستقِرُّوا فى المدينة ، ويَجِدُوا لهم عملا .

وكانَ مُهاجِرُو مكةَ قدِ اعتادُوا جَفافَ جَوِّها ، فلما عاشُوا فى المَدِينةِ مَرِضُوا ، وقَدْ مَرِضَ بلالٌ وأبو بكرٍ ، فدخَلَت عليهما عائِشةُ بنتُ أبى بكرٍ

تعودُهما ، فقالت لهما :

ـ يا أبتِ كيفَ تَجِدُك ، ويا بلالُ كيف تَجِدُك ؟

فذكرَ لها أبو بكرٍ وبلالٌ أنهما يَحِنّانِ إلى مكة ؛ كانت مكة وطَنَهم ، فكانوا يُحِبُّونَها ؛ على الرَّغم من أنَّ أهلَ مكة اضطهدوهم وعَذّبُوهم ، وأنَّ أهلَ المَدِينة استقبَلُوهم استقبالا حَسَنا ، فما كان الوطنُ يهُونُ على أهْلِه ؛ فَذَهَبَتْ عائشةُ إلى النَّبيّ ، وكانتْ قَدْ تَزَوَّجَتْه ، وقالت له : إنَّ أبا بكرٍ وبِلالا يَحِنّانِ إلى مكة . فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللّهُمَّ حبِّبْ إلينا المدِينة ، كحُبِّنا مكة أو أشدّ .

٣

كانَ المُسلِمُونَ يَجتَمِعُونَ فى المَسجدِ قبل ميعادِ الصَّلاة ، لأنهم كانوا يخافُونَ أن تَفوتَهم ، وكانوا

يأْتونَ منْ أنفسِهم ، فما كانَ هناكَ ما يدعوهم إلى الصَّلاة ، فرأى رسولُ اللّه أن يجعَلَ بُوقًا كبُوقِ اليهودِ الذى يدعُونَ به لصلاتِهم ، ولكنَّه كرِه ذلك ، ورأى أن يدعُوَ الناسَ إلى الصَّلاةِ بالنَّاقُوس ، كما يفعَلُ النَّصارَى ؛ وأمَرَ بالنَّاقُوسِ فنَحِتَ ، لِيُضرَبَ به للمسلِمينَ للصَّلاة ، وبينَما رسولُ اللّه فى المسجد ؛ جاءَه رجُلٌ وقال له :

ـ يا رَسُولَ اللّه ، رأيتُ فى المَنام ، رجُلاً عليه ثوبَان أخضَران ؛ يحمِلُ ناقُوسًا فى يدِه . قلت : « يا عبدَ اللّهِ أتَبيعُ هذا النّاقوس ؟ فقال : « وما تَصْنَعُ به » ؟ قلت : « ندعُو به إلى الصَّلاة » . قال : « ألا أدُلُّكَ على خير من ذلك » ؟ قلت : « وما هو » ؟ قال : « تقول : اللّه أكبَر . اللّه أكبَر ، اللّه أكبر . أشهَدُ أن لا إلَه إلا اللّه ، أشهدُ

أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، أشهدُ أنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه . حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الصَّلاة . حيَّ على الفَلاح ، حيَّ على الفَلاح . اللّه أكبَر ، اللّه أكبَر . لا إلَه إلاّ اللّه » .

فقالَ رسولُ اللّه :

ـ إنَّها رُؤيا حقٌّ إن شاءَ اللّه ، فقُمْ مع بِلالٍ فألْقِها عليه ، فيؤذِّنْ بها ، فإنَّه أنْدَى صَوتًا مِنك .

أذَّنَ بلال ، فجاءَ النَّاسُ من كلِّ ناحية ؛ وسَمِعَه عُمَرُ بن الخطَّاب وهو فى بيتِه ، فخرَجَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وهو يَجُرُّ رِداءَهُ ويقول :

ـ يا نبيَّ اللّه والذى بَعَثَك بالحقِّ ، لقدْ رأيتُ مثلَ الذى رأى .

فقال رسولُ اللّه ﷺ : « فلِلَّهِ الحَمْد » .

٤

سمِعَ رسُولُ اللّه أنَّ أبا سُفيانَ مقبِلٌ من الشَّامِ فى تِجارَةٍ لِقُرَيش ، ولَمَّا كانت قُريش قد آذَتْهُ هو وأصحابَه واضطرَّتهُم إلى الخُروجِ من مكة ، بعدَ أن تَركُوا بها أموالَهم وبُيُوتَهم . قال محمَّدٌ ﷺ لأصحابه .

ـ هذه عِيرُ قُريش ، فيها أموالُهم ، فاخرُجُوا إليها .

فخرجَ بعَضُ الأنصارِ والمُهاجِرين ، ليستولَوا على القافِلة ، التى كان على رأسِها أبو سفيان ، حتى يستَعِيضُوا عن أموالِ المسلمينَ التى تركُوها مضطَرِّين فى مكة . وكان أبو سُفيانَ يخشَى أن يَغْزُوَه محمد ، فكانَ يتجَسسَّ ويسألُ الناس عن محمَّد . قال له قائل : إنَّ محمَّدًا ﷺ قد خرَجَ يغزُو

قافِلَته ، فأرسَلَ أبو سُفيانَ إلى مكة رسُولا ، يُخبِرُهم أنَّ أموالَهم فى خَطَر ؛ فلمَّا وَصَلَ الرَّجُلُ إلى مكة ، قال :

ـ يا مَعْشَرَ قُريش ، أموالكم مع أبى سفيان ، قدْ عَرَضَ لها محمدٌ فى أصحابه ، لا أرى أن تدرِكوها .

فخرجَ الرِّجالُ يحمِلونَ رماحَهم وأسيافَهم ، لِيُدافِعُوا عن أموالِهم ، ولم يتخلَّفْ من أشرافِ قُرَيش إلا أبو لَهَب بن عبدِ المطَّلب ، وسار الرِّجال ، وكانوا تِسعَمائةٍ وخمسِينَ مُقاتِلا ، معهم مائتا فَرَسٍ يقودونَها ، ومعهم المُغَنِّياتُ يضرِبْنَ بالدُّفُوف ، واستمرُّوا فى سيرِهم ، لِيُنقِذُوا تِجارَتَهم .

وخَرَجَ رسولُ اللّه من المدينة ومعه رايَتان سوداوان ، إحداهما مع علىٍّ بن أبى طالِب ،

والأخْرَى مع بعضِ الأنصار ، ولم يكن مع المسلمينَ إلاّ فَرَسان : فرسٌ للزُّبيرِ بنِ العوَّام ، وفرسٌ للمِقْداد بنِ الأسْوَد . وسبعُونَ بَعِيرا ، وكان كلُّ ثلاثةٍ من الرِّجالِ على بعِير .

وبلغَ رسولَ اللّه أنَّ قُريشا قد خرجُوا ليمنعُوا عِيرَهم ؛ ولما لم يكن خارِجا للقِتال ، بل كان خارِجًا لِيستَولِىَ على قافِلةِ قريشِ التى يقودُها أبو سُفيان ، استشارَ النّاس ما يفعل ؟ فقام رجلٌ وقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، امضِ لِما أراكَ اللّه ، فَنحنُ معك ، واللّهِ لا نَقُولُ لك كما قال بنو إسرائيلَ لموسى : اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا إنّا هنا قاعدون ، ولكنْ اذهبْ أنتَ وربُّكَ فقاتِلا ، إنا معكما مقاتلون .

كان هذا الرَّجُلُ من المهاجرين ، ولكنَّ رسولَ اللّه كان يُرِيدُ أن يَسْمَعَ رأىَ الأنصارِ ، فقال :

ـ أشيرُوا عليَّ أيُّها النَّاس .

فقالَ سعدُ بنُ مُعاذ ، وكان من ساداتِ الأنصار :

ـ واللّه لكأنَّكَ تُريدُنا يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه : « أجَلْ » .

فقال سعد :

ـ لقد آمَنَّا بكَ وصدَّقناك ، وشهِدنا أنَّ ما جئْتَ به هو الحق ، وأعطَيناكَ عُهُودَنا ومواثيقَنا على السَّمعِ والطَّاعةِ لك ، فامضِ يا رسولَ اللّه لِما أرَدْت ، فنحنُ معك .

٥

نزلَ النبيُّ وأصحابُه عندَ ماء بدْر ، وبَنوا حَوضًا مُلِيءَ ماءً ، ونَظَرَ النبيُّ فرأى قُوَّاتِ قريش ، فَنظَرَ إلى

السَّماء وقال :

ـ اللّهُمَّ هذه قُرَيشٌ قد أقبَلَتْ بخيلائِها وفَخْرِها تُحادُّكَ (أى تعاديك) ، وتُكَذِّب رسولَك ، اللَّهمَّ فَنصْرَكَ الذى وَعَدْتَنى .

وراح النبيُّ يدعوُ اللّه :

ـ اللّهمَّ إنَّك إن تَهلِك هذه العِصابَةَ لا تُعْبَدْ فى الأرض ، اللَّهمَّ أَنْجِزْ لى ما وعَدْتَنى ، اللَّهم نصرَك .

وتَواجَه المسلِمونَ وقُريش ، وأقسَمَ رجلٌ من قريش :

ـ أُعاهِدُ اللّهَ لأشْرَبَنَّ من حَوضِهم ، أو لأهْدِمَنَّه ، أو لأمُوتَنَّ دُونَه .

فلمَّا خرج وسار نحوَ الحَوضِ الذى بناهُ المسلمون ، خرجَ إليه حمْزَةُ بنُ عبدِ المُطَّلب ، وضربَه بسيفِه ، فقطَع ساقَه ، ثم قتلَه عندَ الحَوض ، وعندَ

ذلك خرجَ ثلاثةٌ من أشرافِ قريش ، وطلَبُوا من يُبارِزُهم .

صاحوا :

ـ يا محمَّد ، أخرِجْ إلينا أكفاءَنا من قومِنا .

فقال النبيُّ ﷺ :

ـ قُم يا عُبيدةُ بنَ الحارِث ، وقم يا حمزة وقم يا عليّ .

وبدأتِ المُبارَزة ، فقَتَلَ حمزةُ من كان يُبارِزُه ، ولم يُمْهِل عليٌّ الرجلَ الذى كان يُبارِزُه فقَتَلَه ، وانتصرَ عُبيدةُ على مَن كان يُبارزُه وقتلَه ، قتلَ ثلاثةٌ من المسلمين ثلاثةً من ساداتِ قريش » .

وبدأ أصحابُ محمدٍ ورجالُ قريشٍ يتراشقونَ بالنِّبال ، ثمَّ قال محمَّدٌ ﷺ لأصحابِه :

ـ والذى نَفسُ محمدٍ بيدِه ، لايُقاتِلُهم اليومَ رجلٌ ، فيُقتَلَ صابرًا محتَسِبًا مُقْبِلا غيرَ مُدْبِر ، إلاّ أدخلَهُ اللّه الجنَّة .

وبَدأتِ المَعركة ، فمشىَ الرِّجالُ إلى الرِّجال ، وارتَفَعَتِ السُّيوفُ وتضارَبَت ، وقُتِلَ أبو جَهلٍ فى المَعركة ، وراحَ أبطالُ المسلِمينَ يُعمِلونَ سيُوفَهم فى المشرِكين ، فكانت الرُّءُوسُ تطيرُ عن الأجسام ، ورأى أهلُ مكة ساداتِهم قد قُتِلُوا ، فَفَرُّوا ، وتَبِعَهُم المسلِمُون ، فوقَع منهم فى الأَسرِ ناسٌ كثيرون ، ووقعَ أُمَيَّةُ بن خَلَفٍ أسيرا ، ورآهُ بلال ، فَتَذَكَّرَ ما كان يفعَله به فى مكة ، كان يُخرِجُه فى الصَّحراء ، ويضَعُ عليه الصخرةَ الضَّخْمة ، لِيَكْفُرَ بمحمَّدٍ وإلهِ محمد . فصاح بلال :

ـ رأسُ الكُفرِ أُميَّةُ بنُ خَلَف ، لا نَجَوْتُ إن نَجا .

وهجم عليه ، وضرَبَه بالسَّيف ، فكانَ آخِرَ من قُتِل من أشرافِ قريشٍ فى معركة بدر .

وألقَى المسلمونَ قتلَى قريشٍ فى القَلِيب ، وهو بئرُ بدر ، فوقَفَ رسولُ اللّه ﷺ عليهم وقال :

ـ يا أهلَ القَلِيب . هل وجَدْتُم ما وَعَدَكم ربُّكم حقًّا ، فإنِّى قدْ وَجَدْتُ ما وَعَدَنِى ربِّى حَقّا .

فقال المسلمون : « يا رسولَ اللّه ، أتنادِى قَومًا ماتُوا ؟ » .

فقال : ما أنتم بِأَسْمَعَ لما أقُولُ منهم .

وانتهت غزوةُ بدرٍ بنصرِ المسلمين ، وكانت هذه الغَزْوةُ ضَرَبةً لقريش ، ونصرًا مُعظَّمًا لمحمَّد ، فكم من فِئةٍ قليلةٍ هَزَمَتْ فئةً كثيرةً بإذن اللّه ، وقَدْ قالَ اللّه لأَهلِ بدرٍ فى القرآن : ﴿ ولقَدْ نَصَرَكم اللّه بِبَدْرٍ ، وأنتم أذِلّة ، فاتّقُوا اللّه لعلّكم تشكُرون ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة أحد

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنين * إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداولُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُم ، وَيَعْلَمَ الصَّابرين * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتصَرَ محمدٌ ﷺ علَى قُرَيشٍ فى بَدر ، وقَتَلَ أشرَافَهَا ، فاجْتَمَعَ أَبْنَاءُ الَّذينَ قُتِلُوا من قُريش ، وذَهَبُوا إلَى أَبِى سُفيانَ وساداتِ القومْ ، وقالوا :

ـ يا مَعْشَرَ قُريش ، إنَّ محمدًا قَتَلَ خِيارَكُم فأَعِينُونَا على حَرْبِه .

واتَّفقَتْ قُريشٌ على أَن تخرُجَ لحرْبِ رسول اللّه ، لِيثْأرَ النَّاسُ لآبائِهم وأَبنائِهم وإخوتِهم الذين قُتِلُوا فى بدر . ودعَا رَجُلٌ غُلامًا حَبَشِيًّا له ، يُقَالُ لَهُ « وَحْشِىّ » ، كانَ ماهِرًا فى قَذْفِ الحَربة ، قلَّمَا يُخْطِىءُ بها ، وقالَ له :

ـ أُخْرُجْ معَ النَّاس ، فإنْ أَنتَ قَتَلْتَ حمزة ، عمَّ محمَّد ، بعَمِّى الَّذى قتَلَه ، فأَنْتَ عَتِيق .

وَخَرَجَتْ قُرَيشٌ فى عُدَّتِها ، وكان أبو سُفيانَ قائدَ النَّاس ، وخَرَجتْ معه زَوجَتُه هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بن رَبيعة ، تُحَرِّضُ النَّاسَ على قِتالِ مُحَمَّد ، لأَنَّ أَباهَا عُتْبَة ، وأَخاها الوَليد ، قُتِلاَ فى بدر ؛ قَتَلَهُما عَلِىٌّ وحَمزَة .

٢

بلغَ النَّبىَّ ﷺ ، أنَّ قُرَيشًا خَرَجَتْ لقتالِه وأَنَّها نَزَلَتْ عِنْدَ أُحُد ، فجمعَ أَصحابَه ، وقال لهم :

ـ إنْ رأَيْتُمْ أَن تُقيمُوا بالمَدِينة ، وتَدَعُوهُم حيثُ نزَلُوا فإنْ أَقامُوا أَقامُوا بِشَرِّ مُقام ، وإنْ هُم دَخَلُوا علينا قاتَلْناهُم .

كان رأْىُ النَّبىِّ أن ينتَظِرَ أعداءَهُ خلْفَ أَسْوَارِ المدينة ، وأن يَرمُوهم بالحِجارة ؛ وكان هذا هو الرَّأْىَ الصَّائب ، لأنَّ جَيْشَ قُرَيشٍ كان كبيرا ،

فكانت مُقابَلَتُه مُجازَفة ؛ ولَو أَنَّ النَّبىَّ وأَصحابَه تحصَّنُوا بالمَدينة لكانَ من العَسِيرِ على جَيشِ قُرَيشٍ أن يَدْخُلَها . ولَمْ يُعْجِبْ هذا الرأْىُ شَبابَ المُسلِمين ؛ كانوا يَرَونَ الخُروجَ لِقتالِ الأَعداء فصَاحُوا :

ـ يا رسولَ اللّه ، اُخْرُجْ بنا إلى أعدائِنا ، لا يَرَونَ أَنَّا جَبُنّا عنهم وضَعُفْنا .

وقال عبدُ اللّهِ بنُ أُبَىّ ، وكانَ سَيِّدَ أهلِ المَدينةِ قبلَ قُدُومِ النَّبىِّ ، حتَّى إنَّهم فكَّرُوا قبلَ انتشارِ الإسلام أَنْ يُتَوِّجُوهُ مِلكًا عليهم :

ـ يا رَسولَ اللّه ، أَقِمْ بالمَدينة ، لا تَخْرُجْ إليهِم ، فَواللّهِ ما خرجْنَا منها إلى عَدُوٍّ لَنا قَطّ إلاَّ أَصَابَ منَّا ، ولاَ دَخَلَها عَلَينَا إلاَّ أَصَبْنَا مِنْه ، فَدَعْهُمْ يَارَسُولَ اللّه ، فإنْ أَقامُوا أَقامُوا بشَرِّ مَحْبِس ، وإنْ دَخَلُوا قَاتَلَهُم الرِّجالُ فى وجْهِهِم ، ورَماهم النِّساءُ

والصِّبيانُ بالحِجارة من فوقِهم ، وإنْ رَجَعُوا رَجَعُوا خائِبِينَ كما جاءُوا .

وارتفعَتْ أَصواتُ الشَّبابِ تطْلُبُ الخُروج ، فإنَّهُ عارٌ أَنْ يَدْخُلَ أَعْدَاؤُهم عليهمُ المدينة : فدخلَ النَّبيُّ دارَه ، فلمَّا رَأَى ذلك بعضُ الرِّجالِ قالُوا :

ـ أَمَرَنا رسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ نَمْكُثَ بالمدينة ، ولكِنَّنا اسْتَكْرَهْنَاهُ على الخُروج ، ولم يكنْ لَنا ذَلِك .

وخَرَجَ النَّبيُّ وقَدْ لَبِسَ عُدَّةَ الحَرب ، فجاءَ النَّاسُ إليه وقالُوا :

ـ يا رسولَ اللّه امْكُثْ كما أَمَرْتَنا .

فقال : « ما يَنبَغِي لِنَبِيٍّ إذا أَخَذَ لأمَةَ الحرب ، وأَذِنَ بالخروجِ إلى العَدُوِّ أَنْ يَرْجِعَ حتَّى يُقاتِل ؛ وقَدْ دَعَوْتُكُمْ إلى هذَا الحديثِ فأَبَيْتُمْ إلاَّ الخُروج ،

فَعَلَيكُمْ بِتَقْوَى اللّه ، والصَّبْرِ عِنْدَ البأس ، إذا لَقِيتُمُ العَدُوّ .

واجتمعَ جَيشُ المُسلِمينَ في المَسْجد ، وكانَ عِدَّتُهُ أَلْفَ رَجُلٍ ، وأَقْبَلَ النَّبيُّ يَسْتَعْرِضُ الرِّجال ، ثم دَفَعَ رايَةَ الحربِ إلى مُصْعَبِ بنِ عُمَيْر . وقادَ النَّبيُّ الرِّجالَ خارِجَ المَدينة ، لِيُثْبِتَ المسلِمُونَ أَنَّ رَبَّهُمْ أَعْلَى من أَصنامِ الكَعْبة .

٣

اغتاظَ عبدُ اللّهِ بنُ أُبَيّ ، لَمَّا لم يَأْخُذِ النَّبيُّ بنصيحَتِه ، وعَمِلَ بمشورَةِ الشَّباب ، فالتَفَتَ إلى مَنْ خَرَجَ مَعَهُ للقِتالِ مع النَّبيّ ، وقال :

ـ أَطاعَهُم وَعَصَانِي ، ما نَدْرِي علامَ نَقْتُل أَنْفُسَنَا ؟

ورَجَعَ بِمَنِ اتَّبَعَهُ من قوْمِه ، وكانوا ثُلُثَ النَّاس .

واستَمرَّ رسولُ اللّهِ فى السَّيرِ بمن بَقِىَ معه ، حتّى بَلَغَ جَبَلَ أُحُد ، فجعَلَ ظَهْرَهُ وَعَسْكَرَهُ إلى أُحُد ، وأَجْلَسَ جَيشًا من الرُّمَاةِ فوقَ جَبَلٍ آخر ، وأَمَرَهُم أَلاَّ يَبْرَحُوا مكانَهم مهما حَدَثَ شَىءٌ إلاَّ بِأَمْرِه ، وَأَلاَّ يُفارِقُوا مَكَانَهُم مَهما بَلَغَتِ الظُّروف .

وجعلَ يصُفُّ حَمَلَةَ السُّيوفِ ، بحيثُ كان كتِفُ كلٍّ منهم إلى كَتِفِ أخيه ، لِيُقابِلُوا هُجُومَ قريشٍ كالبُنيانِ المرصُوص . كان جيشُه سبعَمائةِ مُقاتِل ، وكان جيشُ أبى سُفيانَ ثلاثةَ آلاف مقاتِل ؛ ولكنّه كان واثِقًا من أنَّ رُوحَ جيشِه أقوى من روح جيش أبى سُفيان ، فلو أطاعَ جيشُه أوامِرَه ، لأنزلَ الهزيمةَ بأعدائِه وأعداء الإسلام .

وظَهَرَ القُرشيُّونَ فى السَّهلِ المُنبَسِطِ أمامَ جَبَلِ

أُحُد ، وَتَقَدَّمُوا حتى أصبَحُوا أمام جيشِ محمدٍ وجهًا لوجه ، وبدَأتِ المعركة ، وكانت تبدأُ بالمُبارزاتِ الفردِية .

خرجَ رجُلٌ من قُرَيش يطلبُ المُبارَزة ، فخرَجَ إليه حَمْزَةُ عمُّ رسولِ اللّه ، وهو من أبطالِ المسلِمين ، فضَرَبَ حمزةُ الرجُلَ بسيفِه فقَتلَه ، فخرجَ ابنُ أبى طَلْحَةَ من صُفُوفِ قريش ، وهو بطل من أبطالِها ، وصاح : « يا أبا القاسِمِ مَن يُبارِز ؟ » .

فلم يخْرُجْ له أحد ، فصاحَ ثانية :

ـ يا أبا القاسِم ، مَن يُبارِز ؟

فلم يخْرُجْ له أحدٌ من المسلِمين ، فصاح :

ـ يا أصحابَ محمد ، زعَمتُم أنَّ قَتلاكُم فى الجَنَّة ، وأنَّ قَتلانا فى النار ، كذبتُم واللاَّت ، لو تَعلَمون ذلك حقًّا لَخرَجَ إلَىَّ بعضُكم .

فخرجَ إليه عليُّ بنُ أبى طالِب ، وتبادَلا الضَّرَبـات ، وأحَـسَّ ابـنُ طَلحَـةَ بانْهِزامِـه ، ففـرَّ مـن وجـه علـىّ ، ولكنَّ عليًّا عاجَلَه بضرْبَةٍ ، أطاحَتْ رأسَه .

وبَـدَأتِ المعركـة ، فـاندَفَعَ المسـلِمُونَ مـن فـوقِ الجبَل ، وهم يصيحُون :

ـ أمِتْ ... أمِتْ .

وراح المسلِمُونَ يقتُلونَ الكفّار ، وكان خالِدُ بنُ الوَليـدِ فـى صفـوف قريـش ، وكـان قـائِدَ فُرسـان المشـركين ، فـراحَ يُحـاوِلُ أن يَلُـفَّ بفُرسـانِه حـولَ جيشِ محمد ، ولكنَّ رُمـاةَ محمـدٍ الذيـنَ كـانوا فـوق الجبل الآخر ، كانوا يُصَوِّبُونَ سـهامَهم إلى فُرسـانِه ، فَيرجِعُون .

وانسـحَبَ العَـدُوُّ مهزومًـا ، ولم يتنَبَّـهِ المسـلمونَ للقضاء عليه ، بـل راحُـوا يَجْمَعُونَ الغنـائِم ؛ ورأى

الرُّماةُ ذلك ، فَحَسِبُوا أنَّ المعركَةَ قد انتهَتْ فصاحُوا :

ـ الغَنِيمةَ ، الغَنِيمة .

فصاحَ قائِدُهم فيهم :

ـ عَهِدَ إلىَّ ﷺ ألاَّ تَبْرَحُوا .

فقال الرُّماة :

ـ انهَزَمَ القَوم ، بدأ إخوانُنا فى جَمعِ الغَنائِم .

وتركُـوا أمـاكِنَهم ، وعَصَـوا أمْـرَ رسـولِ اللّـه ، وذهَبُوا لِيَجمَعُوا الغنائِم ، فلما رأى خالدُ بنُ الوليـدِ ذلك ، وكان قائِدًا ماهرًا ، أدارَ فُرسانَه ، وجـاءَ مـن خلْـفِ الرُّمـاة ، وأخَـذُوا يُوَجِّهُـونَ سِـهامَهم إلى المسلمين ، بينَ أُحُدٍ وجبلِ الرُّماة ، وراحـتْ الرِّمـاحُ تخترِق صدور المهاجِرينَ والأنصـار ، كـانت مفاجَـأةً عنيفَـةً بَدَّلَتِ المعركَـة ، فبَعـدَ أن كـان المسـلمونَ

منتصِرين ، أصبَحُوا يُدافِعُونَ عن أنفُسِهم دفاعَ اليائِسين .

ولَمَحَ وحشِيٌّ حمزة ، فَرَفَعَ حربَتَه وهزَّها ، ثم رَمَى بها حمزة ، فَسَقَطَ ودمُه يسِيل ، ثم فارَقَ الحياة ، وجاء وحشيٌّ فأخَذَ حَرْبَتَه ، وذهَبَ إلى هِند ، يُخبِرُها أنه قتَلَ حمزة ، الذى قتلَ أباها وأخاها يومَ بدر .

وجاءَت هنْدُ إلى جُثَّة حمزة ، وفَتحتْ بَطنَه وجذَبَت كَبدَه ، وجَعَلَتْ تَلُوكُها فى فَمِها ، لِتُطْفِىءَ نارَ الحِقدِ المتَوقِّدَةِ فى جَوفِها ، وفى ذلك الوقت تفرَّقَ المسلمون عن النبىِّ ﷺ ، ولم يبْقَ معه إلاَّ علىٌّ وعُمَرُ وأبو بكر ، وبعضُ نفَرٍ من المسلِمينَ يدافِعُونَ عنه .

ولَمَحتْ أمُّ عُمارة ، وكانت امرأةً مسلِمةً تسقِى المُحارِبينَ الماءَ ، انهِزامَ النّاسِ عن النَّبىِّ ﷺ ، فألْقَتْ بالقِرْبَةِ التى كانت تَحْمِلُها ، وتناوَلَتْ سَيفا ، وجاءَت إلى رَسُولِ اللّه ، تُدافِعُ عنه مع من ثَبتَ معه ؛ وجاءَ رجلٌ من قُريش يصيح :

ـ دُلُّونِى على محمد ، فلا نَجَوتُ إن نَجا .

فاعْتَرَضتَه أمُّ عُمارة ، فَضَرَبَها بسيفِه فجُرِحت ، ولكنَّها ضرَبَته ضَربتَين ، فَفَرَّ من أمامِها .

وصاحَ صائح :

ـ ألا إنَّ محمَّدًا قُتل .

وحَسِبَ أبو سُفيانَ أنَّ رسولَ اللّه قدْ قُتل ، فأمَرَ بوقْفِ القِتال ، فما جاءَ إلاّ لِيَقتُلَ محمَّدا ، وليثأرَ من حمزة ، لِيُرضِىَ زوجَتَه ؛ وجَمَعَ رجالَه حولَ لِوائِه :

ورأى أحَدُ المسلِمينَ رسـولَ اللّه ، بعدَ أن ظَنَّ أنَّه قُتِلَ فى المعركة ، فصاحَ فى فَرَح :

ــ يا مَعشَرَ المسلمين ، أبْشِرُوا ! هذا رسولُ اللّه .

فأشارَ له رسولُ اللّـه أن يسكُت ، وراح أبـو سُفيانَ يبحَثُ عـن جُثّةِ محمَّدٍ بينَ القَتلَى ، فلمَّا لم يَجِدْها أحَسَّ خَيبَةَ أمَل ، وصاح :

ــ أفى القومِ محمَّد ؟

فقال النبىُّ : « لا تُجيبُوه » .

فصاحَ أبو سفيان :

ــ أفى القَومِ ابنُ أبى قُحافَة (أبو بكر) ؟

فقال النبىُّ : « لا تجيبوه » .

فصاح أبو سفيان :

ــ أفى القَوم ابنُ الخطّاب ؟

فلم يسمعْ أبو سُفيانَ صَوتًا ، فقال :

ــ إنَّ هؤلاء قُتِلُوا ، لو كانوا أحياءَ لأجابُوا .

فلـم يستطِع عُمَـرُ أن يصبِر ، فقـال : «كَذَبْـتَ يا عَدُوَّ اللّه ، أبْقَى اللّه عليكَ ما يُخْزِيك » .

واستَعَدَّ المسلمونَ لِيَستَأنِفُوا القِتال ، ولكنَّ أبا سفيانَ لم يَقْبَلْ هذا التَّحَدِّى ، بل قـال : « يومٌ بيومِ بدر ، اعْلُ هُبَل ، لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم » .

فأجابَه عُمَر : « اللّه مولانا ، ولا مَولَى لكم » .

فقال أبـو سُـفيان : «إنَّ مَوعِدَكم بَـدْرٌ العـامَ المقبل» .

فقال عمر : « نعم بيننَا وبينكم مَوعِد ».

وجَمَعَ أبـو سفيان رِجالَـه ، وذهَـبَ إلى مكـة ، وهبط النبىُّ ﷺ لِيَرى من قُتِلَ من رِجالِه ، فلما رأى

عَمَّه حمزةَ قَتيلا ، دَمَعَت عيناه ، ونَزَلَ به حُزْنٌ ثقيل .

وحَزِنَ المسلمونَ لِما أصابَهم ، بِسَبَبِ عِصيانِ أوامِرِ الرَّسول ﷺ، ولكنْ مُسِحَ من صُدُورِهم ذلك الحُزن ، لمَّا نَزَلَ القُرآن ، فقد قال اللّه لهم :

﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين * إنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُه ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس ، وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ، وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِين * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِين * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُم ، وَيَعْلَمَ الصَّابرين * وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُون ﴾ .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

الخندق

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يا أيها الذين آمَنوا اذكُروا نِعمةَ اللّه عَليكم إذ جاءَتكم جنودٌ فأرسَلْنا عليهم رِيحًا وجنودًا لم تَرَوها ، وكانَ اللّه بما تَعمَلونَ بصيرا . إذْ جاءُوكم من فَوقِكم ومن أسفَلَ منكم وإذ زاغَتِ الأبصارُ وبلَغتِ القُلوبُ الحناجِرَ وتظُنُّونَ باللّه الظُّنونا ، هُنالِك ابْتُلِيَ المؤمِنونَ وزُلْزِلُوا زِلزالاً شديدا . وإذْ يقولُ المنافِقُونَ والذينَ فى قُلُوبِهم مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ ورَسُولُهُ إلاّ غُرُورا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

كانَ اليهودُ يكرهُونَ محمَدًا ﷺ ، فلمَّا رأَوْا أنَّ دِينَه ينتشِر ، وأنَّ أهلَ المدينة أصبَحوا أقوياءَ به ، فكَّروا فى أن يفعلوا شيئا ؛ ليقْضُوا على رسول اللّه ، ويستَرِيحوا منه . ولما كانت قريشٌ عدُوَّهُ الأشَدّ ، ذهبَ بعضُ أشرافِ اليهودِ إلى مكة ، لِيَتَّفِقوا مع قُريشٍ على حربِ المسلمين .

دخلَ اليهودُ على أبى سُفيانَ وساداتِ قريش ، وقالوا لهم :

ـ إنّا سنكونُ معكم عليه ، حتى نستأصِلَه .

ورأى بعضُ أشرافِ قريشٍ أن يَسأَلَ اليهودَ عن دينِ محمد ، فقال :

ـ يا مَعشَرَ يهود ، إنكم أهلُ الكتابِ الأوَّل

« التوراة » ، والعِلم بما أصبَحنا نختَلِفُ فيه نحنُ ومحمد ، أفَدِيننا خيرٌ أم دِينُه ؟

كانَ اليهودُ يحسدُونَ محمَّدا ، ويغتاظُونَ منه ، فقالوا :

ـ بل دينُكم خيرٌ من دِينِه ، وأنتم أولَى بالحَقِّ منه .

جعلَهم الحَسَدُ يقولون : إنَّ عِبادَةَ الأَصنام خيرٌ من عِبادَةِ اللّه الواحِد ، فأنْزَلَ اللّه فيهم : « ألَمْ تَرَ إلى الّذين أُوتُوا نَصِيبًا من الكِتابِ ، يؤمِنونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوت ، ويقولُونَ للذينَ كَفَروا : هؤلاء أهْدَى من الذينَ آمَنوا سَبيلا . أولئِكَ الذينَ لَعَنهم اللّه ، ومَن يَلْعَن اللّهُ فَلَنْ تَجدَ له نَصِيرا » .

ووافقَتْ قُريشٌ على أن تُحارِبَ محمَّدًا مع اليهود ، ولم يكتَفِ اليهودُ بالاتّفاقِ معَ قريشٍ على ذلك ، بل خَرجُوا يَتَّفِقُون مع القبائِلِ الأُخرى ؛ كانوا يُرِيدُون أن يَقْضُوا على الإِسلام ، وأن يُطْفِئوا نُورَ اللّه .

٢

بلغَ المسلِمينَ أنَّ اليهودَ ألَّبُوا عليهم قُريشًا والعرب ، وأنَّ أبا سُفيانَ قد خَرَجَ على رأسِ جيشِه لِيُقاتِلَهم ، فراحُوا يُفكِّرُون ماذا يفعلون ؛ إنهم لا يسْتَطِيعُونَ أن يُقاتِلُوا هذه القُوَى مُجْتَمِعة ، ولكنهم يستَطِيعُونَ أن يُدافِعُوا عن المدينة . إنَّ العربَ ما كانوا يعرِفونَ القِتالَ إلاّ وَجهًا لِوجْه ، فكانَ الرأىُ أن يقِفَ المسلمونَ فى وجهِ قُوَّاتِ أبى سُفيان ؛ ولكنَّ سَلمانَ الفارِسىّ ، الذى خرج من بلاده يبحثُ عن الدِّينِ الجديد ، حتى قابَلَ رسولَ اللّه ، وأسْلَمَ ، رأى فى بِلادِه ما تَفعَلُهُ الجيوشُ

المُدَرَّبةُ فى أثناء حِصار المدن ، فاقْتَرح حفرَ خندقٍ عمِيقٍ واسعٍ حولَ المدينة ، وقال :

ـ أرى يا رَسُولَ اللّه ، أن تَضْرِبَ على المدينةِ خَنْدَقًا ، فَيُصبحَ بيننا وبينَ المُشركين ، فلا يستطِيعُوا اقتِحامَه .

أُعجِبَ النبىُّ ﷺ بهذا الرأى ، فتناوَلَ فأسًا ، وضَرَبَ به يَحْفِر الخندق ؛ وقام المسلِمُون يحفِرُون حولَ المدينةِ خندقًا عميقا .

ونالَ التَّعبُ من الرِّجال ، فراح النَّبىُّ يُشَجِّعُهُم وهو ينقُلُ التُّرابَ ، كان يرتَجِزُ بكلماتِ ابنِ رَوَاحَة ، أحَدِ المسلِمين :

لاهُمَّ لولا أنت ما اهتَدَينا ... ولا تصدَّقْنا ولا صلَّينا
فأَنْزِلَنْ سَكِينَةً علينا ... وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَينا
والمشركُونَ قدْ بَغَوا علينا ... وإن أرادُوا فِتْنةً أبَينا

فراحَ المسلمون يُرَدِّدُون :

نحن الذينَ بايَعُوا محمَّدا ... على الجِهادِ مابَقِينا أبدا

وراحَ سَلْمانُ يَضْرِبُ فى الخندَق ، فاعْتَرَضَتْه صخرة ، وكان رسولُ اللّه قريبًا منه ، فلما رآه يضرِب ، ورأى شِدَّةَ المكانِ عليه ، ذهبَ إليه ، وأخذَ منه المِعْوَل ، فضَرَبَ به ضَرْبَة ، فَلَمَعت تحتَ المِعْوَل بَرْقَة ، ثمَّ ضَرَبَ به ضَرْبةً أخرَى ، فلَمعَتْ تحتَه بَرْقَةٌ أخرَى ، ثم ضَرَبَ به الثالثة ، فَلَمَعت بَرْقةٌ أخرَى .

فقال له سَلمان :

ـ بأبِى أنتَ وأمِّى ، يا رسولَ اللّه ! ما هذا الذى رأيتُ لمَعَهُ تحتَ المِعْوَلِ وأنتَ تضرِب ؟

قال له رسول اللّه :

ـ أوَقَدْ رأيتَ ذلك يا سَلمان ؟

ـ نعم .

قال رسولُ اللّه :

ـ امَّا الأولَى ، فإنَّ اللّـهَ فتَحَ علىَّ بـابَ اليَمَن ، وأمَّا الثانية ، فإنَّ اللّه فتَحَ علىَّ بابَ الشامِ والمغرِب ، وأمَّا الثالثة ، فإنَّ اللّه فتحَ علىَّ باب المَشْرِق .

في هذه اللَّحظة الشـديدة ، التـى كـان المسـلمونَ يحفِـرُونَ فيهـا الخَنـدَق ، ولا يسْتَطِيعُونَ أن يخرُجُـوا فيها لأعدائِهم ، كان رسولُ اللّه على ثِقـةٍ مـن نَصـرِ اللّه ، وكان على يقِينٍ من أنَّ اللّهَ سينصُرُه ، وينشُـرُ دِينَه في اليمن وفي الشام ، وفي المشرِق والمغرِب .

٣

جاءَ أبو سُـفيانَ فـي جيـشٍ عِدَّتـه عشـرة آلاف ، وجاءَ رسولُ اللّه في ثلاثةِ آلاف ؛ وكان الخَندَقُ بين الجيشينِ ، وأغلَقَ يهودُ بنى قُرَيظَةَ حِصنَهـم عليهـم ،

كانوا قدْ عـاهَدُوا رسـولَ اللّـه علـى أن يعِيشُـوا فـى جوارِ المسلِمين فى أمان ، ولكنَّ زَعِيمَ اليهـود الـذى اتَّفَقَ مع قريشٍ على القتالِ ، جاءَ إلى الحِصن ، وقال لرئيسِ بنى قُرَيْظة :

ـ وَيْحَك ، افتَح لى .

فلم يشأ أَن يفتحَ له ؛ لأنَّه كـانَ يعلَـمُ أنَّ مـا جاء إليه إلاَّ ليطلبَ منه قِتالَ محمد ، وقال :

ـ إنِّى قد عاهَدْتُ محمَّدًا ، فَلَسْتُ بناقِضٍ ما بينِـى وبينَه ، ولم أرَ منه إلاَّ وَفاءً وصِدقًا .

ـ وَيْحَكْ ! افتَحْ لى أكلِّمك .

واسْتَمَرَّ يُلِحُّ عليه ، حتى فَتَح له ، فقال له :

ـ ويْحَك ! جئتُكَ بِعِزِّ الدَّهر .

ـ وما ذاك ؟

ــ جئتُكَ بقريشٍ والعرب ، قد عاهَدُونى أن لا يَبرَحُوا حتى نَستأصِلَ محمدًا ومَن معه .

فقال زعيم بنى قُرَيظة :

ــ ويحَك ! فَدَعْنى وما أنا عليه ، فإنّى لم أر من محمدٍ إلاّ وَفاءً وصدقا .

إلاّ أنّه قَبِلَ أخيرًا أن ينضمَّ بنو قُرَيظة ، حُلَفاءُ محمد ، إلى أعدائِه ؛ وبَلَغَ الخَبَرُ رسولَ اللّه ﷺ ، فأرسَلَ إلى بنى قُرَيظةَ ساداتِ المسلِمين فى المدينة ، وقال لهم :

ــ انطلِقُوا حتى تأتُوا هؤلاء القوم ، فتَنْظُروا أحقٌّ ما بَلَغَنا عَنهم .

وذَهَب المسلمون إلى اليهود ، وسألُوهم عمَّا بَلَغَ رسولَ اللّه عنهم ، فقال اليهودُ فى سُخرِية :

ــ مَن رسولُ اللّه ، لا عَهدَ بيننا وبينَ محمد .

وعَلِمَ ساداتُ المسلِمينَ فى المدينة ، أنَّ اليهودَ قد انضَمُّوا إلى أعداءِ المسلِمين ، فَعادُوا إلى رسولِ اللّه ، وأبلَغُوهُ أنَّ اليهودَ قد خانُوه ، ومالُوا إلى أعدائِه .

٤

حاوَل الكفّارُ أن يجتازُوا الخندق ، ولكنَّ سِهامَ المسلِمينَ كانت تُردُّهم . واستمرَّ حِصارُ قريشٍ للمسلمين قريبًا من شهر ، فَتَضايَقَ أبو سُفيان ؛ كان يحسِبُ أن سَيَقْضِى على محمَّدٍ وأنصارِه فى يومٍ واحِد ، ثم يعودُ إلى مكة ، ولكن ذلك الخَندَقَ حالَ بينَه وبين أن يُحَقِّقَ هذا الأمَل .

وقفزَ فُرسانٌ من قريشٍ من مكانٍ ضَيِّقٍ فى الخندق ، فخرجَ علىُّ بنُ أبى طالبٍ فى نَفَرٍ من المسلمين وقابَلَهم ، ودارَت مُبارَزَاتٌ بين فُرسان قريشٍ وفُرسانِ المسلمين ، انتهَت بانكِسارِ فُرسان قُريش . ولكنْ اشتَدَّ البردُ والجُوعُ على المسلمين ، ونَزَلَت بهم شِدَّةٌ عظيمةٌ بسببِ الحِصارِ ، فراحَ رسولُ اللّه يدعُو ربَّه :

ـ اللَّهُمَّ مُنزِلَ الكتاب ، سريعَ الحساب ، اهزِمِ الأحزاب ، اللهمَّ اهزِمهم وزلزِلْهم .

واشتَدَّ البَردُ فى اللَّيل ، وصفَرَتِ الرِّياح ، فدخل المسلمونَ خيامَهم ، وكانت فى الخَندَق ، واشتَدَّت الرّيحُ فاقْتَلَعت خيامَ قُريش ، وطَرَحت قُدُورَهم ، فَدَبَّتِ الفَوضَى فى مُعَسكَرِهم ، وحاوَلُوا أن يَجِدُوا

مكانًا يَستَخْفُونَ فيه من غضَبِ السماء ، ولكنهم لم يجدُوا مأوًى لهم ، فاشتَدَّ بهمُ الكَرْب ، وضَعُفَتْ نُفُوسُهم ، وتَمَنَّوا أن تكُفَّ الرِّياح ، لِيَعُودُوا إلى مكة ، فقَد تحالَفَتِ الطبِيعَةُ مع المسلمين .

وهَدأَتِ الرِّياح ، وأصبَح الصَّباح ، فنظرَ المسلمونَ إلى معسكرِ الأعداء ، فَوَجَدُوا سُكُونًا وهدوءا . قال النبىُّ ﷺ :

ـ مَن يأتِينا بخَبَرِ القَوم ؟

فقال الزُّبَيرُ بنُ العوَّام : « أنا » .

وخرجَ الزُّبَيرُ إلى معسكرِ قُريشٍ وهو يَسِيرُ فى حَذَر ، فلَم يَجدْ إلاّ قُدُورًا مُنكَفِئَة ، وخِيامًا مُقْتَلَعَة ، فعَادَ إلى المسلمينَ مسرورًا وصاح :

ـ رَحَلُوا .. رحَلُوا .

فَشاعَ الفَرحُ فى صُفُوفِ المسلِمين ، وهَتَفُوا :

ـ لا إلَه إلاّ اللّـه وحـدَه ، صَـدَقَ وَعْـدَه ، ونَصَـرَ عبدَه ، وأعَزَّ جُنْدَه ، وهَـزَمَ الأحْـزَابَ وحْـدَه ، فلا شىءَ بَعدَه .

وحَمِدَ رسولُ اللّه ربَّه ، ثمَّ قال :

ـ الآنَ نَغْزُوهم ولا يَغزُونَنا ، نحنُ نسيرُ إليهم .

٥

انصَرَفَ رسولُ اللّـه ﷺ إلى دارِه ، وانصـرفَ المسلمون إلى دُورِهم ، ووضَعَ النَّبيُّ سِلاحَه ، فجاءَه جِبرِيل ، وقال له :

ـ أَوَقَدْ وَضَعْتَ السِّلاحَ يا رسولَ اللّه ؟

قال رسولُ اللّه ﷺ : « نعم » .

فقال جبريل : « إنَّ اللّهَ عَزَّ وجَـلَّ يـأمُرُكَ بالمسِيرِ يا محمَّدُ إلى بنى قُرَيظَة ، فإنِّى عامِدٌ إليهـم ، فمُزَلـزِلٌ بهم » .

خـانَ اليهـودُ محمَّـدًا ، وتـآمَرُوا عليـه ، ولـولا أن لَطفَ اللّه به ، وأنقَذَه من حِصارِ أعدائِه ، لكـانَ فـى ذلكَ القضاءُ على الإِسـلام ، لذلـك كـانَ لابُـدَّ مـن حرب اليهود ، وأخراجهم من جوار المسلِمين ، فَلـمْ يَعُدْ لهم أمان .

أمَرَ رسولُ اللّه مُؤَذِّنًا ، فأذَّنَ فى النّاس :

ـ مَن كان سامِعًا مُطِيعًا ، فلا يُصلِّيَنَّ العَصرَ إلاَّ فى بنى قُريظة .

واجْتَمعَ المسلِمُونَ فـى عُـدَّةِ القِتـال ، وذهبُـوا إلى حصونِ بنى قُريظة ، فلَمَّـا رآهـم اليهـودُ ارتَجَفُـوا ، ودخلُـوا الحصُـون ، فأغْلَقُوهـا عَليهـم ، ولم يكُـنْ

عندَهــم طعــامٌ ولا شــرابٌ يكفِيهــم ، فَحــاصَرَهم المسلمون حتى طلَبُوا التّسلِيم .

عـرَضَ عليهـم رسـولُ اللّـهِ أن يُعْلِنُــوا إســلامَهم فرفضُوا ، وعَرَضُوا عَلَيه أن يحكُمَ بينَهم وبينَ رسـولِ اللّه حَكم ، فلمَّا جاءَ الحَكَمُ رأى أنهم تـآمَرُوا علـى حُلَفـائِهم ، وأنّ هـذه الخِيانـةَ جزاؤهـا القَتْـل ، فـأمَرَ بِقتلِ الرِّجال ؛ ونُفِّذَ حُكمُ ذلك الحَكَمِ فى اليهـود ، فأصبَحَتِ المدينـةُ للمسـلمِين ، أورَثَهُـم اللّـهُ إياهـا ، وكانَ اللّهُ على كلِّ شيء قدِيرا .

القصص الديني

الحلقة الثانية

قصص السيرة

صلح الحديبية

تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنَّ الّذينَ يُبايِعُونَك إنّما يُبايِعُونَ اللّه ، يدُ اللّهِ فَوقَ أيدِيهم ، فَمَنْ نكَثَ فإنّما يَنكُثُ على نَفْسِه ، ومَن أوْفَى بِما عاهَدَ عليهُ اللّهَ ، فَسَيُؤتيهِ أجْرًا عَظِيما ﴾ .

(قرآن كريم)

١

حاوَلَتْ قُرَيشٌ أن تَقضِيَ على الإسلام ، فى بَدْر ، وفى أُحد ، ويومَ اجتَمَعَتِ الأحزابُ على حربِ محمَّد ، ولكنَّ الإسلامَ ثبتَ فى وجهِ أعدائِه ، وانتشَرَ على الرَّغم من سيوفِ الأَعداء ، التى تُريدُ أن تُجهزَ عليه ؛ انتَشَرَ بالحُجَّةِ والاقتناع ، وكان الاضطهادُ يزيدُ الناسَ إيمانًا به ، ودُخولا فيه ، وكان عددُ المسلِمينَ فى تزايُدٍ مستمر . ففِى بدرٍ قاتَل قريشًا ثلاثُمائة مُقاتل ؛ وفى غزوة أُحُد ، وكانت بعدَ بدرٍ بعامٍ واحد ، كانت عِدَّةُ الجيشِ الإسلامىِّ سبعَمائةِ مُقاتِل ؛ وكانَ المقاتِلُونَ المسلمونَ فى غزوةِ الخَندَقِ ألفَين .

كان الناسُ يدخُلُونَ فى دينِ اللّه أفواجا ، وقد دخَلُوا فيه راضِين ؛ اتّبَعُوا الإسلامَ لأنّه الدِّينُ الحَقّ ، وما انتشَرَ يومًا بحدّ السيف ، ولكنّه انتشرَ على الرَّغم من السيُّوف التى شُهِرَت للقضاء عليه .

٢

أرادَ رسولُ اللّه ﷺ أن يَخرُجَ إلى مكة للحجّ ؛ وكان النّاسُ يأتُونَ إلى الكعبة من كلِّ مكانٍ فى الموسِم ، فَتَجَهَّزَ المسلمون للخروج إلى مكة ، وخرَجُوا فى ثِيابِهم البيض على جمالِهم ، وكانوا ألْفًا وأرْبَعمائة ، وكانوا عُزْلا من السِّلاح ، لِيُعلِنُوا لِقُرَيشٍ أنهم لا يُريدُونَ حربَهم ، وإنّما جاءُوا زائِرينَ لهذا البيت ، ومعَظِّمِينَ له .

وفيما هم فى الطريق ، جاءَ إلى رسولِ اللّه رجُل ، وقال له :

- يا رسولَ اللّه ، هذه قريشٌ قد سمِعَت بمَسيرِك ، فخَرَجُوا وقد لبِسُوا جُلُودَ النُّمور ، يُعاهِدُونَ اللّه ألاَّ تدخُلَها عليهم أبَدا .

لم يكنْ رسولُ اللّه يريد حربًا ، إنَّه إنّما يُريدُ زيارةَ الكعبة ، فقال :

- يا وَيحَ قُرَيش ! لقدْ أكَلَتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبين سائِر العرب ، فإن هم أصابُونِى كان ذلك الذى أرادُوا ، وإن أظهَرَنِى اللّه عليهم دخلُوا فى الإسلام وافِرين ، فما تَظُنُّ قُرَيش ، فواللّه لا أزالُ أُجاهِدُ على الذى بَعَثَنِى اللّه به ، حتى يُظْهِرَه اللّه ، أو أموتَ دونه .

وسارَت قافلةُ المسلِمينَ فى طريقٍ غيرِ طريقِ قريش ، حتى ظهرتْ مكة ، فبَرَكتْ ناقةُ الرسول ، فقال الناس :

ـ بَرَكَتِ الناقَة .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ حَبَسَها حابسُ الفيل عن مكة ، لا تَدْعُونِى قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ يسألُونَنِى فيها صِلَةَ الرَّحِمِ إلاّ أعطَيْتُهم إيَّاها .

كان النبيُّ يحبُّ مكةَ بلَدَه ، وما كان يحبُّ أن يَجْرِى فيها قِتال ، أو تَسيلَ فيها دماء ، وهى البَلْدَة الآمنة ، فقال لأصحابِه :

ـ انزِلُوا .

فنزَلُوا عن جِمالِهم ، وعسكَرُوا بالقُربِ من مكة .

٣

جاءَ رجُلٌ من قُرَيشٍ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وقال له :

ـ ما الذى جاءَ بك ؟

فقال له رسولُ اللّه : إنه لم يأتِ يُرِيدُ حَرْبًا ، وإنما جاءَ زائِرًا للبيت ، ومُعَظِّمًا لِحُرمَتِه .

فعادَ الرَّجُلُ إلى قريشٍ وقال :

ـ إنَّ محمَّدًا لم يأتِ لِقِتال ، وإنما جاءَ زائِرًا لهذا البيت .

فقال الرجالُ الحاقِدونَ على محمدٍ ﷺ :

ـ إن كان جاءَ لا يُرِيدُ قتالا ، فواللّه لا يَدخُلُها علينا عُنْوةً (بالقوَّة) أبدا .

وراح رِجالٌ من قُريش يَفِدُونَ إلى النَّبِيّ ، يسألُونَه

عمَّا جاءَ له ، فيقولُ لهم إنَّه ما جاءَ يُريدُ حربا ، ولكنه جاءَ زائِرًا للكعبة ، ولكنَّ قريشًا لم تَقْنع بما قال ، فرأى رسولُ اللّه ﷺ أن يُرسِلَ إلى قُريش رجلاً من رجالِه ، فَدَعا عُمَرَ بنَ الخطَّابِ لِيُرسِلَه إلى مكة ، فيبلِّغ عنه أشرافَ قريش ما جاءَ له ، فقال عمر :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنِّي أخافُ قريشًا عَلَيَّ ، وقد عَرَفَت قريش عَداوَتي إيَّاها ، ولكنِّي أدُلُّكَ على رجُلٍ أعَزَّ بها مني .

دعا رسولُ اللّه ﷺ عثمانَ بنَ عَفَّان ، وأرسَلَه إلى قريش ، فخرَجَ عثمانُ إلى مكة ، لِيُبَلِّغَ أبا سُفيانَ وأشرافَ القَومِ ، أنَّ رسولَ اللّه ما جاءَ يُريدُ حربا ، ولكنَّه جاءَ يريد زيارة الكعبَة .

٤

تأخَّر عُثمانُ في العَودَة ، فقَلِقَ رسولُ اللّه عليه ، وذاعَ بينَ المسلِمين أنَّ عُثمانَ قُتِل ، فلمَّا بَلَغَ ذلك رسولَ اللّه غضِب ، وجَمعَ المسلِمينَ تَحتَ الشجرَة ، وطَلَبَ منهم أن يُبايِعُوه على الثَّأرِ بعثمان ؛ إنَّه ما جاءَ للحرب ، ولكنَّ قريشًا قَتلت صاحبَه ، فما كان له أن يَفِرَّ بعد ذلك الاعتِداء ، وكانت هذه البَيعة هي بَيعَةَ الرِّضوان . وقَبلَ أن يتحرَّك المسلمون للثَّأر بعثمان ، ظهرَ عثمانُ بنُ عفَّان ، ومعه رجلٌ من قريش ، جاءَ يُفاوِضُ النبيَّ على الصُّلح ، فلما رأى رسولُ اللّه الرجُلَ قال :

ـ قد أرادَ القومُ الصُّلْحَ حين بَعثُوا هذا الرجل .

ودارت المفاوضاتُ بين رسولِ اللّه وسُهَيلِ بنِ

عمروٍ رسولِ قريـش ، فاتّفقَا علـى أن يتهادَنـا (أى لا يُحاربُ أحدُهما الآخَر) عَشْرَ سِنِين ، وأن يَرجِـعَ النبيُّ وصَحبُهُ عن مكة عامَهم هذا ، على أن يَعُـودُوا إليها فى العامِ الـذى يليـه ، فيدخُلُوهـا ويُقِيمُـوا بهـا ثلاثة أيام .

وغَضِبَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ هـذه الشُّروط ، فجاءَ إلى رسولِ اللّه يستَنكِرُ هذِه المُفاوَضة ، قال له :

ـ يا رسولَ اللّه ، ألستَ برسولِ اللّه ؟

قال رسولُ اللّه ﷺ : « بَلَى » .

قال عُمَر :

أوَلَسنا بالمسلِمين ؟ ـ بَلَى .

ـ أوَلَيسُوا بالمشرِكين ؟ ـ بَلَى .

ـ فَعلامَ نقبَلُ الذُّل فى دِينِنا ؟

فقال له النبيُّ ﷺ :

ـ أنا عبدُ اللّه ورسولُه ، لـن أُخالِفَ أمـرَه ، ولَـن يُضَيِّعنِى .

لم يفهـم عُمـرُ فـى ذلـك الوقـتِ حكمـةَ هـذه المعاهَدة ، فَغَضِب ، وغضِبَ كثيرٌ من المسلمين .

٥

دعـا رسـولُ اللّـه ﷺ علِيًّـا لِيَكتُـبَ لـه نُصُــوصَ المعاهَدة ، فقال له :

ـ اكتب : باسمِ اللّه الرَّحمٰنِ الرَّحيم .

فقال سُهَيلٌ رسولُ قريش :

ـ لا أعرِفُ هذا ، ولكن اكتب : باسمِكَ اللّهمَّ .

فقال رسولُ اللّه ﷺ لِعلِيّ :

ـ اكتب ، باسمك اللّهمّ .

ثم قال :

ـ اكتب : هذا ما صالَح عليـه محمـدٌ رسولُ اللّه سُهَيلَ بنَ عمرو .

فقال سهيل :

ـ لو شهِدتُ أنّك رسولُ اللّـه لم أُقاتِلْك ، ولكن اكتب اسمَك واسمَ أبيك .

فقال رسول اللّه لِعلِيّ :

ـ اكتب : هذا ما صالَحَ عليه محمدُ بـنُ عبـد اللّه سهيلَ بنَ عَمْرو ، اصطلَحا على وضْـعِ الحـربِ عن الناسِ عشرَ سِنين يَأمَنُ فيهنَّ الناس ، ويكُفُّ بعضُهم عن بعض .

وكُتِبَت المعاهَدة ـ والمسلمون فـى حُزن شـديد ، كانوا يظنُّونَ أنهم سيدخلُونَ مكة ، وإذا بالنَّبىِّ يتفِقُ مع قريشِ على أن يَرجِعَ هذا العام ، لِيعُودَ فى العـامِ

الـذى يلِيـه ، وعلـى أنَّ مـن يـأتِى رسـولَ اللّـه مـن قريشٍ بغيرِ إذنِ سيِّدِه ردَّه عليهم ، ومن جاءَ قريشًا من محمد ، لم يَرُدُّوه عليه .

٦

كانت هـذه المعاهدة نصـرًا لرسـولِ اللّـه ، وإن لم يفهَمْ ذلكَ أغلَبُ المسـلمينَ الذينَ كـانوا معه . إنّـه ضَمِنَ بها أن يأتِىَ إلى مكة فى العامِ القادم دون إراقةِ دماء ، وقـد زادَتْ هـذه المُعاهَدةُ فـى عُلُـوِّ شـأنِ الإِسلام فى جَزِيرة العـرب ، حتّـى إنَّ الذيـن جاءُوا إلى المدينة بعدَ توقِيعِها ليدخُلُوا فى دينِ اللّـه ، كـانُوا أكثرَ ممَّن جاءُوا يُعلِنُونَ إسلامَهم فـى السـنواتِ السِّتِّ السابقة .

وعاد المسلمون إلى المدينة ، وفى الطَّريقِ أنْزَلَ اللّه

على رسولِه سُورةَ الفَتح ، فراحَ يقرَؤها على الناس :

﴿ بسمِ اللّه الرحمن الرحيم ....

إنّا فَتَحنا لكَ فتحًا مُبينا ، لِيَغفِرَ لك اللّهُ ما تَقدَّمَ من ذنْبكَ وما تأخَّر ، ويُتِمَّ نعمَتَه عليك ، ويهدِيَك صراطًا مُستَقِيما ، وينْصُرَكَ اللّه نصرًا عزيزا ﴾ .

﴿ إنَّ الذينَ يُبايِعُونَكَ إنّما يُبايِعونَ اللّه ، يدُ اللّه فَوقَ أيدِيهم ، فَمَنْ نَكثَ فإنّما ينكُثُ على نفسِه ، ومن أوفَى بما عاهَدَ عليهُ اللّه ، فَسَيُؤتِيه أجرًا عَظِيما ﴾ .

ولَمّا أتمَّ رسولُ اللّه السُّورَة ، نزلَتْ الطمأنينةُ قلوبَ المسلِمين ، فقدْ أيَّدَ اللّه رسولَه ، ووَعَدَهم اللّه فتحَ مكة .

٧

وفى مكةَ سارَ خالِدُ بنُ الوليدِ مُطْرِقا ، يفكِّر فى الدِّينِ الجديد ، الذى جاءَ به محمد ، فَيَجِدُهُ دِينًا قَيِّما ، يدعُو إلى مكارِمِ الأخلاق ، فلماذا يكابرُ ولا يدخُلُ فيه ؟ وفِيما هو فى تفكيرِه قابَلَه عمْرُو بنُ العاص ، وقال له :

ـ أينَ يا أبا سُلَيمان ؟

قال خالدُ بنُ الوليد :

ـ واللّه إنَّ الرجلَ لنبيّ ، أذْهَبُ واللّه فأُسلِم ، فحتّى متى ؟

فقال له عمْرو بن العاص :

ـ واللّه ما جِئتُ إلاّ لأُسلم .

وسافَرا إلى المدينة ، لِيُعلِنا إسلامَهما ، وقابَلا

رسولَ اللّه ﷺ وأسلَما ، فلمَّا بَلَغَ قريشًا إسلامُ خالِدِ بنِ الوليدِ فارسِها ، وعَمْرِو بنِ العاص داهِيتها ، تيقَّنتْ أنَّ محمدًا ﷺ قد ازداد بهما قوّة .

كسبَ محمدٌ ﷺ بالسِّلم ما لم يكسبه فى أعظَم المعارِك الحربية .

﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائلاً فَأغْنَى * فَأمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ * وَأمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ * وَأمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّث ﴾ .

الدعوة
إلى الإسلام

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَأَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّه ، وَلاَنُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّه ﴾ .

(قرآن كريم)

١

دخلَ النّاسُ فى دينِ اللّهِ بعدَ صُلحِ الْحُدَيْبِيَة ؛ ولما كانَ اللّهُ قد بعثَ محمّدا ﷺ رسولاً إِلَى النّاس كافّة، رأى الرسُولُ أن يَبعثَ رُسلَه إلى ملوكِ البِلادِ المُجاورة ، يدعُوهم إلى الإِسلام . وفى ذاتِ يوم ، كتب رسائلَ إلى الملوك ، فقال له أصحابُه :

ـ يارسول اللّه ، إنهم لا يقرءون كتابًا إلا إذا كان مختوما .

فصنع رسولُ اللّهِ ﷺ خاتمًا ، نُقِشَ فيه : « محمَّدٌ رسولُ اللّه » ، وخُتمتِ الرَّسائلُ بهذا الخَاتَم ، ولم يبق إلا الرِّجالُ الّذين يذهبونَ بها إلى ملوكِ العالَم . كان رسولُ اللّه يعرفُ طبيعةَ الناس ، فإنه يعلمُ أن الّذين سيُرسِلهم إلى مكان قريبٍ يَرْضَوْن ، وأمَّا

الّذين سيُرسلهم إلى مكانٍ بعيدٍ فإنهم يكرهُون ذلـك ويرفُضُون ، فجمع أَصحابَه ، وقال لهم :

ـ أيُّها الناس ، إن اللّه بعثني رحمةً وكافّة (أي لجميع الناسِ) فأدُّوا عنّي رحمكُم اللّه ، ولا تختلفوا عليَّ كما اختلفَ الحَواريّونَ على عيسى بن مريمَ عليه السلام .

فقال أصحابه :

ـ وكيف اختلفَ الحواريّونَ على عِيسَى عليه السلامُ يا رسولَ اللّه ؟

فقال رسولُ اللّه :

ـ دعاهم لمثلِ ما دعوتُكم له ، فأمّا من بعثَه مَبعثًا قريبا فرضِيَ وسلّم . وأمّا من بَعثَه مَبعثًا بعيدا ، فكَرِه وأبى ، فشكا ذلك عيسى عليه السلامُ إلى ربِّه عزَّ

وجلّ ، فأصبحُوا وكلُّ رجل منهم يتكلّمُ بلغةِ القومِ الذى وُجِّه إليه .

ولم يختلفْ صحابةُ محمَّدٍ ﷺ ، كما اختلفَ الحَوارِيّونَ على عيسى عليه السلام ، بل قَبِلوا أن يذهبوا إلى حيثُ يُرسلُهمْ رسولُ اللّه .

٢

أرسلَ محمَّد ﷺ دِحْيَةَ الكَلْبِيَّ إلى قيصرَ الروم ، بكتابٍ يدعوه فيه إلى الإسلام ، فذهب دِحْيَةُ إلى الشّام ، واتّجه إلى قصرِ الملك ، وطلب مقابَلته ، فلما أذِن له بالدُّخول ، قال رجالُ القصرِ لدحية :

ـ إذا رأيتَ الملكَ فاسجدْ له ، ثم لا ترفعْ رأسَك أبدا حتى يأذنَ لك .

فقال دِحْيَة :

ـ لا أفعلُ هذا أبدا ، ولا أسجدُ لغيرِ اللّه .

قالوا له :

ـ إذنْ لا يأخذُ كتابَك . ودخل دِحْية علـى الملـكِ مرفوعَ الرّأْس ، لم يسجدْ له ، وقدَّم له كتـابَ محمـد ، فلمـا رآه قيصـرُ لا يسـجُدُ لـه عَجِـب ، وأخـذَ منـه الكتاب ، ودعا التَّرْجُمـانَ ، فقـرأه لـه ، فـإذا محمَّـد ﷺ يدعوه إلى الإسلام ، فأراد أن يعرِف مَنْ مُحمَّد ؟ وما صفتُه ؟ فقال لمن عندَه :

ـ انظُروا لنا مِنْ قومِه أحدًا نسألُه عنه .

فراحُوا يبحثون فـى أسـواقِ الشّـام ، فوجـدوا أبـا سفيانَ يتاجرُ فى أسواقِ غزَّةَ ، مع رجال مـن قريـش ، فأخذوه ، وذهبوا به وبمَـن معـه إلى قصـر الملـك ، فـى بيتِ المقدس .

دخل أبو سفيانَ ورجالٌ من قريـشٍ علـى الملـك ، فإذا به جالسٌ وعليه التاج ، وعظماءُ الـرّوم حولَـه ، فقال لتَرْجمانه :

ـ سَلْهم : أيُّهم أقربُ نسبا إلى هذا الرجـل الّـذى يزعم أنه نبىّ ؟

فقال أبو سفيان :

ـ أنا أقربُهم نسبًا إليه .

فقال له قيصر :

ـ كيف نسبُ هذا الرَّجلِ فيكم ؟

فقال له أبو سفيان :

ـ هو منا ذو نسب .

ـ هل قال هذا القولَ أحدٌ منكم قبلَه ؟

ـ لا .

ـ هل كنتم تتَّهِمُونَه بالكَذِب على الناس ، قبل أن يقولَ ما قال ؟

ـ لا .

ـ كيفَ عَقْلُه ورأْيُه ؟

قال أبو سفيان :

ـ لم نَعب عليه عقلاً ولا رأيًا قَطّ .

ـ فأشرافُ النَّاس يتّبعونَه أم ضُعَفاؤهم ؟

ـ بل ضُعَفاؤهم !

ـ فهل يَزِيدُونَ أو يَنقُصون ؟

ـ بل يَزيدون !

ـ فهل يغدِرُ إذا عاهَد ؟ : « لا » .

ـ فهل قاتلتموه ؟

ـ نعم .

ـ فكيف حربُكم وحربُه ؟

ـ دُوَلٌ وسِجال ، ننتصرُ عليه مرة ، وينتصرُ علينا مرة .

ـ فَما يأْمُرُكُم به ؟

ـ يأمرُنا أن نعبدَ اللّهَ وحْدَه ، ولا نشركَ به شيئا ، وينهانا عما كان يعبُد آباؤنا ، ويأمرُنا بالصَّلاةِ والصَّدقَة ، ويأمرُنا بالوفاءِ بالعَهد ، وأداء الأمانة .

لم يكذِبْ أبو سفيان ، على الرّغم من أنه كان يكرهُ محمَّدا ﷺ ، لأنَّ ناسًا من قريشٍ كانوا واقفين ، وخَشِيَ أن يُعرفَ عنه أنه كذّاب .

وقال له قيصر :

ـ إنه نبيّ ، وكنتُ أعلم أنه خارج ، ولكن لم أظنّ أنه فيكم ، ولو كنتُ عندَه لغسلت عن قدميه .

فخرج أبو سفيان من عندِه ، وهو يَعْجَبُ من أمرِ مُحمَّدٍ ﷺ ، الّذى ارتفع شأنُه .

٣

وكتب رسولُ اللّه ﷺ ، إلى كِسْرَى ملكِ فارس ، كتابا جاء فيه :

« بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم من محمد رسول اللّه ، إلى كِسرى عظيمِ فارس . سلامٌ على من اتَّبعَ الهُدى ، وآمنَ باللّهِ ورسولِه ، وشهِد أن لا إله إلاّ اللّهُ وَحْدَه لا شريكَ له ، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه . أدعوكَ بدِعايةِ اللّه ، فإني أنا رسولُ اللّهِ إلى النّاس كافَّة ، لأُنذرَ من كان حيّا ، ويَحِقّ القول على الكافرين ، أسْلِمْ تسلَم ، فإن أبيتَ فعليكَ إثمُ المجوس (أى الّذين هم أتباعك) .

وأعطَى رسولُ اللّه الكتابَ عبدَ اللّه بن حُذافة ، وأمره أن يذهبَ به إلى كِسْرى . فسافر عبدُ اللّه ، حتى إذا أتى فارسَ ذهب إلى قصرِ الملك ، والتمسَ مقابلَته . فلما أُذن له دخل ، وقدَّم كتابَ رسولِ اللّه إلى الملك .

قرأ كِسْرَى الرسالة ، فلما وجدَه يبدأ : « من محمدٍ رسول اللّه إلى كِسرى عظيم الفُرْس » غَضِبَ وثار ، لأنَّ محمَّدًا ﷺ بدأ الكتاب بنفسه ، ومزّق الكتاب . فخرج عبدُ اللّه بن حُذافَة من عِنده ، وسافرَ إلى المدينة .

وقابل عبدُ اللّه رسولَ اللّه ﷺ ، وأخبره أنَّ كِسرَى مزَّق رسالتَه .

فقال رسولُ اللّه : « مَزَّق اللّهُ مُلكَه » .

وصَمَت رسولُ اللّه قليلا ، ثم قال :

ـ لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ من المسلمينَ كنوزَ كِسرَى ، التى فى القصر الأبيض .

وصَدق رسولُ اللّه ، ففى عهدِ عُمَرَ بنِ الخطّاب ، انتصرَ المسلمونَ على الفُرس ، وفتح سعدُ بنُ أبى وقاص مَدَائِنَ فارس ، واستولَى على كنوزِ كِسْرَى ، فى القصرِ الأبيض .

٤

وأَرسَلَ رسولُ اللّه إلى النجاشيِّ كتابا ، فخرج به عمرُو بنُ أميَّة ، وكان المسلمونَ الّذين هاجروا إلى الحبشةِ عنده يُكرِمُهم ويَحْضُرُونَ مجلسَه ، فلما جاءَ عمرُو بن أمية بكتابِ رسولِ اللّه ، أخذه النجاشىُّ وقبَّله ، ووضعه على رأْسِه وعينيه ، ونزل عن سريرِ مُلكه تواضعا ، ثم أسلم ، وشهِد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنَّ محمدًا رسولُ اللّه .

وكتب إلى رسولِ اللّهِ ﷺ :

« إلى محمَّدٍ رسولِ اللّهِ ، من النجاشِيِّ أَصْحَمَة .

السّلامُ عليك يا نبىَّ اللّه منَ اللّه ، ورحمةُ اللّهِ وبركاتُه ، الّذى لا إله إلاّ هو ، الّذى هدانى للإِسلام .

أما بعد : فقد بلغنى كتابُك يا رسولَ اللّه ، وقد قرَّبْنا ابنَ عمِّك وأصحابَه (يعنى جعفرَ بنَ أبى طالب ، ومن معه من المسلمين) ، فأشهدُ أنَّك رسولُ اللّه ﷺ صادقًا مُصَدَّقا ، وقد بايعتُك ، وبايعتُ ابنَ عمِّك ، وأسلمت على يدِه للّه ربِّ العالمين .

٥

وأرسلَ رسولُ اللّه ﷺ إلى مصرَ ، حاطبَ بن أبى بلتَعة ، ليُسلّم إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، الكتابَ الذى يدعوه فيه إلى الإِسلام . فلما أخذ حاطبٌ الكتاب ، سار إلى منزِله ، وودَّع أهله ، وركِب جَمله ، وسافر فى الصحْراء ، حتى إذا بلغَ مصر

ذهب إلى الإسكندَرِيَّة ، فقيل له :

ـ إنه فى مجلسٍ مُشْرِفٍ على البحر .

فركِب حاطبٌ سفينة ، وحاذَى مَجْلِسَ الْمُقَوْقِس ، وأشار بالكتابِ إليه ، فلما رآهُ المقوقِسُ أمر بإحضارهِ بينَ يديه . فدخل حاطِبٌ عليه ، وأعطاه الكتاب ، فقرأ فيه : « بِسمِ اللّه الرحمَنِ الرَّحيم . من محمَّدٍ بن عبد اللّه إلى المقوقِسِ عظيمِ القِبْط ، سلامٌ على مَنِ اتَّبعَ الهدى . أما بعد ، فإنى أدعوكَ بدعايةِ الإسلام . أسلِمْ تسلَم يُؤْتكَ اللّهُ أجرَك مرَّتين : (أجْرًا لأنَّك صدَّقتَ عيسى عليه السلام ، وأجرًا لأنَّك صدَّقتَ محمَّدًا ﷺ) . فإن تولَّيتَ فإنما عليك إثمُ القِبط .

﴿ ويأهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سَواء بيننا وبَينكم ، ألاَّ نعبدَ إلاّ اللّه ، ولا نُشركَ به شيئا ، ولا

يتَّخِذَ بعضُنا بعضًا أربابًا من دونِ اللّه ، فإن تولَّوا فقولوا اشهدوا بأنّا مسلمون ﴾ .

فقال المقوقِس :

ـ ما منَعه إن كان نبيّا أن يدعوَ علَى من خالفَه أن يُسَلِّطَ عليهم ؟

فقال له حاطب :

ـ ألستَ تشهدُ أنَّ عيسى بنَ مريمَ رسولُ اللّه ، فما له حيثُ أخذه قومُه ، فأرادوا أن يقتُلوه ألاّ يكونَ دعا عليهم أن يُهلكَهم اللّهُ تعالى ، حتى رفعه اللّهُ إليه ؟

قال له المقوقس .

ـ أحسنتَ ! أنت حكيم جاء من عندِ حكيم !

قال حاطب :

ـ إن هذا النبيَّ ﷺ دعـا النّـاس ؛ فكـان أشـدُّهم عليـه قريـش ، وأعداهـم لـه يَهـود ، وأقربُهــم منــه النّصارى ، ولعمرى ما بشارةُ موسى بعيسى عليهمـا الصّلاةُ والسّلام ، إلا كبشارةِ عيسـى بمحمَّـدٍ ﷺ ، ومـا دعاؤنـا إيـاك إلى القـرآن ، إلا كدعــائك أهــلَ التّوراةِ إلى الإنجيل .

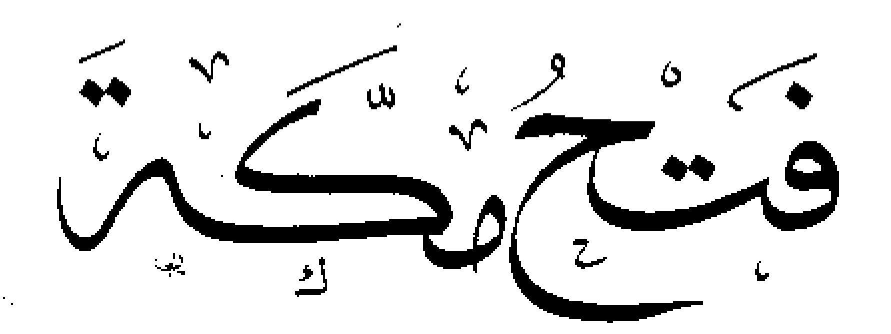
وأكـرم المقوقِـس حاطبـا ، وعنـد عودتِه بعـث إلى رسولِ اللّه ﷺ بجاريتين : ماريَـة القبطيـة وسِيرين ، وبثيابٍ كثيرة ، وهدايا عظيمة .

وعاد الرُّسُل إلى محمَّدٍ ﷺ ، وبعـد سـنواتٍ قليلـة دخلت فـارسٌ والشَّـامُ ومصـرُ فـى الإسـلام ، وهـى البلادُ التى أوفـد إليهـا رُسُله ، يدعـونَ ملوكَهـا إلى دينِ اللّه .

القصص الديني

الحلقة الثانية

قصص السيرة



تأليف

عبد الحميد جودة السحار

الناشر

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنَّا فَتحنا لكَ فَتحًا مُبينا ، لِيغْفِرَ لكَ اللّهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِكَ وما تأخَّر ، ويُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيك ، ويَهْدِيَكَ صِراطًا مُسْتَقِيما ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عُقِدَ صُلْحُ الحُديبيَةِ بينَ رسولِ اللّه ﷺ وقريش ، وجاءَ في ذلك الصُّلح : أنَّه من أحبَّ أن يُحالِفَ محمدًا فَليُحالِفْه ، ومن أرادَ أن يُحالِفَ قُريشًا فليحالِفْها ؛ فحالفَت بنو بكرٍ قريشا ، وحالَفتْ خُزاعةُ رسولَ اللّه ﷺ .

وبينما كان رسولُ اللّه ﷺ جالِسًا في المسجدِ ، جاءَ عَمْرو بنُ سالمٍ الخُزاعيّ ، وأخبَرَه أنَّ قريشًا وبني بكرٍ اعتدُوا على قبيلَتِه خُزاعة ، وهي القبيلةُ التي حالَفتْ رسولَ اللّه ، وطلبَ من رسولِ اللّه أن ينصُرَ حليفتَه ؛ ولما كان في اعتداءِ قريشٍ وحليفتِها على خُزاعةَ حليفَةِ الرَّسول ، نقضٌ للمعاهَدة ، فإنَّ

رسولَ اللّه ﷺ قال لعمْرو بن سالم :

ـ نُصِرْتَ يا عَمْرَو بنَ سالم .

وخافَ أبو سفيانَ أن تشكُوَ قبيلةُ خُزاعةَ إلى حليفِها النبيّ ، مما فعلته قُريش ، فخرجَ إلى المدينةِ ليُقابلَ رسولَ اللّه ، ويؤكِّدَ المعاهَدة ، ودخلَ على ابنَتِه أمِّ حبيبة ، وكانت قد تزوَّجتْ من رسولِ اللّه ، فلمَّا أرادَ أبو سفيانَ أن يجلِسَ على فِراشِ رسولِ اللّه ، طَوَتْهُ أمُّ حبيبةَ عنه ، فَغَضِب وقال :

ـ يابُنيَّة ما أدرى : أرَغِبْتِ بى عن هَذا الفِراش ، أم رغِبتِ به عَنِّى ؟

فقالت له ابنته :

ـ بَلَى ، هو فِراشُ رسولِ اللّه ﷺ ، وأنتَ رجلٌ مشركٌ نَجِس ، ولم أُحِبَّ أن تَجلسَ على فِراشِ

رسولِ اللّه ﷺ .

فقال وهو غضبان :

ـ واللّه لقد أصابَكِ يابُنيَّةُ بعدى شرّ .

وخرج أبو سفيانَ حتَّى أتى رسولَ اللّه فكلّمهُ ، فلم يردَّ عليه شيئًا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلَّمهُ أَن يكلِّمَ له رسولَ اللّه ، فقال :

ـ ما أنا بفاعل .

وذهب إلى عُمَرَ بنِ الخطّاب ، فرفض أن يُكلِّم له رسولَ اللّه ، فدخل على عليٍّ بن أبى طالب ، وعنده فاطمةُ بنتُ رسول اللّه ، فقال :

ـ يا علىّ ، إنك أَمسُّ القومِ بى رَحِما ، وإنى قد جئتُ فى حاجة ، فلا أَرْجِعنَّ كما جئتُ خائبًا ، فاشفعْ لى إلى رسولِ اللّه .

ورفض عليٌّ أن يشفعَ له ، فعاد أبو سفيانَ سيِّدُ قريشٍ خائبًا ؛ لم يجد من يكلِّمُ له رسولَ اللّه ، لأن رسولَ اللّه كان قد وعدَ حلفاءَه أن ينصرَهم على من نقضوا عهدَه .

٢

أمر رسولُ اللّه ﷺ المسلمينَ أن يتجهَّزوا للخروج ، ولم يَقُلْ لهم أين يريد ، فلما تمَّ كلُّ شىء ، أعلم الناسَ أنه ذاهبٌ إلى مكة ، وأمرهم أن يُسرعوا فى سيرهم ، قبل أن تعلمَ قريشٌ بخروجِه ، ويستعدُّوا لمقابلته ؛ كان يُحِبُّ أن يدخلَ مكّة ، دون أن يُريقَ دما ، وراح يدعو اللّه :

ـ اللهمَّ خُذِ العيونَ والأخبارَ عن قريش ، حتّى

نَبْغَتَها (أى نفاجئَها) فى بلادِها .

ومضَى رسولُ اللّه لسفره ، حتّى إذا اقتربَ من مكّةَ عسكَر خارجَها ، وكان معه عشرةُ آلافٍ من المسلمين ، وقد قابلهُ فى الطريقِ عمُّه العبّاس ، جاء إليه من مكةَ يُعْلِنُ إسلامَه ، فعاد ليدخلَ معه مكّة .

وجاء اللّيل ، فأشعلَ المسلمونَ النّيران ، وراحوا يذكرونَ اللّه ويُسَبِّحونه ، كانوا فى النهارِ فرسانا ، وفى اللّيل رُهبانا .

٣

ركِب العباسُ بغلةَ الرَّسول ، وخرج من معسكر المسلمين ، يبحثُ عن حَطّابٍ أو صاحبِ لبن أو ذى حاجة ، ليُرسلَه إلى مكة ، يذكُر لأهلها أنّ رسولَ

اللّه ﷺ قد جاء فى جيشٍ لا قُدرةَ لهم بـه ، ويخبرُهم أن يخرجوا إليه فيستأمنوه ، قبل أن يدخلَها عليهم عَنْوة .

وفى ذلك الوقت كان أبو سفيانَ وبعضُ الرِّجال قد خرجوا يتحسَّسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبَرا . فلما رأَوا النيرانَ ذهبوا ينظرون ، فقال أبو سفيان :

ـ ما رأيتُ كاللَّيلةِ نيرانًا قَطُّ ولا عَسْكرا .

فقال رجلٌ معه :

ـ هذه واللّه خزاعة .

فقال أبو سفيان : « خُزاعةُ أذلُّ وأقلُّ من أن تكونَ هذه نيرانها وعَسكرُها » .

وفى جوفِ اللَّيل ، سمع العبَّاسُ صوتَ أبى سفيانَ فعرَفه ، فقال له :

ـ وَيْحَك يا أبا سفيان ! هذا رسولُ اللّه ﷺ فى الناس . واصباحَ قُريشٍ واللّه .

قال أبو سفيان :

ـ فما الحيلة ؟ فِداك أبى وأمِّى .

قال العبَّاس :

ـ واللّه لئن ظَفِرَ بك ليضربنَّ عنقك ، فاركب فى عَجُزِ هذه البغلة ، حتى آتى بك رسولَ اللّه ﷺ فأستأمِنه لك .

فَرَكِبَ أبو سُفيانَ خلْفَ العبّاس ، وذهبا إلى حيث كان رسولُ اللّه ، فكانا كلَّما مرَّا بنارٍ من نِيرانِ المسلمين ، سمعا صوتًا يُنادِى : من هذا ؟

وحينما يَرَونَ بغلَةَ رسولِ اللّه ، وعَليها العبَّاس يقولون :

- عمُّ رسولِ اللّه ﷺ على بَغلَتِه . ويُفسِحُونَ الطريق ، حتى إذا مرَّا بنارِ عمرَ بن الخطاب ، ورأى عمرُ أبا سفيان ، قام إليه يصيح :

- أبو سفيانَ عدوُّ اللّه ، الحمدُ للّه الذى أمكنَ منك ، بغيرِ عَقْدٍ ولا عهد !

وراح عُمَرُ يجرِى إلى حَيثُ كان رسولُ اللّه ، وراح العبَّاسُ يستحِثُّ البَغْلَة على الجَرْى . كان كلٌّ منهما يحاولُ أن يَصِلَ إلى رسولِ اللّه قبلَ الآخر ، ووصلَ العبَّاسُ إلى حيثُ كان الرَّسُول ، ودخلَ عليه ، ودخلَ عمرُ خلفَه ، وقال عمر :

- يا رسُولَ اللّه ، هذا أبو سفيانَ قد أمكنَ اللّه منه بغيرِ عَقْدٍ ولا عهد ، فَدَعْنِى فلأَضرِبْ عُنقَه .

قال العبَّاس :

- يا رسولَ اللّه ، إنِّى قَدْ أجَرتُه .

وصَرَفَ النبيُّ عمرَ والعبَّاس وأبا سُفيان ، وقال لِعَمِّه :

- اذهَبْ به يا عبَّاسُ إلى رَحْلِك ، فإذا أصبحتَ فأْتِنى به .

٤

أصْبَحَ الصَّباح ، فجاءَ العبَّاسُ ومعه أبو سفيانَ إلى رسولِ اللّه ، فلمَّا رأى رسولُ اللّه أبا سُفيان ، قال له :

- ويْحَك يا أبا سُفيان ، ألم يأنِ (يعنى : ألَمْ يَحِنْ) لك أن تعلَمَ أنَّه لا إلَه إلاّ اللّه ؟

قال أبو سفيان :

ـ بـأبِي أنـتَ وأُمِّـى ، مـا أحْلَمَـكَ وأكرَمَـكَ وأوصَلَك ؟ واللّه لقدْ ظَننتُ أن لو كانَ معَ اللّـه إلَـهٌ غيره ، لقد أغْنَى عَنِّى شيئًا بعد .

قال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ ويْحَكَ يا أبا سُفيان ! ألم يأنِ لـك أن تَعْلَمَ أنّـى رسولُ اللّه ؟

قال : « بأبِى أنتَ وأمِّـى ، مـا أحْلَمَـكَ وأكْرَمَـكَ وأوصَلَك ! أمَّا هذِه واللّه فإنَّ فى النَّفسِ منهـا حتى الآن شيئا » .

فقال له العباس :

ـ ويْحَك ! أسْلِمْ واشهَدْ أن لا إلـهَ إلاّ اللّـه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه ، قَبلَ أن تُضْرَبَ عُنُقك .

فقال أبو سفيان :

ـ أشهَدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه ، وأنَّ محمَّدًا رسولُ اللّه .

فقال العبَّاس :

ـ إنَّ أبا سُفيان رجُلٌ يُحبُّ هـذا الفخـر ، فـاجْعَل له شيئا .

قال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ نعم ، من دخَلَ دارَ أبى سُفيانَ فهو آمن ، ومـن أغْلَقَ بابَه فهو آمِن ، ومَن دخَلَ المسجِدَ فهو آمِن .

٥

وتأهَّبَ جَيـشُ المسـلمينَ لدخُولِ مكـة ، وركِـبَ رسولُ اللّه ناقَته ، وذهب أبو سفيانَ يصرُخ :

ـ من دخَلَ دارَ أبى سفيانَ فهو آمنِ ، ومَن أغْلَـقَ بابَه فهو آمِن ، ومن دخلَ المسجِدَ فهو آمِن .

ودخَلَ المسلِمونَ مكة وقد اختبأ الناسُ فى دُورِهم ، فَسَجَدَ رسولُ اللّه ﷺ علـى ظهرِ ناقَتِـه شكرًا للّـه ، فقد دخَلَ مكةَ منتَصِرًا بعدَ أن خَرجَ منها خائِفًا يترقَّب .

واطمأنَّ الناسُ إلى أنَّ رسولَ اللّه لن يَبطِشَ بهـم ، فخرجُوا إليه ، وذهبَ رسولُ اللّه وصحبُه إلى البيتِ يطوفونَ به ، ووقفَ رسولُ اللّه على بـابِ الكعبَـة ، وقال :

ـــ لا إلـهَ إلاّ اللّـهُ وحْـدَه لا شَرِيكَ لـه ، صَــدَقَ وعْـدَه ، ونَصرَ عَبدَه ، وهَزَمَ الأحزابَ وحدَه .

يا مَعشَرَ قريش ، إنَّ اللّه قدْ أذْهَــبَ عنكـم نَخْـوَةَ الجاهِلِيَّة ، وتَعظُّمَها بالآباء . النـاسُ مـن آدَم ، وآدمُ مـن تُـراب . « يأَيُّهـا النـاسُ إنّـا خَلقنـاكُم مـن ذكَـرٍ وأُنثـى وجعلنـاكُم شُـعُوبًا وقبـائِلَ لتَعــارَفُوا ، إنَّ

أكْرَمَكُم عِندَ اللّه أتقاكُم » .

يا مَعشَرَ قُرَيش ، ما تَرَونَ أنّى فاعِلٌ بكم ؟

قالوا :

ـ خيرًا ، أخٌ كريم ، وابنُ أخٍ كريم .

وعفا رسـولُ اللّـه عنهـم جميعـا ، عفـا عمَّـن آذوْه واضطهَدُوه ، وأخرَجُوهُ من ديارِه ، فقال لهم :

ـ اذهَبُوا فأنتم الطُّلَقاء .

وَدَخَـلَ الرَّسُـولُ وأصحابُـه إلى الكعبَـة ، وجَعَلُـوا يكسِرُون أصنامَها ويقولون :

ـ قل جاءَ الحقُّ وزَهَـقَ البـاطِل ، إنَّ البـاطِلَ كـانَ زَهُوقا .

ولما تطَهَّـرت الكعبَـةُ عـن الأصنـام ، اعتلَـى بـلال الكعبة ، وراحَ يُؤذِّنُ لأوَّلِ مرَّة فى مكة :

اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبَر ! اللّه أكبَر !

أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أن لا إلَهَ إلاّ اللّه .

أشـهَدُ أنَّ محمَّـدًا رسـولُ اللّـه .. أشـهَدُ أن محمَّـدًا رسولُ اللّه .

حيَّ على الصَّلاة ، حيَّ على الصَّلاة .

حيَّ على الفَلاح ، حيَّ على الفَلاح .

اللّه أكبَر ! اللّه أكبَر !

لا إلَهَ إلاَّ اللّه .

ومُنذُ ذلك الوقت ، أصبحَ صوتُ المـؤذِّنِ يجلجـلُ فى الكعبةِ فـى كـلِّ يـومٍ خمـسَ مـرّات ، فقـد هَجَـرَ العـربُ عبـادَةَ الأصنـام ، وأصبَحُـوا يعبُـدونَ اللّـه وحدَه .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

غزوة حنين

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولَقَدْ نَصَرَكُم اللّهُ فى مَواطِنَ كثيرةٍ ، ويَومَ حُنَينٍ إذ أعْجَبَتْكُم كَثرَتُكم ، فَلَمْ تُغْنِ عَنكُم شَيئا ، وضاقَتْ عَلَيكُمُ الأَرضُ بِما رَحُبَتْ ، ثُمَّ وَلَّيتُمْ مُدْبِرين ، ثمَّ أنْزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِه وعَلَى المؤمِنِين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

انتشَرَ الإسلامُ فى مكة ، وقَوِىَ المسلِمون ، وبَقِيتْ قبيلَةُ هَوازِن ، وهى قَبيلَةٌ قَوِيَّةٌ تسكُنُ جَنُوبِىَّ مكة ، على دينِها ، ولَمَّا كان أهْلُ هَوازِنَ رجالُ حَرْبٍ وقتال ، فكَّروا فى أن يُحارِبُوا المسلمين ، فاجْتَمَع رؤساءُ هوازِنَ وثَقِيف ، وتشاوروا فى الأمرِ، وقَرَّرُوا تجهيزَ جيشٍ قوِىّ ، يقضِى على الإسلامِ قبلَ أن ينتَشِرَ فى جَزِيرَةِ العرَبِ كلِّها .

بَلَغَ رسولَ اللّه ﷺ ، اتِّفاقُ هَوازِنَ وثَقِيفَ على مُحارَبَةِ المُسلِمين ، فأرسَلَ رجُلاً يَرَى له الأمْرَ ، فما كانَ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يَبْدَأَ بالعُدوان ؛ إنَّه لم يُحارِبْ إلاَّ لِرَدِّ الاعتداءِ ، والدِّفاعِ عن النَّفس : فَفِى غَزوةِ بدرٍ جاءَتْ قريشٌ إلى المدينةِ لقتالِه ،

فكان عليه أن يُقاتِلَ دِفاعًا عن المسلمين ، وفى أُحُدٍ جاءَت قريشٌ لتثأرَ لهَزيمةِ بدر ، وفى غَزْوَةِ الخَنْدق جاءَت العربُ واليهودُ للقضاء على الإسلام ، فكان يحارِبُ للدفاعِ عن الإسلامِ ، ولمْ يَبدَأْ بالعُدوان أبَدا ، فلمَّا عادَ إليه الرَّجُلُ الذى أرْسَلَه ، وأخبَرَهُ أنَّ هوازِنَ وثقيفًا تستَعِدَّانِ لحربه ، أمَرَ بتجهيزِ جيشٍ عظيمٍ حتى لا يُفاجَأَ بالهجومِ عَليه .

وخرَجَ رسُولُ اللّه فى عشْرَةِ آلافِ مُقاتِل ، وانضَمَّ إليهِ أبو سُفيانَ فى ألفَينِ من المُقاتِلين ، وقَدَّمَ أهلُ مكةَ إلى رسولِ اللّه ﷺ أسلِحَةً كثيرة ، فأصبَحَ جيشُه عظيمًا ، يُنزِلُ الرُّعْبَ فى قُلُوبِ أعداء المسلمين .

٢

اجتَمعَ إلى هَوازنَ من القبائِلِ جموعٌ كثيرة ، فيهم بنو سَعد ، وهمُ الذينَ كانَ رسولُ اللّه ﷺ

مستَرضَعًا فيهم ، وحضَرَ معهم قائِدُهم ، وكانَ شُجاعًا مُجَرَّبًا ، ولكنَّه كَبِرَ وعَمِي ، وصارَ لا يُنتَفعُ إلاّ برأيه ، وكانَ زَعِيمَ هوازِنَ مالِكُ بنُ عَوف ، وكانَ عُمْرُه ثلاثينَ سَنَة ، فكان فيه دَفْعَةُ الشَّباب ، فأمَرَ المقاتِلينَ بأخْذِ أموالِهم ونِسائِهم وأبنائِهم معهم ، فلما جاءَ المحارِبُون ومعهم نساؤهم وأولادُهم وأغنامُهم ، قال زعيمُ بني سعد متعجِّبًا :

ـ مالى أسمَعُ نهاقَ الحَميرِ ، وبُكاءَ الصغِير ، وخُوارَ البَقَر ؟

فقالوا له : « ساقَ مالِكُ بنُ عَوفٍ مع الناسِ أموالَهم ونِساءَهم وأبناءَهم » .

فقال الشيخُ الأعمى :

ـ أينَ مالِك ؟

فجاءَ إليه مالِك ، فقال الشيخ :

ـ مالى أسمَعُ نُهاقَ الحَمير ، وبُكاءَ الصَّغِير ، وخُوارَ

البقر ؟

فقال له مالِك :

ـ سُقْتُ مع الناسِ أبناءَهم ونِساءهَم وأموالَهم .

ـ ولِمَ ؟

قال مالِك : « أرَدْتُ أن أجعلَ خلفَ كلِّ رجُل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم » .

فزجَرَه الشيخ ، وطلَبَ منه أن يُبعِدَ النساءَ والأموال ، وقال له : إنَّه إذا انتصرَ لا ينفعُه إلاّ رجلٌ برمحِه ، وإذا انهزمَ فُضِحَ فى أهْلِه ومالِه .

فقال له مالِك :

ـ واللّه لا أطِيعُكَ ، إنَّك قدْ كَبِرْتَ وضَعُفَ رأيُك .

وتركَ الشيخُ المُحنَّكُ مالكا ، وعاد إلى أهلِ .
رفَضَ مالكٌ أن يستَمِعَ إلى رأيه ، فرفضَ الشيخُ أن

يشترِكَ معه فى القِتال ، وجعلَ مالِكٌ النِّساءَ فوقَ الإبِل وراءَ المُقاتِلةِ صفوفا ، ثم جعلَ الإبِلَ صفوفا ، والبقرَ صفوفا ، والغنمَ صفوفا ، حتى لا يفرَّ الرجالُ إذا هَجمَ عليهم جيشُ المسلمين .

٣

تَقَدَّمَ جيشُ المسلمين ، وكان عليه أن يتقدَّم فى مَضيقٍ ضيِّق ، ليصِلَ إلى الوِديانِ الفسيحة ، خلْفَ جبالِ أوطاس ، حيث وقفَ مالِكٌ ومن معه من هوازنَ وثَقِيف ، والنِّساء والإبِلِ والبقرِ والغنم ، وهذا المَضيقُ هو حُنَين ، وهو مكانٌ مُظلِم ضيِّق ، لا يسمَحُ إلاّ بمرورِ جماعاتٍ صَغِيرة ؛ وكانت جوانِبُه شديدة الانحِدار ، فوقَفَ بعضُ رجالِ مالكٍ على الجبال ، ينتظِرُون قُدومَ المسلِمين .

وجاء رجلٌ إلى رسول اللّه ﷺ ، وقال :

ـ إنَّ هَوازِنَ بشبابِهم وأموالِهم اجتَمَعُوا عِندَ حُنين .

فَتَبَسَّمَ ﷺ ، وقالَ في ثِقَة :

ـ تِلكَ غَنِيمَةُ المسلِمينَ غَدًا إن شاءَ اللّه .

وأعْطَى رسولُ اللّه ﷺ عليًّا لواءَ المهاجِرين ، وأعطَى سعدَ بنَ أبى وَقّاص راية ، وأعطى عُمَرَ بنَ الخطّابِ راية ، وأعطى رجُلاً من الأنصارِ راية ، وركِبَ بغْلَتَه ، وأمَرَ جيشَ المسلِمينَ بالتَّقَدُّم ، وكانَ على رأسِ فُرسانِ المسلِمينَ خالدُ بنُ الوليد .

كان الوَقتُ صُبحا ، فكان الظلامُ يسودُ مَضيقَ حُنَين ، فلَمَّا تَقَدَّمَ المسلمونَ ليجتازُوا المَضيق ، ألْقَى رِجالُ هوازِنَ عليهم الصخورَ من فَوق الجبال ، ورموهم بالنِّبال ، ثم هجمُوا على المسلمينَ

بأسيافِهم، فرجَعَ المسلمونَ مهزومين .

ساءَ النَّبيَّ ﷺ ، أن يَدِبَّ الخوفُ في قُلوبِ المسلمين ، وأن يَفِرُّوامذعُورِين ، فَثَبَت ، ووقَفَ معه عليٌّ وأبو بكرٍ وعمُّه العباس ، وأصحابه ؛ ولم يكتَفِ بالثَّبات ، بل تقَدَّمَ وحدَه إلى الأعداء وهو يقول :

أنا النَّبيُّ لا كَذِبْ.أنا ابنُ عَبدِ المطَّلِبْ . فأسْرَعَ إليه عَمُّه العبَّاس ، وأمسَكَ بِزمامِ بَغلَتِه ، وراحَ يدعُو المسلِمينَ لنُصْرَةِ رسولِ اللّه ، وكانَ العبَّاسُ جَهِيرَ الصَّوت ، فراح صَوتُه يَرِنُّ في الوادِى :

ـ يا مَعْشَرَ الأنصارِ الذينَ أوَوْا ونَصرُوا ، يا مَعْشَرَ المهاجِرينَ الذينَ بايَعُوا تحتَ الشجَرة ، إنَّ محمَّدًا حيٌّ فهَلُمُّوا .

وخَجِلَ المسلمونَ من فِرارِهم ، وتَركِهم رسولَ

اللّه وحدَه فصاحُوا من كلِّ جانِب :

ـ لَبَّيكَ .. لَبَّيك .

والتَفَّ النَّاسُ حولَ رسولِ اللّه ﷺ ، فالتَفَتَ عـن يمينِه وقال :

ـ يا مَعْشَرَ الأنصار .

قالوا : « لَبَّيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

والتفتَ عن يسارِه ، فقال :

ـ يا مَعشَرَ الأنصار .

قالوا : « لبيكَ يا رسولَ اللّه ، أبشِرْ نحنُ معك ».

وتقدَّمَ المسلِمُونَ يحـاربون ، حتـى أخْرَجُوا رجـالَ هَوازِنَ من ذلِك المضيقِ الضيِّق ، ودارت المعركةُ فى السَّهلِ المنبَسط ، فانْقَضَّ خالدٌ وفُرسانُه علـى أعـداء المسلمين يقتُلونَهم ، وراحَ رسولُ اللّه ﷺ يقول :

ـ حم ، لا يُنْصَرُون .

واستَمَرَّتِ المعرَكةُ شديدة : علـيٌّ بـنُ أبـى طـالب يضرِبُ الأعداءَ بسيفِه ، وخـالدُ بـنُ الوليـدِ يُذيقُهـم الموت . والمسلمونَ يحاربونَ فى سبيلِ دينِهم ، وبَذلَ رجالُ هوازِنَ ما فى طـاقتِهم ليثبُتوا ، ولكـنَّ هُجومَ المسلِمينَ كانَ عنيفا ، فـاضطرُّوا إلى الفِـرار ، وتَـرْكِ النِّساء والأطفالِ والأموال ، لتقَـعَ غَنيمـةً فـى أيـدى المسلمين .

٤

وقَعَ فى أيدِى المسلمين أربَعةٌ وعشرونَ ألفَ رأسٍ من الغنم ، وأربَعةُ آلافِ أوقِيةٍ من الفِضَّة ، غيرَ سـتَّةِ آلافِ أسير ، وفَـرَّ مـالِكُ بـنُ عَـوف ، الـذى صَـفَّ النِّساءَ والإبِلَ والغَنمَ وراءَ المقاتِلينَ حتـى لا يَفِـرُّوا ،

فَرَّ من المعرَكة ، ولم ينفعْهُ رأيُه ، وذهَبَ إلى حُصُونِ الطائِفِ واحْتَمَى بها .

وبلَغَ رسولَ اللّه ﷺ ، أنَّ مالِكَ بنَ عوفٍ ومن معه دَخَلُوا حصونَ الطائِف ، وأنَّهم أخَذُوا معهم من القُوتِ ما يَكْفِيهم سَنَة ، فأَمَرَ رِجالَهُ أن يذهَبُوا إلى الطائف ، لِقِتالِ مالِك ، فتَقَدَّمَ خالِدُ بنُ الوليد وفُرسانُه جيوشَ المسلِمين ، حتى إذا بَلَغُوا الحِصْنَ حاصَرُوه ، فأخَذَ مالكٌ ومَن معَه يرمُونَ المسلمينَ بالنَّبلِ ، فأُصِيبَتْ عَينُ أبي سفيانَ بن حَرْب ، وأُصِيبَ كثيرٌ من المسلمين .

وتَقَدَّمَ خالدُ بنُ الوليدِ من الحِصن ، وصاح :

ـ مَن يُبارِز ؟

فَلَم ينزِلْ إليهِ أحد ، وصاحَ رجُل :

ـ لا ينزِلُ إليك منَّا أحَد ، ولكنْ نُقِيمُ في حِصْنِنا ، فإنَّ به من الطَّعام ما يكفينا سِنين ، فإن أقَمْتَ حتى يذهبَ هذا الطَّعام ، خرجْنا إليكَ بأسيافِنا جميعا ، حتى نموتَ عن آخِرِنا .

وصَنَعَ سَلمانُ الفارسيُّ المَنجَنيق ، وهو آلةٌ تقذِفُ الحِجارَةَ الكبيرة ، وراحَ المسلمونَ يرمُونَ الحجارةَ بالمَنجَنِيق ، ليهدِمُوا الحِصْن ؛ ودخَلَ بعضُ المسلمينَ تحت دَبَّابَتَين ، وزَحَفُوا بهما إلى جِوارِ الحصنِ لِيُحرِقُوه ، والدَّبَّابَة آلةٌ من آلاتِ الحرب ، يدخُلُ فيها الهاجِمون ، اتِّقاءَ سهامِ الأعداء ؛ فراحَ أهلُ ثقيفٍ يرمُونَ الزَّاحِفينَ تحتَ الدَّبَّابَتينِ بقُضبانٍ من حديد ، مُحماةٍ بالنار ، فخرجُوا من تحتِها فرَمَوهم بالنَّبل ، فقتِلَ منهم رجالٌ وأُصِيبَ آخَرون .

وطالَ حصارُ الحصن ، وسألَ رسولُ اللّه رجُلاً من أصحابه عن رأيهِ في ذلكَ الحِصار ، فقال الرجل:

ـ يا رسولَ اللّه ، ثَعْلَبٌ في جُحْر ، إنْ أقَمْتَ أخَذْتَه ، وإنْ تركتَه لم يَضُرّك .

لم يَخْرُجْ رسولُ اللّه إلى هَوازِنَ إلاّ لدَفْعِ العُدوان ، إنّه لا يُرِيدُ قتلَ النّاس . انتصرَ على هوازِنَ حتى لم يَعُد يخشى أن يَغْزُوه ، لذلكَ أمَرَ برفعِ الحِصار ، فأخَذَ المسلمونَ يرحَلُونَ وهم يقولون :

ـ يا رَسولَ اللّه ادْعُ على ثَقِيفٍ أهل الطّائِف .

لم يكنْ رسولُ اللّه يُحِبُّ أن يدعُوَ على النّاسِ بالسرِّ ، فما أرْسَلَه اللّه إلاّ لِهدايَةِ الناس وسعادَتِهم ، فَدَعا رسولُ اللّه ﷺ :

ـ اللّهمَّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مُسلِمِين .

٥

جاءَتِ امرأةٌ أسِيرَةٌ تقولُ للمسلِمين :

ـ أنا أختُ صاحِبِكم .

فكانوا يعجَبُونَ من قَولِها ، فما كانَ لرسُولِ اللّه ﷺ إخوةٌ أو أخَوات ، فكانت تقول :

ـ واللّه إنّي أختُ صاحبِكم .

فأخَذُوها ، وأتَوا بها رسولَ اللّه ، فقالت :

ـ أتَعرِفُنِي ؟

فقال لها رسولُ اللّه ، وهو ينظُرُ إليها :

ـ لا أُنْكِرُك ، فمَن أنت ؟

ـ أنا أختُك ، بنت أبي ذُؤيب .

كانت بنتَ حليمَةَ السعدِيَّة ، فهِيَ أختُه من الرَّضاعَة . فقامَ ﷺ لها قائِما ، وبَسَطَ لها رِداءَه ، وأجْلَسَها عَلَيه ، ودَمَعَتْ عَيناه ، وسألَها عن حَليمَة، وعن زوجِها الحارِث ، فأخْبَرَتْهُ بموتِهما .

وجاءَ وَفْدٌ من هَوازِنَ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، وأعْلَنُوا إسلامَهم ، ودَخَلُوا فى دِينِ اللّه ، فقَد استَجابَ اللّه دُعاءَ رسُولِه ، يومَ طَلَبَ المسلمونَ منه أن يَدعُوَ على ثَقِيف : « اللّهمَّ اهدِ ثَقِيفا ، وأْتِ بهم مسلمين » .

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص الديني

غزوة تبوك

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ انفِرُوا خِفافًا وثِقالا ، وجاهدُوا بأموالِكم وأنفُسِكم فى سبيلِ اللّه ، ذلِكم خَيرٌ لكم إن كنتم تَعلَمون ، لو كانَ عَرَضًا قريبًا ، وسَفرًا قاصِدًا لاتَّبعُوكَ ، ولكنْ بَعُدَتْ عليهم الشُقَّة ، وسَيحلِفُونَ باللّهِ لو استَطَعنا لَخرَجْنا مَعَكم ، يُهلِكونَ أَنفُسَهم ، واللّهُ يعلَمُ إنَّهم لكاذِبُون ﴾ .

(قرآن كريم)

١

رأى هِرَقْلُ إمبراطورُ الرُّوم ، أنَّ الإسلامَ انتشر فى جزيرة العرب ؛ فَعَزمَ على أن يجمَعَ جيشًا لقتال المسلمين . كانَ يخافُ أن يبتلِعَ الدينُ الجديد دَولَته ؛ فجمعَ جمُوعًا كثيرةً بالشامِ ، تحتَ العَلَمِ الرُّومانِى ، وكان يَزينُ ذلكَ العَلَمَ نَسْر ؛ وكانت قُوَّةُ جيشِ هِرَقل أربَعينَ ألفًا من خِيرَة مقاتِليه .

وبلغَ رسولَ اللّه ﷺ ، أنَّ هِرَقْلَ يَجمَعُ الجيوشَ لِقتالِه ، فرأى أن يخرُجَ إلى الشامِ لِيُقاتِلَه هناك ، ولا ينتظِرَ حتى يأتِيَ هِرَقلُ إلى بلادِه ؛ لأنَّه إذا هُزِمَ فى بلاده ، كان فى ذلك القضاءُ عليه وعلى المسلمين . كان الجوُّ حارًّا ، والناسُ فى شِدَّة ، وكان أوانُ جَنْيِ الثِّمار ، فكان الناسُ يُحبُّونَ المَقامَ

فى ثِمارِهم وظِلالِهم ؛ وكان السَّفَرُ بعيدًا ، والعدُوُّ قويّا ، لذلك أخبرَ رسولُ اللّه ﷺ الناسَ أنَّه خارجٌ إلى تبُوك ، ليستعِدُّوا ، وما كانَ يُخبرُهم قبلَ هذِه الغَزْوَةِ إلى أينَ يتوجَّه ، حتَّى لا يستَعِدَّ له أعداؤه .

كانت هذه الغَزْوةُ تحتاجُ فى تَجهيزِها إلى أموالٍ كثيرة ، فَدعا أغنياءَ المسلمينَ إلى النَّفقَة ، وحَمْلِ الفُقَراءِ ، والإنفاق عليهم ، فَأَنْفَقَ عثمانُ بنُ عفَّانَ نفقَةً عظيمة ، لم يُنفِقْ أحَدٌ مثلَها ، فإنَّه جهَّزَ عشرةَ آلافِ مقاتِل ، فقال ﷺ :

ـ اللَّهمَّ ارضَ عن عثمان ، فإنِّى عنه راض .

وجاءَ أبو بكر الصِّدِّيقُ بجميعِ ماله ، أربعةِ آلاف دِرْهم ، وقَدَّمَها إلى رسولِ اللّه ﷺ ، فقال له الرَّسول :

ـ هلْ أبْقَيتَ لأهلِكَ شيئا ؟

فقال أبو بكر فى إيمان :

ـ أبْقَيتُ لَهمُ اللّهَ ورسولَه .

وجاءَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ إلى رسولِ اللّه ﷺ ، بنِصْفِ مالِه ، فقال له الرَّسول :

ـ هل أبْقَيتَ لأهلِكَ شيئا ؟

فقال عمرُ بنُ الخطَّاب :

ـ النِّصفَ الثانى .

وأرسَلَ المسلمونَ إلى رسولِ اللّه ﷺ أموالاً كثيرة لِيُجَهِّزَ بها الجيشَ الخارِجَ لِقتالِ الرُّوم ، وبعَثتِ النساءُ بكلِّ ما يقدِرْنَ عليه من حُلِيِّهن ، وأخَذَ رسولُ اللّه يُنفِقُ هذه الأموالَ فى إعدادِ الجيش ، الذى سُمِّىَ جيشَ العُسْرة ، لأنه تكوَّن فى سَنةٍ شديدةٍ عَسيرة .

٢

استعدَّ جيشُ المسلمينَ للخروج ، فجاءَ سبعةُ رجالٍ إلى رسولِ اللّه ، يسألونَه أن يحملَهم ، فقال لهم الرسول :

ـ لا أجدُ ما أحمِلُكُم عليه .

لم يكن عِندَه جمالٌ أو بغالٌ يحملُهم عليها ، فحزِنَ الرِّجال ، كانوا يُريدونَ أن يُحاربُوا فى سبيلِ اللّه ، ولكنهم لم يجدوا ما يخرجونَ للقتالِ عليه ، وزاد حزنُهم ، حتى إنهم تركُوا النَّبىَّ ﷺ وهم يبكونَ حُزنا . وقبل أن يخرُجَ النبىُّ إلى القِتالِ وجَدَ ما يحملُهم عليه ، فأرسلَ إليهم ، وأعطاهم جمالا ركبوها ، وانطلقوا مسرورين .

وعَقَدَ رسولُ اللّه ﷺ الألويةَ والرَّايات ، فدَفَع

لِواءَه الأعظَمَ لأبى بكر الصِّدِّيق ، ورايَتَه العُظمَى للزُّبَيرِ بنِ العَوَّام ، ودَفَعَ راياتٍ أخرى للأنصار . وقبلَ أن يسيرَ النبىُّ ﷺ ، بلغَه أنَّ بعضَ الرجالِ من المسلمينَ قد اجتمعوا فى بيتِ رجل يَهودِىّ ، وراحوا يقولون :

ـ لا نخرجُ فى الحرِّ لقتالِ الرُّوم .

فأنزَلَ اللّه فيهم :

ـ ﴿ قل نارُ جهَنَّمَ أشَدُّ حَرًّا لو كانوا يفقَهون ﴾ (أى يعلمون) .

وسارَ جيشُ المسلمينَ فى الصحراء . كانت الحرارةُ شديدةً تشوى الوُجُوه ، فكان بعضُ الرِّجال يتخلَّفُونَ ويعودونَ إلى المدينة ، حيثُ الظِّلّ ، فكانَ المسلمونَ يقولون لرسولِ اللّه ﷺ :

ـ تخلَّفَ فُلان .

فيقُولُ الرسول :

ـ دعوه ، إن يكُ فيه خيرٌ فسيُلْحِقُه اللّه بكم .

واستمرَّ الجيشُ فى سَيرِه فى الصَّحْراء ، ليالِىَ وأيَّاما حتى نَفِدَ الماء ، واستبدَّ العَطَشُ بهم ، حتى كادَ يقطَعُ رقابَهم ، فاضطُرُّوا إلى ذبحِ إبلِهم ، وشقِّ كُروشِها ، وشُربِ ما فيها من ماء ، واشتدَّ الكَربُ بالناس ، فجاءَ أبو بكر إلى رسول اللّه ﷺ ، وقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، قدْ عوَّدَكَ اللّهُ من الدُّعاء خيرا ، فادعُ اللّه لنا .

قال رسول اللّه ﷺ :

ـ أتُحِبُّ ذاك ؟

قال أبو بكر : « نعم » .

فراح رسولُ اللّه يدعو اللّه ، ورفَعَ يديه بالدُّعاء ، فلم يُرجعْهما حتى أرسلَ اللّه سحابة ، فأمطرتْ حتى شرِبَ النَّاس ، وأخذُوا ما يحتاجُونَ إليه من ماء .

وسارَ الجيشُ فى اللَّيل ، ونالَ الناسَ التَّعب ، ولكنهم لم يناموا ، لأنَّ الفجرَ قد اقْترَب ، وكانوا

يُريدونَ أن يُصلُّوا الفجر ، وقال لهم بلال :

ـ نامُوا وأنا أوقِظُكُم .

فاضطجعُوا ، وراحُوا فى النَّوم ، وغلبَ النَّومُ بلالا ، فلم يوقِظ الناسَ فى الفجر ، فلما استيقظَ رسولُ اللّه دعا بلالا ، وقال له :

ـ يا بلال ، أين ما قلت ؟

فقال له بلالٌ معتذرا :

ـ يا رسولَ اللّه ، ذهبَ بى مثلُ الذى ذهبَ بك .

ولم يغضبْ رسولُ اللّه وقام يُصلِّى بعدَ أن فاتَه الفجر ، وقام المسلمونَ يصلُّون ، ولمَّا انتهَوا من صلاتِهم ركبوا جمالَهم وساروا ، ولاحَظَ رسولُ اللّه ﷺ أن النَّاسَ يتهامَسون ، فقال :

ـ ما هذا الذى تَهمِسُونَ دُونِى ؟

فقالوا :

ـ يا رسولَ اللّه ، نهمِسُ بتفريطِنا فى صلاتِنا .

فقال لهم ﷺ :

ــ أما لكم فىَّ أُسوَةٌ حَسنة ؟ ليس فى النَّومِ تفريط ، إنما التَّفريطُ على من لم يصلِّ الصلاة ، حتى يجىءَ وقتُ أخرى .

٣

وصلَ جيشُ المسلمينَ إلى تبوك ، فلم يقابلْ جيشَ الرُّوم . أفزع خروجُ المسلمينَ للقتالِ الرُّوم ، فسحبوا جيوشهم وأبَوا القِتالَ . ولما كان رسولُ اللّه ﷺ لم يخرجْ إلا للدفاع عن المسلمين ، ولم يكن يُريدُ الحربَ لذاتها ، ولا يريدُ إرغامَ الناسِ على الدخولِ فى الإسلامِ بالسَّيف ، بقِىَ فى تَبُوكَ ولم يتقدَّم ، ولو شاءَ أن يُغِيرَ على الشَّام لكان ذلك سهلا ؛ كان فى سبعينَ ألف مقاتِلٍ من المؤمنين .

ومرَّت أيامٌ ورسولُ اللّه ﷺ فى تَبُوك يُصلِّى للّه ، وينتظرُ ظهورَ جيش الرُّوم ، فلما وثِقَ من أنهم

لا يعتدونَ عليه ، فكر فى العودة بعد ذلك التعب الشَّديد ، الذى قاساه المسلمونَ فى قطع الصحراء ، فهو لا يحبُّ أن يبدأ بالعُدوان أحدا .

أمر رسولُ اللّه ﷺ الناسَ بالعَودَة ، فركِبُوا جمالَهم ، وغادروا تبوك ، وفى الطَّريق اجتمعَ رجالٌ ممَّن يُظهرونَ الإسلام ، ويكرهونَ الرَّسول ، وهم المُنافقون ، واتفقُوا على أن يدفعوا رسولَ اللّه ﷺ عن ناقتِه ، عند مرورهم بالعقَبَة التى بين تَبوكَ والمدينة ، والعَقَبةُ مكانٌ صخْرىٌّ ضيِّقٌ مظلم ، وقد اختاروا هذا المكانَ حتى لا يراهم أحد وهم يخونونَ الرَّسول ، ويدفَعُونَ به إلى الوادى ليَقتُلوه .

وأخبرَ اللّه رسولَه الأَمينَ بذلك ، فلما وصلَ الجيشُ إلى العَقَبة ، نادى منادِى رسول اللّه ﷺ :

ــ إنَّ رسولَ اللّه ﷺ يُريد أن يسلُكَ العَقَبة ، فلا يسلُكها أحد ، واسلُكوا بطنَ الوادى ، فإنه أسلكُ لكم وأوسَع .

فسار النَّاسُ فى بطن الوادى ، وسار رسولُ اللّه ﷺ فى العقَبَة ، وكانت مظلمةً هادئة ؛ وكان رجُلانِ من أصحابه يسيران معه ؛ أحدهما أمام ناقَتِه ، والآخرُ خلفَها . وجاءَ الرِّجالُ الذين اتفقوا على الغدر برسول اللّه ، وكانوا ملثَّمين ، يخفونَ وجوهَهُم . وأحسَّ رسولُ اللّه بقربهم ، فصَرَخ بهم ، فخافُوا وهَرَبُوا بعدَ أن عَلِمُوا أن رسولَ اللّه اطَّلَعَ عَلى مَكْرِهِم به ، واختَلَطُوا بالنَّاسِ الذين كانوا يسيرونَ فى الوادِى الواسع .

وجمعهم رسولُ اللّه ﷺ بعد أن مرَّ من العَقَبَة ، وأخبَرَهم بما قالوه ، وبما اتفقُوا عليه ، فحلَفُوا باللّه ما قالُوه ، ولا أرادوا قتلَه ، وأشارَ عليه بعضُ أصحابه أن يقتُلَهم ، فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـــ أكرهُ أن يتحدَّثَ الناسُ أنَّ محمَّدًا يقتُلُ أصحابَه .

وأنزَلَ اللّه فيهم قرآنا : ﴿ يَحْلِفُونَ باللّه ما قالوا ، ولقدْ قالوا كلِمةَ الكُفر ﴾ .

٤

وبنى المنافقونَ مسجدًا بجوارِ مسجدِ قُباء ، الذى بناهُ رسولَ اللّه ﷺ أوَّلَ ما جاءَ إلى المدينة . كانوا يجتمعُونَ فيه ، ويَعِيبُونَ النبيَّ ﷺ ، ويستهزئونَ به ، وكانوا يُريدونَ أن يجمَعُوا فى هذا المسجدِ السِّلاح ، ثم ذهبُوا إلى قَيصرَ ملكِ الرُّوم ، يطلبونَ منه أن يُمدَّهم بجنْد ، يساعدونهم على إخراج محمد ﷺ وأصحابه من المدينة .

وفى أثناء عودةِ الرسول من تَبوك ، مرَّ بهذا المسجد ، فطلبَ المنافقونَ منه أن يصلِّى فيه ، فأوحَى اللّه إليه : « والذينَ اتَّخذُوا مَسجدًا ضِرارًا وكُفرًا وتفريقًا بين المؤمنين ، وإرصادًا لِمَنْ حارَبَ اللّهَ ورسولَه من قَبل ، ولَيَحلِفُنَّ إن أردنا إلا الحُسنَى ،

واللّه يشهَدُ إنّهم لكاذِبون ، لا تَقُمْ فيه أبدًا ، لَمَسجدٌ أُسِّسَ على التَّقوى من أوَّلِ يوم أَحَقُّ أن تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا ، واللّه يُحبُّ المتطهِّرين » .

فدعا رسولُ اللّه ﷺ بعضَ أصحابه ، وأمَرَهم أن يذهَبُوا إلى هذا المسجد ، الظالِمِ أهلُه ، ليُحرِّقوه بالنار ، فذهَبَ أصحابُه إليه وحَرَّقوه ، لأنَّه لم يكن مسجدًا للّه ، بل كان المنافقونَ يُدبِّرُونَ فيه الكَيدَ للإسلامِ والمسلمين .

٥

دخلَ رسولُ اللّه ﷺ المسجدَ فى المدينة ، وصلَّى ركعَتَين ، ثم جلسَ للناس ، فجاءَ إليه الذين تَخَلَّفُوا عن الخُروجِ معه ، فأخذُوا يعتذِرونَ إليه ، ويحلِفُونَ له أنَّ العُذْرَ منعهم ، فقبِلَ منهم ما أعلَنوه ، لأنه كان يقبَلُ ما يعلِنُه الناس ، ويترُكُ للّه ما يُخفُونَ فى صُدورهم . وجاءَ كعبُ بنُ مالك ، وكان رجُلاً من خِيارِ الأنصار ، ولكنه لم يخرج معه فى غزوةِ تَبُوك ، فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ تعالَ ، ما خَلَّفَك ؟

لم يشأْ مالِكٌ أن يَعْتَذِرَ بالكذِب ، كان رجُلاً طيِّبا ، يعلمُ أنَّ اللّه يكرهُ الكذّابين ، فقال :

ـ لا واللّه ، ما كان لى عُذْر ، وواللّه ما كنتُ قط

أقوى ولا أيسَرَ منّى حينَ تخلّفتُ عنك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أمَّا هذا فقد صَدَق ، فقم حتَّى يقضِيَ اللّه فيك .

وجاءَ اثنان صادِقان إلى رسول اللّه ، فقالا له إنهما ما كان لهما من عُذْر فى تَخَلُّفِهما عنه ، فأمرَ رسولُ اللّه الناسَ ألاَّ يُكلِّموا هؤلاء الثلاثة ، حتى يقضِيَ اللّه فيهم .

لم يُكلِّمهمُ الناس ، وظلُّوا يبكونَ ندما ، ومرَّت خمسونَ ليلة ، ولم يُكلِّمهم أحد ، فضاقَت عليهم الدنيا ، واشتدَّ الكربُ بهم ؛ وفيما هم فى شدَّتهم ، جاءَ الناسُ يُهَنِّئونَهم ، فقَدْ أنزَلَ اللّه فيهم قُرآنا ، وتاب عليهم ، وعفا عنهم .

الحلقة الثانية
قصص السيرة

القصص الديني

حجة الوداع

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينا ﴾ .

(قرآن كريم)

١

فتح محمدٌ ﷺ مكّة ، وأسلمتْ قُرَيش . ثم خرج لقتال الرُّوم لّما بلَغَهُ أنّهم يُريدونَ الاعتداءَ عليه ، ولكنَّه عادَ دون حرب . وجدهم قد هابُوا خروجَه إليهم ؛ وبذلك أصبحَ رسولُ اللّه ﷺ أقوى رجل في جزيرة العرب ، فجاءت إليه القبائلُ تُعلِنُ إسلامَها طَوْعا . لم يضطرّهم أحدٌ إلى الدخولِ في الدّين الجديد ؛ وَجَدُوه دينًا قويًّا فأسْلمُوا له . وسُمِّيَ هذا العامُ عامَ الوُفود ؛ وقد أنزل اللّه سورة النَّصر بعد إسلامِ القبائل :

بسمِ اللّه الرحمن الرَّحيم

﴿ إذا جَاءَ نَصْرُ اللّه والفَتْح * ورأيْتَ النَّاسَ يَدْخُلونَ في دين اللّه أفواجا * فسبِّحْ بحمْدِ ربِّك واستغْفِره إنَّه كان توَّابا ﴾ .

كان لكلِّ قبيلةٍ صنمٌ تعبُده ، ولما كان الإسلامُ قد جاء ليدعوَ إلى عبادةِ اللّه وحدَه ، رأى رسولُ اللّه ﷺ أن يُرسِلَ بعضَ صحابتِه إلى الأصنام ، ليُحطِّموها ويُحْرِقوها ، حتّى يعبدَ النّاسُ اللّه وَحْدَه ، لا يُشركونَ به شيئا .

أسْلَمَتْ ثَقِيف ، وكانت قبيلةً تنزلُ الطّائف ، وتعبدُ اللّات ، وهي صخرةٌ مرتفعة ، يذبحونَ الذّبائح عندها ، ويعظّمونها ؛ فأرسَلَ رسولُ اللّه ﷺ أبا سفيان بنَ حرب ، والمغيرةَ بنَ شُعبة ، لهدمِ اللّات . فلما وصلا إلى الطّائف ، قالَ المغيرةُ لأبى سُفيان :

ـ تقدَّمْ لهدمِ الصَّنم .

كان أبو سفيانَ يعلمُ أنَّ بعضَ النّاسِ لا يزالونَ يُعظِّمون الصَّنم ، فخشىَ أن يَعتدوا عليه إذا ذهب لتحطيمه .

ولما كان المغيرةُ من ثقيف ، قال له أبو سفيان :

ـ ادخُل أنت على قومِك .

ودخل المغيرةُ على قومِه ، وقال لهم إنه قد جاء لهدمِ اللّات ، فأرادوا أن يمنعوه ، خشيْةَ أن يقتلَه الّذين يعظّمون الصنّم ، ولكنَّ المغيرةَ أبى أن يسمعَ لهم ، وذهب إلى الصّنم وقد حمل فأسا .

ذاع فى الطّائفِ أنَّ المغيرةَ جاءَ يُحطِّم اللّات ، فخرجتِ النِّسوةُ مكشوفاتِ الرُّءوس يبكينَ الصنَم ، وخرج بعضُ الرِّجال ينظرونَ فى خوف ، كانوا يظُنّونَ أن الصَّنَمَ سينتقِمُ من المغيرة .

وأرادَ المغيرةُ أن يسخَرَ من هؤلاء الجُهّال ، الّذين يحسَبون أنَّ حَجَرًا لا نفعَ له ولا قوّة ، يستطيعُ أن يمنعَ أحدًا من تحطيمِه ، فقال لأصحابِه :

ـ لأضْحكنّكُمْ منهم .

وصعِدَ المغيرةُ ليحطِّم الصَّنم ، فراح النّاسُ ينتظرون وهم يرتجفونَ خوفا ؛ كانوا يخافونَ ثورةَ الصَّنم . ولما ارتقاهُ المغيرة ، تظاهرَ بأنّه سقط من

فوقِه ، فصاحَ النّاس :
ـ مَنَعتِ اللّاتُ المغيرةَ من أن يهدِمَها ، واللّه لا يستطيعُ هدمَها ، صَرَعَتِ اللّاتُ المغيرة .
وفرِح الرِّجال ، وسُرَّتِ النِّسوة ، وقالوا للمغيرة :
ـ ألم تعلمْ أنّها تُهلكُ من عاداها ؟
فقام المغيرةُ يضحكُ منهم ، ويقولُ لهم :
ـ واللّه ما قصدتُ إلاَّ الهُزْءَ بكم .
ثم قام إلى اللاّت وحطَّمها بالفأس ، وأشعلَ فيها النار بعد أن أخذ مالَها وحُلِيَّها . ولما رأى النّاسُ أنّ الصَّنمَ الَّذى كانوا يعبُدونه من دون اللّه قد تحطَّمَ وصار رَمادا ، لا يستطيع أن يَحْمىَ نفسَه ، عجبوا من غفلتهم ، وزادهم ذلك إيمانًا برسالةِ رسولِ اللّه ﷺ وتثبيتا .

٢

جاء أوانُ الحجّ ، وعلِمتِ القبائلُ أنّ رسولَ اللّه ﷺ ، خارجٌ إلى مكّةَ ، ليُؤدِّىَ فريضةَ الحَجّ ، فأقبلتِ الوفودُ على المدينةِ أفواجًا أفواجا ، وضُرِبَتِ الخيامُ حولَ المدينةِ ، لمائةِ ألفٍ أو يزيدون ، ينتظرونَ الخروجَ إلى بيتِ اللّه ، مع رسول اللّه ﷺ .
وتجهّز النّاس ، وخرج الرّسولُ معه نساؤه ؛ كُنَّ فى هوادِجهنّ والتفَّ حوله صحابتُه الأوائل ، الّذين جاهدوا معه فى سبيلِ الإسلام ؛ كان حولَه أبو بكر وعُمَر وبلال والمهاجرون ؛ ولم يظهرْ بينَهم علىُّ بنُ أبى طالب ، لأنَّ رسولَ اللّه ﷺ قد أرسلَه إلى اليمن ، يدعو أهلَها إلى الإسلام .
وارتفع صوتُ بلال مُؤذِّن الرّسول يدعو النّاسَ إلى الصَّلاة :

اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر !
أشهدُ أن لا إلهَ إلاّ اللّه ، أشهدُ أن لا إله إلا اللّه .

فصلى رسولُ اللّه ﷺ الظُّهر بالنَّاس ، صلاةَ أربعَ ركعات ، ولمّا انتهتِ الصَّلاة ، ركِب ناقته القصواء ، وسار ، وسارت جُموعُ النَّاسِ خلفَه ، وتذّكر المهاجرونَ يومَ جاءوا إلى المدينةِ هاربين ، يومَ كانوا قلّةً مُضطهَدين ، ورأوُا الجموع الهائلةَ تسيرُ خلفَ الرَّسولِ جماعات ، فامتلأتْ قلوبُهم غِبطة ، وشكروا اللّه الّذى أيَّدهم ونصرَهم ، فصدقَ وعدَه .

لم يكنِ الْحُجّاجُ يحملونَ معهم أسلحة ، ولماذا يحمِلونَها ! لقد أصبحتِ البلادُ كلُّها تدينُ بالإسلام ، وانتهت العداوة ، ولَم يعُد هناك حاجةٌ لحمل السيُّوف ، فما كان رسولُ اللّه ﷺ يلجأُ إلى السيَّف ، إلاّ ليدافعَ عن نفسِه ، ويحميَ دينَ اللّه من الاعتداء ؛ إنه لا يعتدى ، لأنَّه يعلمُ أنَّ اللّه لا يُحبُّ المعتَدين .

واستمرَّ الناسُ فى سيرهم ، حتّى إذا جاءَ العصْر ، صَلُّوهُ خلفَ النَّبىِّ ﷺ ركعتَين ، وهذه الصلاةُ القصيرةُ تُصلّى فى السَّفر ، تخفيفًا عن المُسافر .

ونَزَلَ النّاسُ يستريحونَ ويبيتونَ ليلتَهم ، ولمّا جاءَ الصَّباح ، ركِب النبىُّ ناقَته ، وركِب النّاسُ جمالَهم ، وقبلَ أن يسيروا قال رسولُ اللّه ﷺ لهم :

ـ جاءنى جبريلُ فقال : يا مُحمَّد ، مُرْ أصحابَك ، فليرفعوا أصواتهم بالتَّلبية ، فإنها شعارُ الحَجّ .

ونادَى محمَّدٌ ملبِّيا :

ـ لبَّيك اللهمّ لبَّيك ، لبَّيكَ لا شريكَ لك ، إنَّ الحمدَ والنِّعمَةَ لك ، والمُلكَ لك ، لا شريكَ لك .

فارتفعتْ أصواتُ المُسلمينَ بالتَّلبيةِ خلفَه ، وتجاوَبَ الفضاءُ بالنِّداء .

واستمرَّ النَّاسُ فى سيرِهم ، حتى بلغوا مكّةَ بعدَ أيّامٍ وليال ، فلمّا رأى النَّبىُ الكَعبة ، رفع يدَه وقال :

- اللّهمَّ زِدْ هـذا البيـتَ تشـريفًا وتعظيـمًا ومهابـةً وبرّا ، وزدْ من شرّفَهُ وكرّمه ، ممّنْ حجّه أو اعتمرَه ، تشريفًا وتكريمًا وتعظيما وبرّا .

وأحسَّ الرسولُ أنَّه لا يقوَى على أن يطوفَ حولَ الكعبةِ على قدميه ، فطافَ علـى راحلتِه القَصْواء ، واستقبلَ القبلةَ ، وقال :

- لا إلهَ إلاَّ اللّهُ وحدَهُ لا شريكَ له ، لهُ الملكُ ولهُ الحمْد ، وهو على كلِّ شـيء قديـر ، لا إلـهَ إلاَّ اللّـهُ وحدَه ، أنجزَ وعدَه ، ونصر عبدَه ، وهزَمَ الآحـزابَ وحدَه .

وسـار الرسـولُ والْحُجّـاجُ خلفـه إلى عَرفـات ، وعَرفاتُ ليستْ جَبَلا ، بل هي صخرةٌ واسِـعَة على ارتفاعِ مائتي قدم ، وقد بلغـتْ ناقـةُ الرسـولِ قِمَّتَهـا فـي سُـهولة . وقـام رسـولُ اللّـه ﷺ ، يُصلّـي فـي عَرَفات ؛ واصطفَّ آلافُ الْحُجّاج خلفَـه يُصلّون ،

ولما انتهى من صلاتِه ، نـزلَ عليـهِ الوَحـى يُعلنـه أنّـه أدّى رسالةَ ربِّه ، وأنَّ دينَ الإِسلامِ قد اكتَمل ، فقرأَ النَّبيُّ ﷺ على النَّاسِ ما أُوحِيَ إليه :

﴿ اليومَ أكملتُ لكـم دينكـم ، وأتممـتُ عليكـم نِعمتي ، ورضيتُ لكُمُ الإِسلامَ دينا ﴾ .

ونظر عُمَرُ إلى النَّبيِّ ﷺ وبكـى ، فـالتفتَ النّـاس إليه في دَهَش ، وقالوا : ما يُبكيك ؟

شعر عُمَرُ أنَّ النّبـي ﷺ أدَّى رسـالة ربِّـه ، وأنّ ذلك دِلالةٌ على قُربِ وفاةِ الرسول ، فحزَّ ذلك فـي نفسِه ، وجرتِ الدموعُ من عينيه ، وقال في حُزن :

- ليسَ بعد الكمالِ إلا النُّقصان .

٣

عاد الْحُجّاجُ إلى مِنىً وهم يُلبُّون :

- لبَّيك اللّهمَّ لبَّيك . لبَّيكَ لا شريكَ لكَ لبَّيك .

واقترب الْحُجّاجُ من مِنى ، وأخذوا يرمُونَ صخرةً هُناك بالحَصى ؛ ففى هذا المكان ، قابلَ سيِّدُنا إبراهيمُ وهو ذاهبٌ ليذبح ابنه إسماعيل ، إبليس ، فرماه بالحَصى ، ويُعرفُ هذا فى الحجّ ، برمىِ الجَمرات .

وجىءَ بالإبلِ والغنمِ فذُبحت ، وأخذ النّاسُ يقصُّون شَعْرَهم وأظفارَهم ، وخلعُوا الثِّيابَ البيضَ التّى كانوا يلبَسونها ، وهى ثيابُ الإحرام ، ولبِسوا ثيابَهم ، ووُزِّعت لُحومُ الاضْحِياتِ على الناس .

وفى اليوم الثَّالث ، ركِب رسولُ اللّه ﷺ ناقتَه ، ووقفَ فى وادى مِنَى ، وخطبَ فى النّاس :

ـ أيُّها النَّاس ، اسمَعوا قولى ، فإنّى لا أدرى لعلّى لا ألقاكم بعد عامى هذا ، بهذا الموقف أبدا .

أيُّها الناس إن دماءَكم وأموالَكم عليكُمْ حرام ، إلى أن تلقَوْا ربَّكم ، كحُرمةِ يومكم هذا ، وكحُرْمةِ شهرِكم هذا ، وإنّكم ستلقَون اللّه فيسألُكُم عن أعمالِكم ، وقد بلّغت . فمن كانت عندَه أمانةٌ فلْيُؤدِّها إلى من ائتمنَه عليها . وإنَّ كلَّ رِبًا موضوع ، ولكن لكم رءوسُ أموالِكم ، لا تظلِمون ولا تُظلَمون . وإنَّ كلَّ دمٍ كان فى الجاهليةِ موضوع . أما بعد ، أيُّها النَّاس ، فإن الشيطانَ قد يئِسَ أن يُعبَد بأرضِكم هذه أبدًا . ولكنّه يطمعُ فيما سوى ذلك ، فقد رضىَ به مما تُحقّرون من أعمالِكم ، فاحذروه على دينِكم .

أما بعد أيُّها النّاس ، فإن لكم على نسائِكم حقّا ، ولهنَّ عليكُم حقّا ، فاستوصُوا بالنساءِ خيرا ، فإنهنَّ

عندكم عَوَان ، لا يملِكن لأنفسِهنّ شيئا .

فاعقلوا أيها النّاسُ قَوْلى ، فإنى قد بلّغت . وقد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتُم به ، فلن تضِلوا أبدا ، أمرًا بيِّنا : كتابَ اللّه وسنّةَ نبيِّه . أيُّها النّاس ، اسمعوا قولى ، واعقِلوه ، تَعلمُنَّ أنَّ كلَّ مسلمٍ أخٌ للمسلم ، وأنَّ المسلمينَ إخْوَة ، فلا يحِلُّ لامرىء من أخيه إلاّ ما أعطاهُ عن طيبِ نفسٍ منه ، فلا تظلِمُنَّ أنفسكُم ، اللّهمَّ قد بلّغت .

فصاح الناس :

ـ اللّهمَّ نعم .

فرفع رسولُ اللّه ﷺ وجهَه إلى السَّماءِ وقال :

اللّهمَّ اشْهَد .

ولما كانت هذه آخرَ خُطبةٍ خطبها رسولُ اللّه ﷺ

قبلَ موتِه ، سُمِّيت خطبةَ الوَداع .

٤

انصرف الحُجّاج ، فقدِ انتهى الحجّ ، وأخذ النبيُّ ﷺ أزواجَه ، وعاد بهنَّ إلى مكة ، وبقِيَ النّاس ثلاثةَ أيام ، ليستعِدّوا للعودة إلى المدينة ، وفي ذاتِ ليلة جلسَ النّبيُّ ﷺ يفكّر ، إنه أتمَّ رسالةَ ربِّه ، ودخل النّاسُ فى دينِ اللّه أفواجا ، وتذكر أيّامَ اضطهادِه وتعذيبه ، فخطرتْ على ذهنِه خديجة ، زوجتُه الّتى صدّقتْه لمّا كذّبه الناس ، وآزرته وشجّعته وواسته ، حتى استطاعَ أن يبلّغَ رسالاتِ ربِّه ، فأحسَّ رغبةً فى أن يذهبَ إلى قبرِها يزورُها ، وفى

سكونِ الليلِ ترك أصحابَه ، وركِب بغلَته ، وسار إلى المقابر ، حتى إذا أتى قبرَ خديجة ، نزل عن بغلتِه ، وجلس بجوارِ القبر ، يفكّر في الزوجةِ التي عاونتهُ بمالها ، وأحاطتْه بعطفِها ، ولم تُرهقْه بثرثرتها ، الزوجةِ التي كان لها الفضلُ الأوّلُ في هذا النّصرِ العظيمِ الّذي ناله .

وقام رسولُ اللّه ﷺ وركِب بغلتَه ، ليعودَ إلى مكّة ، وغاب في الظلام ؛ كان في طريقهِ لِيُوَدِّع الدُّنيا ، بعد أن أتمَّ رسالتَه ، وودَّع الناس .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

النبي الصالح

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

١

قَدِمَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة ، فجاءَ رجلٌ من الأنصار وفى يده غُلام ، وقال له :

ـــ يا رسولَ اللّه ، إنَّ أَنَساً غُلامٌ كَيِّس ، فليخدُمْكَ .

فَراحَ أنسٌ يخدُمُ النبيَّ فى سَفَرِهِ وفى إقامَتِه ، فيزدادُ حُبًّا له ؛ كان رسولُ اللّه ﷺ رحيمًا به شَفِيقا ، وفى ذاتِ يوم ، أرسلَه رسولُ اللّه لحاجة ، فخرَجَ أَنَس ، ومرَّ على صِبيانٍ وهمْ يلعَبونَ فى السُّوق ، فوقَفَ يلعَبُ معهم ، ولم يذهبْ إلى حيثُ أمرَهُ رسولُ اللّه ﷺ .

ومرَّ الوقت ، وخرجَ رسولُ اللّه إلى السُّوق ، فرأى أنسًا يلعب ، فذهَبَ إليه ، وقَبَضَ بِقَفاهُ من ورائِه ، فنَظَرَ أنسٌ خائِفا ، فرأى رسولَ اللّه يضحك، ويقول له :

ـ يا أَنَس ، ذهَبْتَ حيثُ أمَرْتُك ؟

فقال له أنس :

ـ نعم ، أنا ذاهبٌ ، يا رسولَ اللّه .

وذهبَ أنس ، ولم ينهَرْه النبيُّ ﷺ . لقدْ خَدَمَه أنسٌ تسعَ سِنين ، وما قالَ له لشىء صنعَه : لِمَ صَنَعتَ هذا ؟ ولا لشىء لم يصنَعه : لِمَ لمْ تصنعْ هذا ؟ وإذا لامَ أحدٌ من أهلِهِ أنَسا ، قال له :

ـ دعُوه ، لو قَدَرَ أن يكونَ كان .

فقدْ كان رسولُ اللّه ﷺ أحسنَ الناسِ خُلُقا .

٢

وكانَ رسولُ اللّه ﷺ رحيما ؛ يرحَـم الضُّعَفَـاء ، ويُحِبُّ الأطفال .... حتّى إنّه كان يخـرُجُ إلى النّـاس ـ إذا جاءَ أوانُ الصّلاة ـ وعلى عاتِقِه طِفلٌ أو طِفلـةٌ من أبناءِ أصحابه ، ويُصلّى والطِّفلُ على كَتِفِه ، فـإذا ركَعَ وضَعَه ، وإذا رفَعَ رَفَعَه .

وفى ذاتِ يوم ، دخَلَ عليهِ بعضُ الرِّجال ، وهـو جالِسٌ وفـى حِجْرِه الحسَنُ بنُ علىّ ، يضُمُّه فـى رِفْق ، ويُقَبِّلُهُ فى حَنان ، فأنكَرَ الرِّجالُ منه ذلـك ، حتّى إنَّ أحدَهم قال :

ـ إنَّ لى عَشرةً من الوَلَد ، ما قَبَّلتُ منهم أحَدا !!

فَنَظَرَ إليه رسولُ اللّه ﷺ ، وقال :

ـ مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ .

وقال له أعرابىٌّ فى إنكار :

ـ تُقَبِّلونَ الصِّبيان ، فما نُقَبِّلُهم !!

فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ أَوَ أمْلِكُ لكَ أنْ نَزَعَ اللّهُ من قلبك الرَّحمة ؟

كان رحِيما ، حتّى إنّه كانَ يأخُذُ أُسامةَ بنَ زيـد ؛ ابنَ مَولاه ، فَيُقعِدُه علَى فَخذِه ، ويُقْعِدُ الحَسَنَ علـى فخذِه الأخرى ، ثمَّ يضمُّهُما ، ثمَّ يقول :

ـ اللَّهُمَّ ارحَمهُما ، فإنّى أرحَمهُما .

٣

وكانَ يَعطِفُ على الحيوان ، ويَحُضُّ المسلمينَ على العَطفِ عليه ... كان رءوفًا بناقَتِه العَضْبَاء ، وببَغْلَتِهِ دُلْدُل . وكانَ يُوصِي أصْحابَهُ بالحَيَوانِ خَيرا ، حتّى إنَّه قال لهم ذاتَ يوم :

ـ بَينَما رجُلٌ يمْشِي بِطَرِيقٍ اشتَدَّ عليهِ العَطَش ، فوجَدَ بئرا ، فَنَزَلَ فيها فشرِب ، ثُمَّ خَرَج ، فإذا كلبٌ يلْهَث : (يُخرِجُ لِسانَه من العَطَش) ، يأكُلُ الثَّرَى : (التراب) من العَطَش ، فقال الرجل :

ـ لقدْ بَلَغَ هذا الكلْبَ مِن العطش ، مثلُ الذى

بَلَغَ بى .

فَنَزَلَ البئر ، فملأَ خُفَّه ، ثم أمْسَكَهُ بفيه ، فسَقَى الكلب ، فَشَكَرَ اللّه له ، فغفرَ له .

فقال أصحابُ الرسول :

ـ يا رسولَ اللّه ، وإنَّ لَنا فى البَهائِم أجْرا ؟

فقال لهم ﷺ :

ـ فى كُلِّ ذاتِ كَبِدٍ رَطبَةٍ أجر (أى فى كل ما تَدِبُّ فيه الحياة) .

٤

وكان رَءُوفًا بالضُّعفاء ، يأمُرُ أصحابَه بِرعايَتِهم ؛ وفى ذاتِ يوم ، جاءَ إليه رجُلٌ يشكو مِن أنَّه

لا يَستَطيعُ أن يُصلّىَ فى جماعةٍ مع الناس ، لأنَّ الإمامَ يُطِيلُ الصَّلاة ، وهو ضَعِيفٌ لا يستطِيعُ أن يَحتَمِلَ الوقوفَ الطَّويل ، والرُّكوعَ الطَّويل ، قال الرَّجُل :

ـ يا رسولَ اللّه ، أكادُ أتْرُكُ الصَّلاة ، مما يُطوِّلُ بنا فُلان .

فَغَضِبَ النبىّ ، فهو ما جاءَ إلا رَحمةً للنَّاس ، وما كان يقبلُ أن يُعذّبَ الضُّعَفاءُ الرَّاغبونَ فى صلاةِ الجماعة ، فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ يا أيُّها النَّاس ، إنّكم مُنفِّرُون ، فَمَنْ صلَّى بالنَّاس فلْيخَفِّف ؛ فإنَّ فيهم المريضَ ، والضَّعيفَ ، وذا الحَاجَة .

٥

وكان رسولُ اللّه ﷺ كريما ، فكان إذا وجَدَ مًحتاجًا أرسَلَه إلى بلال ، وكان خازنَه ، ليطعِمَه ويكسُوَه ، وفىْ ذاتِ يوم ، دخل رسولُ اللّه ﷺ على بلال ، وعِندَه صُرَّةٌ من تَمْر ، فقال له :

ـ ما هذا يا بلال ؟

فقال له بلال :

ـ يا رسولَ اللّه ، ادَّخرتُه لك ولِضِيفانِك .

فقال له رسول اللّه ﷺ :

ـ أما تَخشَى أن يكونَ له بُخارٌ فى النَّار ؟ أنْفِقْ بِلالُ ولا تَخْشَ من ذى العرشِ إقلالا .

وكان يُعطِى السَّائِلِينَ مُستَبشِرا ، لا يَنهَرُهم وإن آذَوه . كان يَمشِى مرَّةً مع خادِمِه أنَس بنِ مالِك ، وكان على النبىِّ ﷺ رِداءٌ غَلِيظُ الحاشِية ، فجاءَ أعْرابىّ ، وجَذَبَ رِداءَهُ جَذْبَةً شديدة ، أَثَّرتْ فى عُنُقِ الرَّسولِ وآلَمْته ، وقالَ الأعرابىّ :

ـ يا محمد ، مُرْ لِى من مَالِ اللّه الذى عِندَك .

فالتَفَتَ إليه رسولُ اللّه وهو يضحَك . لم يَثُرْ ولم يَغْضَب ، وأمَرَ للرَّجُلِ بعطاءٍ حَمَلَه وانصَرَف شاكرا .

٦

وكانَ لا يَرُدُّ سائِلا ، ولا يَتْرُكُ مُحْتاجَا دونَ أن يُعاوِنَه ؛ خَرجَ يومًا ومَعَه عشرةُ دراهم ، فذهَب واشترى قَمِيصًا بأربعةِ دراهِم ، فخرجَ وهو عليه ، فإذا رجلٌ من الأنصارِ يأتِى إليه ، ويقول :

ـ يا رسولَ اللّه ، اكْسُنِى قميصا ، كساكَ اللّه من ثِيابِ الجنّة .

فَنَزَعَ القميصَ فكساهُ إياه ، ثم رجَعَ واشترى قميصًا بأربعةِ دراهِم ، وبَقِى معه دِرهَمان ، وسارَ وإذا بجاريةٍ فى الطَّريق تبكى ، فقال لها :

ـ ما يُبكيك ؟

فقالت له وهى تبكى :

ـ يا رسولَ اللّه ، دفع إلىّ أهلِى دِرهَمَين أشتَرِى بهما دَقِيقًا فَهلَكا (فُقِدا) .

فدَفَعَ إليها رسولُ اللّه ﷺ الدِّرهَمَينِ الباقِيَين ، وهَمَّ بالانصِراف ، فإذا بها تَبكِى ، فدعاها وقال لها :

ـ ما يُبكيكِ وقَدْ أخَذْتِ الدِّرهَمَين ؟

فقالت :

ـ أخافُ أن يَضرِبُونِى .

فَمَشَى معها إلى أهلِها ، حتى إذا أتاهُم قال :

ـ السَّلامُ عليكم .

عَرَفُوا صوتَه ، فَلَم يَرُدُّوا . فقالَ مرةً ثانية :

ـ السلام عليكم .

فَصَمَتُوا ولَم يُجيبُوا . فقالَ مرةً ثالثة :

ـ السلام عليكم .

فقالوا فرحين :

ـ وعليكَ السَّلام .

فقال لهم : « أسَمِعتُم أوَّلَ السَّلام ؟ » .

قالوا :

ـ نعم ، ولكنَّا أحْبَبنا أن تَزِيدَنا من السَّلام .

وأقبَلوا عليهِ يسألُونَه عمَّا جاءَ به إليهم .

قالوا :

ـ فما أشخصَك ؟ بأبِينا وأُمِّنا ؟

فقال :

ـ أشْفَقَتْ هذه الجاريةُ أن تَضرِبُوها .

فقال صاحِبُها :

ـ هىَ حرةٌ لوجهِ اللّه ، لِمَمْشاكَ معها .

وانصرَفَ رسولُ اللّه . وهو مُغْتَبِط ، يقول :

ــ لقدْ بارَكَ اللّه فى العشرة : كسا اللّه نبيَّه قميصا ، ورجُلا من الأنصارِ قميصا ، وأعتق اللّه منها رقبة ، وأحمدُ اللّه ، وهو الذى رَزَقَنا هذا بِقُدرتِه .

ومرَّ على رجُلٍ من الأنصار ، وهو يلوُمُ أخاه ، لأنَّ عندَه حَياءً يمنعهُ من أن يفعلَ أشياءَ تُدِرُّ عليه أرباحا ، فقال له رسولُ اللّه :

ــ دَعْهُ ، فإنَّ الحياءَ من الإيمان .

٧

كان النبىُّ ﷺ بارِزًا يومًا للناس ، فأتاهُ رجُل ، فقال له :

ــ ما الإِيمان ؟

فقال له الرسول :

ــ الإِيمان : أن تؤمِنَ باللّه ، وملائكتِه ، وبِلِقائِه ، ورُسُلِه ، وتؤمِنَ بالبَعْث .

فقال له الرَّجل :

ــ ما الإِسلام ؟

فقال له الرسول :

ــ الإِسلامُ : أنْ تَعبُدَ اللّهَ ولا تُشْرِكَ به ، وتُقِيمَ

الصَّلاة ، وتؤتِى الزَّكاةَ المَفْرُوضة ، وتصومَ رمضان .

فقال له الرجل :

ـ ما الإِحسان ؟

فقال له الرسول :

ـ أن تعبُدَ اللّه كأنَّكَ تَراه ، فإنْ لم تَكنْ تَـراه فإنَّـه يَراك .

فقال له الرَّجل :

ـ متى السَّاعة ؟ (أى متى تقومُ الساعة) ؟

فقال له الرَّسول :

ـ إنَّ اللّه عندَه عِلْمُ السَّاعة .

ونظَرَ النَّاسُ فلم يَجِـدُوا الرَّجـل ، فقـال الرَّسـول ﷺ :

ـ هذا جِبْرِيلُ ، جاءَ يُعلِّمُ النَّاسَ دينَهم .

القصص الديني

الحلقة الثانية
قصص السيرة

وفاة الرسول

تأليف
عبد الحميد جودة السحار

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وما محمدٌ إلا رَسولٌ قدْ خلَتْ من قَبْلِهِ الرُّسُل ، أفإن ماتَ أو قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ على أعقَابِكم ، ومَن يَنْقلِبْ عَلَى عَقِبَيهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئا وَسَيَجْزِى اللّه الشَّاكرين ﴾ .

(قرآن كريم)

١

عادَ رسولُ اللّه ﷺ إلى المدينة ، وفى ذاتِ ليلة ، قامَ فى جَوفِ اللَّيل ، ونادَى مَولاه (خادِمَه) أبا مُوَيْهبَة ، وقال له :

ـ أسرِجْ لى دابَّتى .

فقامَ أبو مُوَيْهِبَةَ يُعِدُّ له بَغْلَتَه ، ثمَّ ركِبَها رسولُ اللّه ، وقال :

ـ يا أبا مُوَيْهبَة ، إنِّى قد أُمِرْتُ أن أسْتَغْفِرَ لأهلِ هذا البَقيع ، فانطَلِقْ معِى .

وسارَ الرَّسولُ إلى البقِيع ، وهو مكانُ مقابرِ المُسلمين فى المدينة ، وسار أبو مُوَيهبة خلفَ بَغْلَتِه ، حتى إذا بَلَغا البَقِيع ، نَزَلَ رسولُ اللّهِ عن بَغْلَتِه ، فأسْرَعَ أبو مُوَيْهِبَةَ إليها وأمسكها ، والتفتَ رسولُ اللّه ﷺ إلى القُبور ، وقال :

ـ السَّلامُ علَيكُم يا أهْلَ المَقابر ، ليهْـنَ لكـم (أى هنيئا لكم) ما أصبحتم فيه ، مما أصبح النـاس فيـه . أقْبَلَتِ الفِتَنُ كقِطَعِ اللّيلِ المُظلِمِ ، يتبَعُ آخِرُها أوّلَها ، الآخرةُ شَرٌّ من الأولى .

والتفت رسولُ اللّه إلى مولاه وقال :

ـ يا أبا مُوَيْهِبـة ، إنّـى قـد أُوتِيـتُ مفـاتيحَ خزائـنِ الدُّنيا والخُلدَ فيهـا ، ثـم الجنّـة ، فخُيِّرتُ بـين ذلـك وبين لقاء ربِّى والجَنَّة .

فقال له مولاه :

ـ بأبى أنـتَ وأمِّى ، فخُـذْ مفـاتِيحَ خزائِـنِ الدنيـا والخُلدَ فيها ، ثم الجنّة .

فقال له رسولُ اللّه ﷺ :

ـ لا واللّه يا أبا مُوَيْهِبـة ، لقـدِ اختـرتُ لقـاءَ ربِّـى والجنّة .

ووقَفَ رسولُ اللّه يستَغْفِرُ لأمواتِ المسلمين ، ثـمَّ انصرَفَ فى جَوفِ اللّيل ، وخادمُه يسيرُ خلفَه .

٢

عادَ رسولُ اللّه ﷺ من البقِيع إلى الـدَّار ، فَوَجَـدَ زَوجَتَه عائِشة ، تشكو صُداعا ، وتقول :

ـ وارأساه .

فقال لها :

ـ بل أنا يا عائشةُ وارأساه .

وجلـسَ إلى جِوارِهـا ، والتفـتَ إليهـا ، وقـال مُداعبا :

ـ ما ضرَّكِ لو مُتِّ قَبلِى ، فَقُمْتُ عَلَيكِ وكَفَّنْتُـكِ وصلَّيتُ عليكِ ودَفَنْتُك .

قالت له عائشة :

ـ واللّه لكأنّى بك لو فَعَلتَ ذلـك ، لقـدْ رَجَعْتَ إلى بيتى ، فأعْرسْتَ فيه ببعضِ نسائك .

فتبسَّمَ رسولُ اللّـه ، ونـام وهـو يشـكو ألَمًا فـى رأسِه ، وراحَ يدورُ على نِسـائِه ، كـان يَدْخُـلُ علـى

كلِّ زوجةٍ ليلة ، وأحسَّ اشتِدادَ المرَضِ عليه ، فكانَ كلَّما دخلَ على زَوجةٍ من أزواجِه ، يقول :

ــ أين أنا غدا ؟

فَهِمَتْ زوجاتُه أنه يُريدُ أن يمكثَ في بيتِ عائشة ، لِتعتنِيَ به في مرضِه ، ولما كان في بيتِ زوجه ميمونة ثقُلَ عليه المرض ، فسألَ أزواجَه أن يُمَرَّضَ في بيتِ عائشة ، فأذِنَّ له ، فأرسَلَ إلى عليِّ بنِ أبي طالب ، وعمِّه العبَّاس ، فلما جاءا خرج بينهما ، كان يستَنِدُ عليهما ، وكان عاصِبًا رأسَه ، وظلَّ في سيرِه ، حتى دخلَ بيتَ عائِشة ، وبقَى به ، لا يخرج إلا للصلاة .

٣

خيَّمَ اللَّيلُ ، واجتَمَعَ النَّاسُ في المسجِد لصلاةِ العِشاء ، وارتفعَ صَوتُ بلال عَذْبا :

ــ اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر ! اللّه أكبر !

وأتمَّ بلالٌ الأذان ، وانتظَرَ الناسُ خروجَ النبيّ ، ولكنه لم يخرُج ؛ أرادَ أن يذهبَ للصَّلاة ، فأُغْمِيَ عليه ، ثم أفاق ، فقال :

ــ أصلَّى النَّاس ؟

فقالت له عائشة :

ــ لا . هم ينتظرونك .

فطلَبَ رسولُ اللّه ﷺ ماءً لِيَتوضَّأ ، ولكنه لم يَقْوَ ، فقدْ أُغمِيَ عليه ، ولَمَّا أفاقَ قال :

ــ أصلَّى النَّاس ؟

فقالت له عائشة :

ــ لا يا رسولَ اللّهِ . هم ينتظِرونَك .

وأرادَ أن يتوضَّأ ، فأُغْمِيَ عليه ، والنَّاسُ مجتمعون ، ولَمَّا أفاقَ دخل بلالٌ عليه ، وقال :

ـ الصَّلاةُ يا رسولَ اللّه .

فقال ﷺ :

ـ لا أستطيعُ الصَّلاةَ خارجا ، مُرُوا أبا بكرٍ فلْيُصلِّ بالنَّاس .

خافتْ عائشة ، لأنَّها تعلمُ أنَّه لن يقومَ أحدٌ مقامَ رسولِ اللّه ﷺ ، إلاَّ تشاءمَ النَّاسُ به ، فأرادتْ أن يختارَ رسولُ اللّه أحدًا غيرَ أبيها لِيُصَلِّيَ بالنَّاسِ ، فقالت :

ـ إنَّ أبا بكرٍ رجُلٌ رقيق ، إذا قامَ مقامَك لم يُسمع النَّاسَ من البكاء .

فقالَ رسولُ اللّه ﷺ :

ـ مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالنَّاس .

فقالت عائشة :

ـ إنَّ أبا بكرٍ رجلٌ رقيق .

فقال رسولُ اللّه :

ـ إنَّكنَّ صَوَاحِبُ يوسُف (أى إنكن تُظْهِرْنَ غيرَ ما تُخْفِين ، كما فَعَلَتْ زوجةُ العزيز لما أظهرَتْ للنِّساءِ اللاتى جَمَعَتْهُن ، أنها تُريد إكرامَهُنَّ بالضِّيافة ، وإنما قصدُها أن ينظرنَ لحسنِ يوسُفَ عليه السلام ، فَيَعْذِرْنها فى حبِّه) ؛ مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالنَّاس .

فخَرَجَ بلالٌ إلى النَّاسِ يبكى ، فجاءَ إليه النَّاسُ خائِفين ، وقالوا له :

ـ ما وراءَكَ يا بلال ؟

فقال بلال :

ـ إن رسولَ اللّه لا يستَطِيعُ الصَّلاةَ خارِجا .

فراحَ المسلمونَ يبكون .

٤

أراد الرسولُ ﷺ أن يخرجَ إلى النّاس ، فقال لنسائه :

ـ أفِيضُوا عليَّ (أى صُبُّوا على) من سبع قرب ، من سبعِ آبارٍ شتّى ، حتى أخرجَ فأعهَدَ إلى النّاس .

وصبُّوا عليه الماء ، وخرج يستندُ على رجلٍ من أهلِه ، حتى إذا بلغَ المِنبَر ، جلس عليه ، فجاءَ إليهِ النّاسُ فرحينَ بخروجِه ، والتفوا حولَه ، فقال :

ـ اللّهمَّ اغفِر لشُهَداءِ أُحُدْ ، اللهمَّ اغفِر لشهداءِ أُحد . يا معشر المهاجرين ، إنكم أصبحتم تَزيدون ، والأنصارُ على هيئتها لا تزيد ، فأكرموا كريمَهم ، وتجاوَزوا عن مسيئهم .

أيها الناس ، إنَّ عبدًا من عبادِ اللّه ، قد خيَّرهُ اللّه

بينَ الدُّنيا وبينَ ما عندَ اللّه ، فاختارَ ما عند اللّه .

فَهِمَ أبو بكرٍ أنَّ رسولَ اللّه ﷺ يتكلم عن نفسِه ، وأنه يذكرُ للنّاسِ أنه سيموت ، فبَكى من الحُزْن ، على فِراقِ رسولِ اللّه ، وما فارقَهُ أبدا ، قال :

ـ بل نحن نفديكَ بأنفُسِنا وأبنائنا وأموالنا .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ إنَّ أمَنَّ النّاسِ عليَّ في صُحبَتِه ومالِه أبو بكر ، ولو كنتُ متَّخِذًا من أمَّتِي خَلِيلا ، لاتّخَذْتُ أبا بكرٍ خَليلا .

وقال رسولُ اللّه :

ـ يأيُّها النّاس ، مَن أحسَّ من نفسِه شيئًا فليقُم أدعو اللّه له .

فقام إليه رجلٌ فقال :

ـ يا رسولَ اللّه ، إنّي لَمُنافِق ، وإنّي لكَذُوب ،

وإنّى لَشئُوم .

عجبَ الناسُ من ذلك الرجل ، الذى فَضحَ نفسَه ، وقال عمر :

ـ ويحَك أيها الرجل ، لقدْ سَترَكَ اللّه لو سَترتَ على نفسِك .

فقال رسولُ اللّه ﷺ :

ـ مَهْ يا بنَ الخطّاب ، فُضوحُ الدُّنيا أهوَنُ من فُضوحِ الآخرة ، اللهمَّ ارزقه صِدْقًا وإيمانا ، وأذْهِبْ عنه الشُّؤم .

٥

دخلَ الرَّسولُ ﷺ دارَه ، وبَقِى بها يُصلّى لا يقوى على الخروج ، وكان أبو بكر يُصلّى بالنّاس ، وفى صباحِ يوم الاثنين ، سمِعَ رسولُ اللّه أصواتَ النَّاسِ فى المسجد ، فكشفَ سِتْرَ الحُجْرةِ ونظر ، فرأى المسلمينَ وهم صُفوفٌ فى الصَّلاة يُصَلُّونَ خلْفَ أبى بكر ، فتبسَّمَ ، ففرِحَ النَّاسُ لمَّا رأَوه ، وفَسَحُوا له ؛ حَسِبُوا أنَّه خارجٌ لِيُصَلّى بهم ، وتأخَّرَ أبو بكر ، ليترِكَ له مكانَ الإمامة ، ولكنَّ الرَّسولَ ﷺ أشارَ لهم أنِ استَمِرُّوا فى صلاتِكم ، وأرخَى السِّتارَ .

واشتدَّ الوجَعُ على النَّبىّ ، فوَضَعَ رأسَه فى حِجْرِ عائِشة ، وكان عِندَه قَدَحٌ فيه ماء ، فكانَ يُدْخِلُ يَدَهُ فى القَدَح ، ثمَّ يمسحُ وجهَهُ بالماء ، ويقول :

- اللّهمَّ أعِنّي على سَكَراتِ المَوت .

وثَقُلَ رأسُه ﷺ في حِجْرِها ، فَظَنّت أنَّه غُشِيَ عليه ، فَغَطَّتهُ بثوب ، فجاءَ عُمرُ والمُغِيرةُ بنُ شُعبة ، فاستأذَنا ، فأذِنَتْ عائِشةُ لهما ، فنظرا إليه ، وقال عمر :

- واغشياهْ ، ما أشَدَّ غَشْيَ رسولِ اللّه !

وقال المغيرة :

- يا عمر ، مات رسولُ اللّه .

فقال له عمر في شِدَّة :

- كذبْتَ ! إنَّ رسولَ اللّه ﷺ لا يموت ، حتى يُفْنِيَ اللّه المنافِقِين .

وخَرَجَ عمرُ يخطُبُ النّاسَ ، ويوعِّد الذين يقولون إنَّ رسولَ اللّه قد مات . وجاءَ أبو بكر ، ودخلَ على الرَّسول ، ورفَعَ عنه الغِطاء ، وقال :

- إنّا للّه وإنّا إليه راجعون ... مات رسولُ اللّه .

وقَبَّلَ رأسَه .

ثمَّ قالَ في حُزْن :

- وانَبيَّاهْ .. واصَفِيَّاه .. واخَليلاه !

وخرج أبو بكرٍ إلى النَّاس ، وعُمَرُ يخطُبُ النّاس ويقولُ إنَّ رسولَ اللّه لا يموتُ حتى يُفنِيَ اللّه المنافِقِين ، فقالَ له أبو بكر :

- اجلِسْ يا عُمر ، اجلس يا عمر !

ثم قال أبو بكر :

- أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللّه ، وأشهدُ أنَّ محمَّدا رسولُ اللّه . أمَّا بعد ، فمنْ كان منكم يعبُدُ محمَّدا فإنَّ محمدا قد مات ومن كان يعبُدُ اللّه فإنَّ اللّه حيٌّ لا يموت .

وصَمتَ قليلا ، ثمَّ قرأ من القرآن :

« وما محَمَّدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلَتْ من قبْلِه الرُّسُل ، أفَإن ماتَ أو قُتِلَ انقلَبتُمْ على أعْقابكم ، ومَن ينقَلِبْ على عَقِبَيهِ فلنْ يَضُرَّ اللّه شيئا ، وسَيَجْزِى اللّه الشّاكِرين » .

وتَيقَّنَ النَّاسُ أنَّ رسـولَ اللّـه ﷺ قـد مـات ، فأجهَشُوا بالبُكـاءِ ، وارتَفَـعَ صَوتُ فاطِمـةَ تذْكُـرُ محاسِنَ أبيها ، فزَادَ ذلك فى حُزنِ النَّاس .

أبتاه يا أبتاه ! .. أبتاه .

أجابَ ربَّاه دعاه .. يا أبتاه .

إلى جبريلَ نَنعاه .. يا أبتاه .

مِن ربِّه ما أدناه .. يا أبتاه .

وجاءَ أوانُ الصَّلاة ، فقامَ بلالٌ يؤذِّن :

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ! اللّه أكبر ، اللّه أكبر !

أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه . أشهدُ أن لا إلَه إلاّ اللّه .

أشهدُ أنَّ محمَّدا ..

وتذكَّر بـلالٌ رسـولَ اللّـه الميِّـتَ فى دارِه ، فَخَنَقَتْه دموعـه ، وبكَـى المسـلمونَ حتـى ارتَجَّـتِ المدينـةُ بالبُكاَء ، ولفَّها حُزنٌ عميق .